الشيخ جوادي آملي

ولاية الإنسان في القرآن

دار الصفوة
بيروت - لبنان

ولاية الإنسان

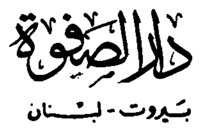
في القرآن



الشيخ جوادي آملي



ترجمة: دار الصفوة



بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

دار الصفوة

بيروت ــ بئر العبد ــ الصنوبرة ــ مقابل سنتر داغر ــ بناية دياب مهدي

ت: ٨٢٣٥١٨ـ٨٢٢١٦٧ـ ٦٠١٠٠٢
فاكس: ٠٠٩٦١١٦٠١٠١٩
ص.ب: ٦٣ / ٢٤

Tel: 823518 - 822167 - 601002
Fax: 009611601019
P.o. Box: 36/24

المقدمات

مقدمة الترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

آية الله الشيخ عبد الله الجوادي الآملي من أشهر أساتذة الفلسفة والعرفان والتفسير في الحوزة العلمية في قم المقدسة. ويعدُّ من أبرز طلاب العلاّمة السيد محمد حسين الطباطبائي ـ صاحب تفسير الميزان ـ الذين استمروا على منهجه في التفسير وتدريس الفلسفة في الحوزات العلمية. ومقدرة الشيخ الآملي وضلوعه في المسائل الفلسفية والعقائدية دعت الإمام الخميني الراحل (ره) إلى اختياره ليحمل رسالته الشهيرة إلى ميخائيل غورباتشوف رئيس الاتحاد السوفياتي السابق والتي يدعوه فيها إلى التعرف إلى الإسلام واختياره كعقيدة ونظام حياة بعد افلاس الشيوعية وسقوطها.

وقد اشتهر الشيخ الآملي في السنوات الأخيرة بتدريس التفسير الموضوعي للقرآن حيث يحضر درسه جمٌّ غفير من طلاب العلوم الدينية يتجاوز عدة مئات وقد صدرت له كتب عديدة في هذا المجال هي تقرير لما يلقيه على طلابه من محاضرات في مواضيع قرآنية متعددة سواء في درسه اليومي في المسجد الأعظم التابع لحرم فاطمة المعصومة في قم أو لما يلقيه

في مناسبات خاصة كشهر رمضان أو غيره كما صدر له حوالي عشرة أجزاء على الأقل كتقرير لدروس متتابعة في التفسير الموضوعي يبثّها التلفزيون الإيراني ويعالج فيها مواضيع حيوية متعددة.

وهذا البحث الذي قمنا بترجمته ووضعه في متناول قراء العربية «ولاية الإنسان في القرآن» من تلك المواضيع التي قام بتدريسها لطلابه في الحلقات الأولىٰ من تدريسه وهو كما يتضح للمطالع يتناول موضوع «ولاية الإنسان» فيبين ان الولاية قسمان بالولاية بكسر الواو وهي ولاية اعتبارية ظاهرية جعلته بمعنىٰ الحكومة والتدبير والإدارة والولاية بفتح الواو هي ولاية واقعية تمثل مقاماً معنوياً يصل إليه السالك إلى الله ويصير فيه مظهراً ومجلىٰ لبعض اسماء الله الحسنىٰ مما يترتب عليه آثار خاصة كنصرة الله لذلك الولي ومنحه قدرات استثنائية على التصرف في الموجودات ومحل البحث هي الولاية بالمعنىٰ الثاني حيث يحاول الإجابة على عدة أسئلة توضح الصورة الكاملة للموضوع وعلى هذا فيرتب فصول الكتاب بحسب تلك الأسئلة فيبحث أولاً في معنىٰ هذه الولاية ثم في أصل وجودها وثبوتها ثم يتعرض لاقسامها وانحائها وأحكام تلك الأقسام وأخيراً لمسببات وطرق حصول هذه الولاية مستعرضاً بعض نماذج الأولياء في القرآن الكريم.

نكتفي بهذه الإشارة إلى موضوع الكتاب لنذكر بان الحلقة الأولىٰ عندنا من كتب المؤلف هذه ممن حلقات أخرىٰ في طريقها للنشر. ولنبيّن بانا قد سعينا في ترجمتنا له لتأدية المعنىٰ المراد. بما أمكن من الدقة والأمانة بل الحرفية فلم تخرج عن أسلوب المؤلف بل انا غالباً لم نتجاوز نص عباراته كما انا أيضاً تركناه على ترتيبه في الطبعة الفارسية على شكل دروس منفصلة فلم نقم بدمج مطالبه أو تغيير نظمه.

هذا ونأمل من القارىء الكريم ان يلاحظ ما ترجمناه بعين التسامح والاغضاء والا يبخل علينا باهداء ما فيه من العيوب التي لا ندعي خلوه منها

إذ العصمة لأهلها وغاية ما نرجوه ان يكون عملاً متناسباً مع ما نملك من وسع ونوايا. . . . والله الموفق والهادي سواء السبيل.

الناشر

بيروت في ٩/ ٧/ ١٩٩٣

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم
واياه نستعين

١ ـ العلم وإن كان وجوداً مجرداً، وكل درجات الوجود ـ خصوصاً الوجود المنزه عن لون المادة ـ كمال، لكن الكمال في نفسه له مراتب متكثره يرجع بعضها الى مرحلة عقل الإنسان وبعضها الآخر يرجع الى مرحلة الوهم والخيال وأمثالها.

والعلم الذي في حد التجرد الوهمي او الخيالي لا يشابه ابداً المعرفة التي في درجة التجرد العقلي. فلهذه الجهة إذن يتحصل تفاوت ملحوظ بين درجات العلم مثل الحياة التي هي في عين الكمال الوجودي تشتمل على مراتب كثيرة مما لا تشابه

بعضها بعضاً ابداً .

والعلم وبسبب كونه حقيقة ذات اضافة، وهو يضيء متعلقه الذي هو «المعلوم» للعالِم فله إذن ارتباط مباشر مع المعلوم. وحيث أن «المعلومات» ليست متساوية ايضاً، إذ بعض المعلومات لها وجود حقيقي وبعضها عارٍ عن ذلك وإنما يوجد بوجود اعتباري فقط، وتلك التي تمتلكُ حقيقة غير اعتبارية بعضها ثابت ودائم وبعضها متغيّر وعابر، فلهذا السبب أيضاً يوجد بين العلوم تفاوت يستحق الإلتفات. مثل القدرة التي هي في عين الكمال الوجودي، بلحاظ التعلق بالمقدورات المتفاوتة تحتوي على مراتب متعددة لا تتساوى على الإطلاق .

والعلم وبسبب كونه أحياناً مع برهان وأحياناً غير مبرهن ينقسم الى قسمين : تحقيقي وتقليدي، والقسم الأول بلحاظ كونه مستقلاً وقائماً بالنفس ولا يزول بشبهات الشكاكين اكمل من القسم الثاني الفاقد للإستقلال والذي هو في معرض الزوال والتمايز المهم بين الإجتهاد والتقليد هو استقلال احدهما وتبعية الآخر.

كما انه يوجد اختلافات أخرى بين درجات العلم من جهة القطع والظن وأمثالها مما تتكفل صناعات المنطق الخاصة - بلحاظ المراد المبادىء التصديقية للقياس - ببيانها والعلم بسبب امتلاكه ارتباطاً مع العالم اذ يكون في بعض المراحل عين العالم، والعلماء ليسوا متساوين بلحاظ قداسة الروح

وقذارتها، اذ ان بعضهم قد حصّل العلم أو يحصله لأجل هداية نفسه وهداية الآخرين، وبعضهم قد جعل ذلك وسيلة لحطام الدنيا الزائل فلا هم يستفيدون منه ولا هم يهبون الضياء للآخرين. فمن هذه الجهة يلحق العالم بالتَّبع تقسيم آخر.

روي عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله):

«العلماء رجلان: رجل عالم آخذ بعلمه فهذا ناج، وعالم تارك لعلمه فهذا هالك ...»[1].

والعلم ـ في النفوس الغير طاهرة (الملوثة) ـ يعد من جنود الجهل.
روي عن الإمام الباقر (عليه السلام):

من طلب العلم ليباهي به العلماء او يماري به السفهاء او يصرف به وجوه الناس إليه فليتبوء مقعده من النار. ان الرئاسة لا تصلح إلا لأهلها»[2].

فالشخص الذي يطلب العلم لأجل المباهاة والفخر على العلماء، أو لأجل جدال السفهاء او لأجل لفت أنظار المجتمع اليه سيتبوأ مقعده من النار اذ الرئاسة انما تصلح لأهلها الذين وصلوا من ناحية العلم والعمل إلى درجة الكمال اللازم بكلا الجناحين ـ وإذا ابتلى العالم بكل من الخصال الثلاث أي إذا ابتلى بشراك الفخر بالإضافة الى اغلال الجدال والجاه ففي انتظاره عذاب متنوع. أعاذنا الله من شرور انفسنا وسيئات أعمالنا.

٢ ـ وكما ان أصل تحصيل العلم قد رُغِّب فيه في الإسلام بصفته كمالاً إنسانياً إذ أن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) قد قال:

---

(١) الكافي: كتاب العلم، باب استعمال العلم، حديث١.
(٢) الكافي: باب المستأكل بعلمه والمباهي به، حديث ٦.

«طلب العلم فريضة على كل مسلم ألا وإن الله يحب بغاة العلم»[1] .

فكذلك قد بُين بشكل كامل ذلك العلم الحائز للأهمية والذي لا يمكن الإغماض عن الغفلة عنه، والذي يعدُّ الإغماض عنه وكأنه ترك لسنة نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله) إذ أنه روى عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله):

«. . . إنما العلم ثلاثة: آية محكمة أو فريضة عادلة أو سنة قائمة وما خلاهن فهو فضل»[2] .

فذلك العلم المعهود الذي يلزم تحصيله على الجميع ثلاثة أقسام:

القسم الأول: النظرة الإلهية للعالم التي تثبت ان جميع ساحة الوجود علامات لذلك الوجود المحض المستور ومعرفة الأسماء الحسنى والأفعال والآثار الإلهية ومعرفة الأنبياء والمرسلين والأئمة (عليهم السلام) والملائكة والنار والجنة وسائر المواقف التي تشمل ما قبل الدنيا وما بعدها حيث ان كل هذه المعارف ترجع الى الأصول الإعتقادية وتندرج في هذا القسم .

القسم الثاني: الحكمة العملية الأعم من الفقه والحقوق والأخلاق.

القسم الثالث: العلوم التجريبية القائمة على اساس السنة الإلهية الثابتة وما هو خارج عن هذه المحاور المذكورة كمال مسنون لا مفروض.

لقد ذكر لهذا الحديث وجوه كثيرة لكن العلوم التي تلبي احتياجات المجتمع البشري وتهب الشعوب الإستقلال وخصوصاً الشعوب الإسلامية، كالطب والصناعة والزراعة وغيرها ليست زائدة على الإطلاق. بل تحصيلها واجب عيني او كفائي، وحكم وجوبها العيني والكفائي يؤمنه القسم الثاني،

(١) الكافي: باب فرض العلم، حديث ٥ .
(٢) الكافي: باب صفة العلم، حديث ١ .

وتحصيل مسائلها في عهدة القسم الثالث، ودليل ضرورة تحصيلها هو ما قاله الإمام الصادق (عليه السلام):

«لا يستغني أهل كل بلد عن ثلاثة يفزع اليهم في امر دنياهم وآخرتهم فإن عدموا ثقة كانوا همجاً، فقيه عالم ورع، وأمير خيِّر مطاع، وطبيب بصير»[1].

لو كانت العلوم التجريبية كالصناعات العسكرية أو الطب غير دخيلة في تأمين التمدن الأصيل لما كان فقدانها اساساً للهمجية والحياة الحيوانية. فهذا النوع من العلوم إذن جزء من تلك العلوم الثلاثة. وبناء عليه فقد اتضحت انحاء العلوم التي يكون تحصيلها فريضة.

وهنا يلزم الإلتفات الى ان الإسلام ليس فقط كرم اصل العلم ولا أنه امتدح العلماء المفيدين فحسب بل لقد اسس الحوزات والجامعات الموكل إليها تدريس العلوم المذكورة وعرَّفها للمجتمعات البشرية. وهذا مما سيشار إليه فيما بعد.

الإنسان وإن كان من جهة الطبيعة «هلوعاً» وبلحاظ المادة والمدة «منوعاً» و«جزوعاً» «فإنها (النفوس) مختارة للباطل إلا ما وفقت، أمارة بالسوء إلا مارحمت»[2] وهو لا يستسلم للتعاون مع الآخرين ما لم يقهر على ذلك، وبهذا اللحاظ فكونه مدنياً بالطبع يحتاج الى تحليل أنه هل هو مدني بالأصالة او انه يصير مدنياً بالإضطرار، لكنه من جهة الفطرة يبصر الحق ويطلبه، والتمدن بمعناه الواقعي يكون مترافقاً مع الفطرة البصيرة والبحث. فهو مدني بالفطرة وإن لم يكن مدنياً بالطبع بالأصالة. ومعنى المدنية التي هي مقتضى الفطرة التوحيدية ليست سكون المدن مقابل سكون القرى إذ ان

---

(١) تحف العقول: ص٣٢١.
(٢) الصحيفة السجادية: الدعاء ٩.

المادي ايضاً ولو كان يعيش في المدينة فهو محروم من التمدن الأصيل كما ان الإنسان الإلهي ولو عاش في القرية فهو يتمتع بالتمدن الصافي الفطرة. ولو حصّل الإنسان المفكر العلوم التجريبية في ظل الفلسفة الإلهية والفقه والحقوق والأخلاق الإسلامية فسيلبي نداء فطرته وإلا فسيخنق ذلك النداء بأدوات العلوم المادية وسيدسُّ ويدفن ذلك المنادي تحت تلالٍ من الهوى والهوس ﴿وقد خاب من دسّاها﴾[1] .

والإمام السجاد (عليه السلام) يدعو للسالكين طريق المعرفة بهذا الدعاء:

«اللهم واعمم بذلك من شهد لك بالربوبية، واخلص لك بالوحدانية وعاداه لك بحقيقة العبودية، واستظهر بك عليه في معرفة العلوم الربانية»[2] .

٣ - لو أرادت حقيقة الإسلام ان تتمثل بصورة عينية لتجلّت بصورة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) والإمام المعصوم كأمير المؤمنين (عليه السلام). ولو ارادت الظهور بصورة لفظية وكتبية لتجسمت بالوجه النوراني للقرآن والحديث المعتبر والكلمات التي للرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) حول نفسه وكذلك فإن تلك التي حول الإمام المعصوم هي بمنزلة تعريف لحقيقة الإسلام .

بناء على هذا فالحديث المعروف «أنا مدينة العلم وعلي بابها» يدعو البشر المتمدنين بالفطرة إلى مدينة العلوم التي يلزم تحصيلها. والإسلام يرى ان مهد الرؤية الكونية الإلهية هو الفقه والحقوق والأخلاق والعلوم التجريبية النافعة. وما ورد حول القرآن وسنة المعصومين (عليهم السلام) احياناً يبين

---

(١) سورة الشمس، الآية: ١٠.

(٢) الصحيفة السجادية الدعاء ١٨.

بصورة «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي»، وأحياناً يبين بصورة «أنا مدينة العلم وعلي بابها». إذ أن المراد في أنا هو ذلك الثقل الأكبر والقرآن الكريم، وليس المراد من «علي» شخص امير المؤمنين المعين وانما شخصيته الحقوقية، أي حقيقة الولاية والإمامة التي لها تجلٍّ في كل المعصومين (عليهم السلام).

لذا فمعنى الحديث هو أن حقيقة الإسلام انه مدينة لجميع العلوم اللازمة.

فإذاً مدينة وحوزة وجامعة العلوم ذات الجوانب الثلاثة المذكورة هي الحقيقة الكاملة والجامعة للإسلام. وكما انه نستنبط الآن الفروع الفقهية من سلسلة اصول كلية يمكن استخراج مسائل كثيرة تجريبية مع الحس والعمل من سلسلة قواعد كلية مع فارق أن المصادر الفقهية اكثر محدودية من مصادر العلوم التجريبية والتعبد في تلك اكثر من التعقل، والتعقل في هذه اكثر من التعبد والمراد من التعبد في العلوم التجريبية هو تلك الأصول الموضوعة والفرضيات المسبقة التي لم تثبت بعد.

واذا فقد المجتمع الإسلامي قسماً من العلوم الضرورية يكون بهذا المعيار محروماً من تحقق نعمة الأحكام الإلهية ولا يمكن اعتباره أبداً مدينة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) إذ أن مدينته (صلى الله عليه وآله) التي هي مدينة الإسلام هي مدينة العلم الفاضلة. والدليل على كون جميع الأئمة (عليهم السلام) مثل علي ابن ابي طالب (عليه السلام) باب مدينة العلم هو التعبيرات الشامخة التي وردت حول تلك الذوات المقدسة في الزيارات وأمثالها.

قال الصادق (عليه السلام):

«نحن ولاة امر الله وخزنة علم الله وعيبة وحي

الله»[1] .

«الأوصياء هم ابواب الله عز وجل التي يؤتى منها ولولاهم ما عرف الله عز وجل وبهم احتج الله تبارك وتعالى على خلقه»[2] .

٤ ـ التزايد الملحوظ للنسل البشري صار منشأ لظهور معارف لا تحصى وابتكار علوم كثيرة. وجمعها كلها ليس فقط أنه غير ميسُور لفرد أو جماعة خاصين وإنما تحملها لأجل المجموعات الكثيرة والإمكانات اللّازمة أيضاً ليس سهلاً.

لذا تتولى الحوزات العلمية قسم الحكمة النظرية أي الفلسفة والكلام وأمثالها، والحكمة العملية أي الفقه والأخلاق والعلوم التي تكون مقدمة لها كما تتولى الجامعات قسم العلوم الرياضية والتجريبية ومقداراً من العلوم العملية. وأحياناً يظهر في كلا المؤسستين المذكورتين فرد ـ أو مؤسسة ـ حائز على علوم المؤسسة الأخرى أيضاً.

حوزة قم المقدسة بعد انتصار الثورة الإسلامية تقوم بإداء رسالتها بشكل أوسع مما كان في السابق. وتشتغل بالإضافة الى التدريس والتأليف في الفقه والأصول وعلوم المقدمات بتدريس علوم القرآن وتفسير القرآن أعم من الترتيبي والموضوعي، وكذلك بتدريس أصول العقائد والرجال والدراية ونهج البلاغة والإقتصاد وغيره لتكون أرضية لتخصصية انحاء العلوم الإسلامية.

الخطوات الأولية لشورى مديرية الحوزة العلمية المحترمة في قم كان لها نتائج كثيرة حيث صدر قسم من التفسير الموضوعي سنة ١٣٦٥هـ. ش. باسم «الكرامة في القرآن» وفي سنة ١٣٦٦هـ. ش. بإسم «الولاية في القرآن»

---

(١) الكافي كتاب الحجة، باب ان الأئمة (عليهم السلام) ولاة الأمر.
(٢) الكافي: كتاب الحجة، باب أن الأئمة (عليهم السلام) خلفاء الله في أرضه.

والذي يقدم الآن لأصحاب النظر مع تقبل أي نوع من النقد الوارد والإصلاح اللازم. وتوفيق نشر المباحث المذكورة في عهدة المؤسسة المحترمة «نشر فرهنكي رجاء».

٥ ـ الولاية أحياناً تستعمل بمعنى يدل على الرتبة الوجودية لأولياء الله. وأحياناً تستعمل بمعى يظهر السمة الإعتبارية لولاة المجتمع والمتولين للأمة الإسلامية. والقسم المهم من مطالب هذا الكتاب بيان لولاية الأولياء. وأما ما يرجع لولاية ولاة المجتمع خصوصاً في عصر الغيبة فسيحويه كتاب آخر بعناية الله سبحانه وإرادته.

ولاية أولياء الله لا هي تجعل بالإنشاء البشري ولا هي تنزع بالهجوم المعادي للبشر، لأن ذلك الكمال الوجودي يرتبط بعللٍ أعلى يصير ضرورياً بظهورها ويكون ممتنعاً بخفائها، بخلاف ولاية الولاَة التي تجعل بانشاء خفيف المؤونة كما تنزع بنقض سهل التناول، إذ أنها ترتبط باعتبار المعتبرين ثبوتاً وسقوطاً.

ولاية أولياء الله كانت دوماً مطمح نظر السالكين، وقد رغَّب في الأدعية بتحصيلها. خلافاً لولاية الولاة التي كان يسعى السالكون دوماً لإقامتها للآخرين بينما يتوجهون هم للأمور ذات الأصالة: «من فوت ولايتكم التي إنما هِي متاع ايام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب»[1] ولئن كانت ولاية الولاة الصالحين نعمة آلهية «فوالله إني لأولى الناس بالناس»[2] ومن دونها يبتلى المجتمع بالهرج والمرج او الظلم بالسوية، ولذا كان أولياء الله دوماً قلقين لهذا «ولكنني آسىٰ ان يلي امر هذه الأمة سفهاؤها وفجارها فيتخذوا مال الله دولاً وعباده خولا»[3] لكن حيث انه تكليف كفائي لا عيني

(١) نهج البلاغة، الرسالة ٦٢.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة١١٧.
(٣) نهج البلاغة، الرسالة ٦٢.

لذا لم يكن عند المخفين [باتجاه شواطىء النجاة] إصرار على تحصيله «والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية إربة»[1] «دعوني والتمسوا غيري فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان»[2] خلافاً لولاية الأولياء التي هي تكليف عيني. ولذا قد خصوا قسماً مهماً من الأدعية والمناجاة بطلب ذلك الولاء لأنفسهم. كما ان مبدأ تعليم الدعاء الذي هو القرآن الكريم يحتوي على آيات كثيرة حول هذا الولاء مما قد ورد عدد منها في هذا الكتاب. وحيث ان بحث الولاء وعدم طلبه هو علم بلا عمل وكل علم بلا عمل يرتحل ويهاجر عن المحل الغير قابل.

«عن أبي عبد الله (عليه السلام):

«العلم مقرون الى العمل، فمن علم عمل ومن عمل علم، والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل عنه»[3] .

والدعاء ايضاً ارضية للعمل بذلك العلم، لذا كان الأولياء الواصلون أي الأنبياء والأئمة المعصومين (عليهم السلام) يهيئون دوماً اساس ظهور الولاء بالدعاء، ويشوقون سائر سالكي درب الولاية لزلال الولاء، ويمنعوهم عن ماء ولاية الولاة الذي هو تكاثر ليس إلا، ليغلي كوثر ولاية الأولياء من داخل وخارج اولئك الذين هم مظهر «هو الظاهر والباطن». اجل فما لم يتركوا التكاثر لا يصلون للكوثر.

«لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس اولها ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز»[4] .

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٦.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٩١.
(٣) الكافي: كتاب فضل العلم، باب استعمال العلم، حديث ٢.
(٤) نهج البلاغة، الخطبة ٣ (الشقشقية).

وكما أنه قد نقلنا في مقدمة كتاب «الكرامة في القرآن» مقداراً من أدعية علماء الأسرار وأصحاب الرموز فمن المناسب هنا تشريح عدد من نداءات ونجوى أصحاب السير والسر، ليمتزج الاخبار العلمي بالإنشاء العملي، وتطرد طراوة الطلب والدعاء جفاف الخبر الجامد والتقرير الناشف.

عن أبي عبد الله (عليه السلام): «الدعاء كهف الإجابة كما ان السحاب كهف المطر»[1].

وكما ان الجزم في الفكر (النظر) والشوق للعمل هما جناحا الطيران القويين فكذلك الشبهة النظرية والشهوة العملية هما الحاجزان المعوقان.

لذا فالإمام السجاد (عليه السلام) الذي هو مظهر «هو الداعي» يقول: «وان هممنا بعمل صالح ثبطنا عنه، يتعرض لنا بالشهوات وينصب لنا بالشبهات»[2].

طلاب الولاء يسعون لتحصيل جزم منزَّه عن الشك والشبهة، وعزم مبَّرأ من الوهن، وشوق خالص من غبار الشهوة إذ:

«إن الناقد بصير».

«وهب لي الأنس بك وبأوليائك... وامنن علي بشوق إليك...»[3].

سالكوا درب الولاء يغلون. يقدرون ثمن الفرص الذهبية من «الصمت والجوع والسهر والخلوة وادامة الذكر» لذا فهم يتخذون شهر رمضان المبارك عيداً:

---

(١) عدة الداعي: ص٣٣.

(٢) الصحيفة السجادية، الدعاء ٢٥.

(٣) الصحيفة السجادية، الدعاء ٢١.

«السلام عليك يا شهر الله الأكبر ويا عيد اوليائه»[1] .

وحيث ان هذا الشهر الشريف هو ظرف لنزول القرآن الكريم فقبل كل شيء يقضونه في خدمة كلام الله ويتطلبون فهم اسراره التي لا تتحملها الجبال.

«حتى توصل الى قلوبنا فهم عجائبه وزواجر أمثاله التي ضعفت الجبال الرواسي على صلابتها عن احتماله»[2] .

سالكوا درب الولاء يصطرخون بحمد الله حمداً يدخلهم في جمع سعداء أهل الولاء.

«حمداً نسعد به في السعداء من أوليائه ونصير به في نظم الشهداء بسيوف اعدائه إنه ولي حميد»[3] .

وحيث ان اولياء الله يتمتعون بولاء النصر ايضاً، والمنصور من الله لا يذلُّ أبداً، لذا تصدر منهم هذه الزمزمة:

«اللهم إنك من واليت لم يضرره خذلان الخاذلين، ومن أعطيت لم ينقصه منع المانعين»[4] .

وحيث ان اولياء الله متنعمين بولاء المحبة، وحب الله لا ينسجم مع التكبر وكل من كان اكثر قرباً من محفل المحبة كان تواضعه امام عتبة القدس الإلهي اكثر.

---

(١) الصحيفة السجادية، الدعاء ٤٥.

(٢) الصحيفة السجادية، الدعاء ٤٢.

(٣) الصحيفة السجادية، الدعاء الأول.

(٤) الصحيفة السجادية، الدعاء ٥.

«وإن احب عبادك اليك من ترك الإستكبار عليك وجانب الإصرار ولزم الإستغفار»[1] .

وبما ان ولاء الشيطان يمنع من ولاء الرحمٰن فهم دوماً يطلبون الإفلات من آفات الشيطان.

«اللهم اجعلنا في نظم اعدائه واعزلنا عن عداد اوليائه لا نطيع له»[2] .

وبلحاظ ان محل اولياء الله في القيامة مصون من الخوف، وكذلك مقرهم في الجنة يتمتع بالتزيين الإلهي، إذ أن الله تعالى قد زيّن تلك الجنة لأصفيائه، فالحشر والنشر معهم وكذلك مجاورتهم في الجنة من أهداف الباحثين عن طريق الولاء.

«وارحمني في حشري ونشري واجعل في ذلك اليوم مع اوليائك موقفي»[3] .

«وجاور بي الأطيبين من أوليائك في الجنان التي زينتها لأصفيائك»[4] .

وبما أن الإفتضاح عند اولياء الله سبب للمذلة اكثر فهم يطلبون من الله النجاة من ذلك.

«ولا تخزني يوم تبعثني للقائك ولا تفضحني بين يدي اوليائك»[5] .

---

(١) الصحيفة السجادية، الدعاء ١٢.

(٢) الصحيفة السجادية، الدعاء ١٧.

(٣) الصحيفة السجادية، الدعاء ٣.

(٤) الصحيفة السجادية، الدعاء ٤٧.

(٥) الصحيفة السجادية، الدعاء ٤٧.

وحيث ان اولياء الله يتمتعون بقرب خاص فالصداقة معهم والمشاركة في جمعهم يكون مطلوباً لسالكي دربهم.

« واجعلني فيه من اوليائك المقربين»[1] .

«اللهم اجعلني فيه محباً لأوليائك ومعادياً لأعدائك»[2] .

وحيث ان الأرضية لزيادة المحبه بالنسبة لأهل الولاء مهيئة وعدد منهم يغذون في قلوبهم امل ازدياد محبة الحق، لذا فالمشتاقون لدرب الولاء ينشدون ما يلي: «الهي أقمني في اهل ولايتك مقام من رجا الزيادة من محبتك»[3] .

وحيث أن ابرز مصداق لأولياء الله هو الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وأهل بيت العصمة والطهارة (عليهم السلام) لذا يُسأل اللحوق بهم:

«وألحقني بأوليائك الصالحين محمد وآله الأبرار الطيبين الطاهرين الأخيار صلواتك عليهم وعلى أجسادهم وأرواحهم ورحمة الله وبركاته»[4] .

وحيث ان اولياء الله أعزاء تحت ولاية الحق ويتمتعون بعزة خاصة فلذا هم يترنمون بما يلي:

«يا من خصَّ نفسه بالسمو والرفعة فأولياؤه بعزِّه يعتزون»[5] .

كما انهم يرتدون لباس الهيبة والجلال الإلهي:

«ويـا مـن ألبـس أوليـاءه مـلابـس هيبتـه فقـامـوا بيـن يـديـه

---

(١) مفاتيح الجنان، دعاء اليوم الخامس من شهر رمضان المبارك.
(٢) مفاتيح الجنان، دعاء اليوم الخامس والعشرين من شهر رمضان المبارك
(٣) مفاتيح الجنان، المناجاة الشعبانية.
(٤) مفاتيح الجنان، دعاء ابو حمزة الثمالي.
(٥) مفاتيح الجنان، دعاء سيد الشهداء (ع) في يوم عرفة.

مستغفرين»[1] .

والخلاصة أن علائم طلب ولاء أولياء الله في الأدعية والأذكار كثيرة، ودعاء الله تعالى بكلمة المولى كثيرة في المناجاة أيضاً، وهذا دليل على اهتمام معلمي النفوس بطي طريق الولاية.

٦ ـ الآن وقد اتضح دعاء سالكي درب الولاية بنحو الإجمال فليزم ان يعلم ايضاً مجتنيات الواصلين إلى ذرىٰ الولاية. فالسلوك بأي درجة كان يستتبع وصولاً مناسباً له. وإذا انتهى الى كمال نهائي فسيكون معه وصول كامل. وكما انه أفضل ترنم لأهل سلوك درب الولاء هو مناجات قافلة سادة هذا الطريق اي المعصومين (عليهم السلام) فأثمن نجوى ونغم للواصلين بشكل نسبي في هذا الدرب هو مناجاة الواصلين الكاملين الى هذا المقصد أي نفس المعصومين (عليهم السلام).

الوصول الى الولاية هو نفس شهود توحيد الذات والصفات والأفعال. ومع هذه الحال لا يرى استناد كمال من كمالات الوجود الى غير الله أبداً، وإنما تنسب كلها الى الذات الإلهية المقدسة بشكل منحصر. ونبين فيما يلي نماذج من الكمالات الوجودية المطلوبة في حال السلوك والتي تسلب حين الوصول، وهذا السلب أيضاً أفضل من كل اثبات:

الأول: العلم من الكمالات الوجودية وكل سالك يحتاج اليه، لكن عندما يصل يرى جميع العلوم فانية في وصف العلم اللامحدود للحق، ولا يرى سهماً لنفسه او للآخرين اذ ان سيد الأولياء امير المؤمنين (عليه السلام) في نفس الوقت الذي يقول فيه:

«ينحدر عني السيل ولا يرقى الي الطير»[2] .

---

(١) نفس المصدر.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة٣ (الشقشقية).

و«سلوني قبل ان تفقدوني فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض»[١] .

وقد امضى دعواه هذه الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) إذ قال:

«يا علي أعطيت جوامع الكلم وأوتيت جوامع العلم»[٢] .

ومع ذلك يقول في حين مناجاته مناجاة الواصلين بين يدي الله عز وجل:

«وعد علي بفضلك على مذنب قد غمره جهله»[٣] .

وكما أنه نقرأ جميعاً في دعاء الإفتتاح من ادعية شهر رمضان المبارك «فارحم عبدك الجاهل»، إذ أنه بالنسبة للعلم الذاتي واللامحدود للحق تعالى فصاحب مقام «سلوني» وسائر الناس بمستوى واحد.

الثاني: القدرة من الكمالات الوجودية وكل سائر في طريق الولاء يحتاجها لكن عندما يصل يرى جميع القدرات فانية قي اقتدار الحق الذي لا ساحل له، ولا يرى نصيباً لنفسه او للآخرين.

إذ ان سيد الأولياء الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) في نفس الوقت الذي يقول فيه:

«والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها»[٤] .

أو «والله ما قلعت باب خيبر ورميت به خلف ظهري أربعين ذراعاً بقوة جسدية ولا حركة غذائية لكني أُيدت بقوة ملكوتية ونفس بنور ربها

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٣١.
(٢) الخصال، باب الخمسة حديث ٥٧.
(٣) مفاتيح الجنان، المناجاة الشعبانية.
(٤) نهج البلاغة، الكتاب ٤٥.

مضيئة»[1] .

ومع ذلك فهو حين ترنمه ترنم الواصلين يقول بين يدي الله تعالى: « يا رب ارحم ضعف بدني ورقة جلدي ودقة عظمي»[2] .

ومع حيازته لمقام «لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار» المنيع يتضرع بهذا التضرع:

«ارحم من رأس ماله الرجاء وسلاحه البكاء»[3] .

الثالث: الحرية من كمالات الروح الوجودية وكل طالب ولاء محتاج اليها، لكن عندما يصل يرى كل نوع من الحرية فانياً في إطلاق وجود الحق ولا يرى لنفسه او للآخرين نصيباً. إذ وأن سيد الأولياء أمير المؤمنين (عليه السلام) في نفس الوقت الذي يقول فيه:

«ان قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار »[4] .

ومن جهة أخرى نسب اليه (عليه السلام) على نحو الإرسال:

«إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»[5] .

ولئن لم يكن هناك حديث بهذا المضمون في الجوامع الروائية فلا يوجد أي ترديد في صحة مضمونها، إذ انه لن يكون هناك عبادة أرقى من عبادة ذلك الشخص الذي ضربته التاريخية في الخندق أفضل من جميع

---

(١) امالي الصدوق، المجلس ٧٧.
(٢) مفاتيح الجنان، دعاء كميل.
(٣) مفاتيح الجنان دعاء كميل.
(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٢٢٩.
(٥) العروة الوثقى، باب النية.

العبادات ومن عبادة الجميع إلى يوم القيامة، وعبادته ليست عبادة الأحرار فحسب وإنما هي أبرز عبادتهم، ومع ذلك فهو حين يناجي الله مناجاة الواصلين يقول:

«وفكني من شد وثاقي»[1] .

مع أنه كان ايضاً متخلصاً من شباك الخوف من جهنم ومتحرراً من قيود الشوق الى الجنة.

والخلاصة ان جميع الكمالات الوجودية لا ظهور لها امام الله وانما يتضح ان الوصف الكمالي لنفس الوجود الصرف هو الذي يظهر في زجاج روح اولياء الله. والفرق بين حالة الإحتجاب وحالة الإشتهار ليس في اصل ظهور كمال الحق وإنما في العلم بذلك الظهور والجهل به، وكل علم لا يهيىء الأرضية لهذه المعرفة الخاصة فهو حجاب.

لحد الآن اتضحت نماذج من زاد طريق السالكين وكذلك من مجتنيات الواصلين في ترنماتهم الضارعة. وما هو المهم هو بيان خط الوصول بين العبد والمولى. أنه بأي طريق يصل العبد الى الحق وبأي شيء يحفظ ذلك؟

حيث ان الله سبحانه غير محدود لذا فهو أقرب الى كل شيء من سائر الأشياء حتى من نفسها فإذاً طريق الوصول الوحيد هو شهوده والحجاب الوحيد هو رؤية غيره، والحل الوحيد لرفع الحجاب هو الإنقطاع اليه بنحو لا يكون هناك شيء محل للتوجه الحسي والخيالي والوهمي والعقلي من ناحية الإدراك الحصولي، وكذلك لا يكون هناك شيء محل للرؤية الشهودية من ناحية العلم الحضوري إلا ان يكون بعنوان انه وجه الله.

﴿فاينما تولوا فتم وجه الله﴾[2] .

---

(١) مفاتيح الجنان، دعاء كميل.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٥.

عندما يصل السالك من ناحية الشهود الى حد يجد فيه ان جميع وجوده ووجود الآخرين آية عن ذلك المحجوب فسيصير مسيطراً على خواطره بشكل لا يفكر بشكل سيء ولا يطلب شيئاً سيئاً. وكذلك سيسدل ستار النسيان على رغباته الناشئة من الهوس والوسوسة ويمحيها، كما يكون له سيطرة تامة على تصرفاته وأقواله بشكل لا يقوم بخطوة على خلاف رضا الحق.

عندما يتحرر بلحاظ شهود الحق من نظر الشرك ومكره وذكره ورؤيته وطبيعته فسيشاهد تلك الذات المحيطة الصرف التي قد امتزج جمالها بجلالها وقهرها برحمتها، كما سيرىٰ أيضاً ان كمالات الوجود هي ملكه الطلق ايضاً، ويرى ان جميع عالم الغيب والشهود مرآة لجماله، ويعد القليل من الإلتفات الى المرآة حجاباً عن شهود صورتها، ويجد ان أقل رغبة هي غبار على وجه المرآة الشفاف. ونفس تلك الحالة التي تحصل للآخرين بعد الموت الطبيعي يشاهدها هو أيضاً الآن مع موته الإرادي:

﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾[1].

﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله﴾[2].

لا أن امور العالم هي اليوم بيد الآخرين وتصير في ذلك اليوم بيد الله، وإنما في جميع الأيام والأدوار صاحب الزمام الوحيد للموجودات من الذرة الى الدرة ومن الحرباء الى البيضاء هو الله تعالى. ونفس ذلك الأثر الذي يصير حاصلاً لأهل القيامة بعد ذلك الشهود الفائق بأن لا يطلبوا شيئاً سوى كمالها للأبد ولا يريدون شيئاً ايضاً من غير الله يمتلكه السالك الواصل الآن كذلك مع الموت الإرادي.

وحيث ان الثمرة الطيبة لهذه الحال هي معلومية ففي تحصيل حال عدم

(١) سورة غافر، الآية: ١٦.
(٢) سورة الانفطار، الآية: ١٩.

رؤية غير الحق هذا يكون عندهم جهاد اصغر وأكبر، كما انه لا غفلة لهم ايضاً عن الجهادين في صيانته والإستفادة من ثمرته إذ الغفلة هي نفس هذا الإحتجاب عن شهود الحق وإلا:

(جمال المعشوق ليس له نقاب وستار لكني أزل غبار الطريق لتسطيع النظر)[1].

والآن نستمع الى كلمات من لسان افضل السالكين الواصلين. المناجات الشعبانية التي هي الدستور العملي لجميع الأئمة المعصومين (عليهم السلام) تبدأ أولاً بالدعاء، ومن ثم بالنداء، وبعدها بالنجوى من العبد الى ان شيئاً فشيئاً تختم بالنداء وبعدها بنجوى المولى.

«واسمع دعائي اذا دعوتك واسمع ندائي اذا ناديتك وأقبل عليَّ اذا ناجيتك... واجعلني ممن ناديته فأجابك ولاحظته فصعق لجلالك فناجيته سراً وعمل لك جهراً».

وما قد تمنَّاه الأئمة (عليهم السلام) في هذه المناجاة هو فوق ما قد حصل لموسى الكليم (عليه السلام). إذ ان صعقة واندهاش كليم الله كانت حصيلة نظرة غير مباشرة في الحق. لأن نظرة الله سبحانه وقعت على الجبل لا على موسى ﴿فلمّا تجلّى ربه للجبل﴾.

وقد لبّى الله تعالى طلب موسى في ستر الحجاب لا من دون ستار أي ان موسى الكليم (عليه السلام) قال ﴿رب أرني انظر اليك﴾ إلهي دلني عليك وتجلَّ لي لأنظر اليك بعين الروح لا بعين الرأس لا لكي أراك. فلم يكن طالباً للرؤية المباشرة ابداً وإنما كان يتمنى النظر من دون ستار ويوجد فروق بين النظر والرؤية. وعندها قال الله تعالى إن رؤية الحق من دون حجاب ليس من نصيبك كما ان التجلي من دون حجاب لن يكون من نصيبك، وإنما وكما كان

---

(١) ترجمة شعر.

حجاب الشجرة دخيلاً حين سماع كلام الحق فحين شهود جمال الحق حجاب الجبل ايضاً له دخل وقد كانت ثمرة هذا التجلي الممتزج بالجلال للجبل غير ذلك التجلي الممتزج بالجمال للشجرة، حيث ليس انه لم يكن فيه مشقة كبيرة فحسب بل انه رفع كل نوع من الخوف والإضطراب عند موسى (عليه السلام) ايضاً.

هنا قد اندك الجبل بشكل لم يبق منه أثر، إذ ان التجلي المباشر لا يلتئم مع ظهور الغير، لكن موسى (عليه السلام) دهش وعندما عاد الى الوعي فتح شفتيه قبل كل شيء بسبوحية الحق، اذ لا قدرة لأي انسان كامل على شهود الحق دون واسطة.

﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال أرني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أولُ المؤمنين﴾[1].

فالذي كان نصيب كليم الله هو الصعقة والإندهاش الناشيء من التجلي مع الحجاب لكن في هذه المناجاة الشعبانية كأن المطلوب هو الصعقة والمدهوشية من التجلي المباشر إذ قد طلب منه انه و «لاحظته فصعق لجلالك» لا «لاحظت شيئاً آخر...».

وسر هذا التفاوت يمكن اكتشافه في الجمل السابقة إذ انه قد طلب «كمال الإنقطاع» من الله تعالى في تلك الكلمات.

«إلهي هب لي كمال الإنقطاع إليك وأنر ابصار قلوبنا بضياء نظرها اليك حتى تخرق ابصار القلوب حجب النور فتصل الى معدن العظمة وتصير ارواحنا معلقة بعزِّ قدسك».

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

لو انقطع السالك وتحرر من كل تعلق بل من كل تعين فكما أنه لا يكون أي موجود مادي حجاباً ظلمانياً له فكذلك لن يكون أي موجود مجرد حجاباً نوريا له، ولا تكون صعوبة اي مطلب علمي مانعة من نفوذ شهوده، إذ انه قد تحرر من أي نوع من الإحتياج الى العلل القابلة وارتبط بالعلة الفاعلة فحسب، ولم يعد هناك كلام عن الظرفية المحدودة والقابلة المقيدة لأنه قد استند إلى عز قدس الله فقط، وذلك المقام يمتلك تحمل جميع التجليات ايضاً، إذ أنه معدن للعظمة والكبرياء. وما ورد في خاتمة هذه المناجاة من انه:

«وألحقني بنور عزك الأبهج فأكون لك عارفاً وعن سواك منحرفاً».

متناسب مع «كمال الإنقطاع» وما ورد انه «ومنك خائفاً مراقباً» المراد من الخوف هو الإبتعاد عن تلك الملاحظة المسببة للصعق لا الخوف من النار الذي يرجع الى الكمالات الإبتدائية لتلك الذوات المقدسة، وهم يمتلكون دوماً ذلك الخوف من جهنم وسائر الكمالات الإنسانية التي وردت في الأدعية الأخرى، لكن الخوف في هذه الجملة من المناجاة هو ذلك الخوف من فقدان مقام قرب الشهود نظير قوله:

«هبني صبرت علىٰ عذابك فكيف اصبر على فراقك، وهبني صبرت على حر نارك فكيف اصبر عن النظر الى كرامتك»[1].

فاتضح إذ أن الخط الوحيد لوصول العبد والمولى هو طريق الشهود هذا إد ان سيد الألياء (عليه السلام) يقول حول وصول الملائكة ما يلي:

«ووصلت حقائق الإيمان بينهم (الملائكة) وبين معرفته تعالى وقطعهم الإيقان به الى الوله اليه، ولم تجاوز رغباتهم ما عنده الى ما عند غيره، قد

(١) مفاتيح الجنان، دعاء كميل.

ذاقوا حلاوة معرفته تعالى وشربوا بالكأس الروية من محبته وتمكنت من سويداء قلوبهم وشيجة خيفته»[1] .

ما جعل رابطاً بين الملائكة ومعرفة الله قد كان خط الإيمان الحقيقي الذي جعلهم من خلال اليقين بالله والهين وعاشقين للحق تعالى ولم تتجه رغبتهم لغير الله أبداً، وهذا المقدار من معرفة الله الذي ذاقوه شكل ارضية لأن يشربوا من كأس المحبة الزلال. وفي نفس الوقت استقرت مخافة الله في داخل ارواحهم.

هناك ثمرات كثيرة تترتب على كمال الإنقطاع قد وردت احداها في دعاء الإمام السجاد كما يلي:

«اللهم إني اخلصت بانقطاعي اليك، واقبلت بكلي عليك، وصرفت وجهي عمن يحتاج الى رفدك، وقلبت مسألتي عمن لم يستغن عن فضلك، ورأيت ان طلب المحتاج الى المحتاج سفه من رأيه، وضلّة من عقله»[2] .

«وقلت سبحان ربي كيف يسأل محتاج محتاجاً وأنى يرغب معدم الى معدم»[3] .

الخلاصة ان حصيلة الإنقطاع التام الى الله هي شهود غناه المطلق والفقر المحض للآخرين. وفي هذه الحالة فالطلب من غير الله يكون سفاهة وضلالة ورغبة خالي اليد الى المعدم والخالي اليد عجيب. إلهي غيرك وغير ما عندك لا هو هدفنا ولا طريقنا، أوصلنا انت من طريقك الى نفسك.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٩٠.

(٢) الصحيفة السجادية، الدعاء ٢٨.

(٣) الصحيفة السجادية، الدعاء ١٣.

«يـــا نعيمـــي وجنتـــي، يـــا دنيـــاي وآخـــرتـــي، ويـــا أرحـــم الراحمين»[1] .

العبد عبد الله الجوادي الآملي
٢٥ الشهر المبارك ١٤٠٨ هـ. ق.
قم المقدسة

(١) مفاتيح الجنان، مناجاة المريدين.

الدروس

الدرس الاول

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ـ بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله، وصلى الله على جميع الأنبياء والمرسلين والأئمة الهداة المهديين، بهم نتولى ومن أعدائهم نتبرأ الى الله.

مقدمة:

البحث الجديد الذي نشرع به بفضل الله في هذا الدرس هو بحث ولاية الإنسان في القرآن الكريم والذي كما يرتبط بالبحث السابق (كرامة الإنسان في القرآن) فكذلك سيكون ارضية للأبحاث المقبلة.

الولاية في اللغة:

الولاية التي هي القرب تُعد في اللغة من المفاهيم الإضافية. لو وضع شيء جانب شيء يقال «وَليه» أي اقترب منه. وبما انه لو كان شيء قريباً من شخص او شيء ما فذلك الشيء او الشخص سيقتربان من ذلك الشيء ايضاً، فبناءً عليه الولاية كمثل الأخوة، اضافة متوافقة الأطراف لأن طرفي هذه

الإضافة متساويان، بخلاف الأبوة والنبوة ونظائرها، اذ حيث ان طرفيها مختلفان مع بعضهما تسمى متخالفة الأطراف.

على هذا الأساس فإذا صار الانسان وليَّ الله فالله ايضاً وليُّه، كما انه اذا كان الله وليَّ شخص اي كان قريباً منه فهو ايضاً سيكون وليَّ الله. وهذا مقتضى الإضافة المتوافقة الطرفين.

الولاية في القرآن:

لكن الولاية المطروحة في القرآن قرب خاص من الممكن ان يكون حاصلاً من طرف واحد ولا يكون حاصلاً من الطرف الآخر بل يكون هناك بعد من جهته مثلاً الله سبحانه قريب من الكافر والمؤمن بنفس المستوى **﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾**(1) ولكن من تلك الجهة فالمؤمن وبسبب إتيانه بالأعمال المقربة والعبادات قريب إلى الله، أما الكافر وبسبب ترك الأعمال المقربة وارتكاب الأعمال اللامرضية فبعيد عن الله **﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾**(2).

بناء على هذا فلو كان هناك تفاوت فهو من جهة العبيد لا من جهة الله، لأن الله تعالى قريب للجميع لكن الجميع لا يملكون هذا القرب بالنسبة الى الله بل بعضهم قريب وبعضهم بعيد.

الاضافة الاشراقية والمقولية:

فالولاية التي تطرح في القرآن ليست بهذا المعنى اللغوى البسيط إذاً لتكون من مقولة إضافة متوافقة الطرفين. وفي النتيجة اذا اقترب شخص من الله يكون الله أيضاً قريبًا منه، وإذا كان الله قريباً من شخص يكون هو أيضاً

---

(1) سورة ق، الآية: ١٦.

(2) سورة فصلت، الآية: ٤٤.

قريباً الى الله.

فروابط ذات طرفين كهذه انما تكون في الاضافات الإعتبارية لا في الإضافات الواقعية. لأنه في الإضافات الإعتبارية والمقولية تبتني الإضافة على طرفين. إذاً كان شخص ما مثلاً قريباً من الحائط فذلك الحائط ايضاً قريب منه.

القرب أمر اضافي وهذا الأمر الإضافي يرتبط بالطرفين المضاف والمضاف اليه، لذا فكل حكم يكون لطرف فهو للطرف الآخر ايضاً، لأن هذه الإضافة امر اعتباري وتعتمد على طرفين ولا يمكن ان يكون طرف ما واجداً لصفة والطرف الآخر فاقد لها.

نظير القرب والبعد المكاني والزماني حيث لو كان موجود ما قريباً من مكان أو زمان ما كان ذلك المكان أو الزمان قريبين ايضاً لذلك الموجود، ولو كان موجود ما بعيداً عن زمان او مكان معينين فذلك الزمان والمكان المعينين ايضاً بعيدين عنه. لكن لو كانت الإضافة واقعية وهي التي يعبر عنها بالإضافة الإشراقية فأساس هذه الإضافة قائم على المضاف اليه ثم تظهر الإضافة، وفي ظل الإضافة يظهر المضاف.

مثلاً بين الإنسان وصوره النفسانية يوجد اضافة علمية فالإنسان عالم وهذه الصور النفسانية هي المعلوم، وبين هذا العالم وذلك المعلوم يوجد إضافة علمية. وهذه الإضافة إضافة إشراقية، أي ان النفس بواسطة إشراف معين توجد صورة في ساحتها، لأنه لم يكن يوجد شيء قبل ذلك في ساحة النفس لتقيم الروح معه إضافة مقولية واعتبارية، بل النفس هي التي تخلق تلك الصورة وأثناء خلقها لها يقيم ذلك المضاف ارتباطاً مع النفس في ظل خلق النفس.

فالنتيجة ان الإضافة على قسمين: إضافة اعتبارية أو مقولية وإضافة

إشراقية.

في الإضافة الإعتبارية تكون الإضافة تابعة للطرفين والإرتباط بالطرفين على حد واحد، أما في الإضافة الإشراقية فالطرفان ليسا متساويين، بل المضاف اليه أصل والمضاف فرع للإضافة وببركة الإضافة يظهر المضاف. ولأجل تقريب ذلك للذهن يمكن ملاحظة مسألة الخطاب في القرآن الكريم.

اقسام الخطاب في القرآن:

في القرآن الكريم الخطاب على قسمين: خطاب اعتباري وخطاب تكويني. والخطابات الإعتبارية هي الخطابات التي تترافق مع الأوامر والنواهي التكليفية. مثل:

﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام﴾[١]. أو: **﴿اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾**[٢].

الخطابات الإعتبارية متفرعة على وجود متكلم ومخاطب. أما الخطاب الحقيقي فليس كذلك وإنما هو متفرع على المتكلم، والمخاطب ينشأ من الخطاب ويتولد بواسطة الخطاب، مثل:

﴿إنما امره إذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون﴾[٣].

هذا الخطاب الذي هو خطاب تكويني لا اعتباري ليس متفرعاً على وجود مخاطب بل هو بنفسه يخلق المخاطب. طبعاً حيث ان خطاب المعدوم المحض مستحيل ففي الخطابات التكوينية تجعل الصور العلمية للموجودات مخاطباً، أي ان الله سحانه وتعالى يخاطب الموجود الذي له حضور في نشأة علمه وذلك الموجود مع تلقي هذا الخطاب يتنزل ويتحقق له وجود خارجي.

---

(١)سورة البقرة، الآية: ١٨٣.
(٢)سورة البقرة، الآيات: ٤٣، ٨٣، ١١٠.
(٣)سورة يس، الآية: ٨٢.

فالخطاب إذاً على قسمين: الخطاب الإعتباري المتفرع على وجود المتكلم والمخاطب والخطاب الحقيقي الذي يعتمد على وجود المتكلم فقط والمخاطب متفرع عليه.

الولاية إضافة اشراقية:

مع الإلتفات لما مر يتضح أن الإضافة المقولية والخطاب الإعتباري متوقفان على طرفين، أما الإضافة الإشراقية والخطاب التكويني فيقومان على أساس واحد فقط. ويوجد أمور كثيرة من هذا القبيل. والولاية أيضاً بهذا الشكل، أي ان الولاية الواقعية امر زمامه فقط بيد المولى والمولّى عليه فرع لهذه الرابطة الولائية أما الولايات الاعتبارية فتقوم على أساسين (دعامتين) نظير الرابطة الولائية القائمة بين أفراد الإنسان. طبعاً في بعض الموارد قد امر بهذه الرابطة وفي بعضها الآخر قد نهي عنها. فحيث يكون الطرفان مؤمنين فقد أُمر بتلك الولاية، أمّا في الموضع الذي يكون احدهما مؤمناً والآخر كافراً فقد نُهي عن تلك الولاية؛

الولي من الأسماء الحسنى الإلهية:

البحث الذي سنقوم به بتوفيق الله سبحانه ليس بحثاً اجتماعياً وفقهياً وأمثال ذلك وإنما نحن نتبع ارشادات القرآن الكريم التي كانت لأجل صيرورة الإنسان ولياً لله. والوصول الى هذا الهدف السامي ليس سهلاً قبل طرح الولايات الإعتبارية وتحليل الأصول التمهيدية.

النكتة الأولى التي يعلمنا إياها القرآن هي ان احد الأسماء الحسنى لله تعالى هو «الولي» **﴿فالله هو الولي﴾**[1] ليس فقط ان الله له ولاية وإنما الولي هو الله فقط. إذ انه بناء على التوحيد الأفعالي لا يعقل ان يكون لموجود قدرة

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٩.

إدارة شيء أو شخص.

الولاية بمعنى الإدارة مختصة بالله سبحانه، واذا كان في القرآن الكريم قد اثبت للشيطان والطاغوت ولاية إيضاً مثل ﴿الله ولي الذين آمنوا. . . والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت﴾[1] فليس ذلك بمعنى ان الطاغوت والشيطان لهم ولاية في مقابل الله. بل الشيطان هو أحد المأمورين لله، وإذا لم ينتفع شخص ما من الولاية الخاصة الإلهية فالله سبحانه يسلط عليه الشيطان الذي هو مأمور من مأموريه، وإلا فليست ولاية الشيطان في عرض ولاية الرحمٰن. وليس الشيطان فحسب بل لا يوجد اي مخلوق في عرض الله سبحانه إذ ﴿لا شريك له﴾[2] و﴿ليس كمثله شيء﴾[3]. فولاية الطاغوت إذاً او الشيطان أو امثال ذلك يتم إعمالها من قبل الله كعذاب منه تعالى.

الإنسان يجب ان يصير مظهراً لإسم «الولي»:

الخلاصة ان الولاية بمعنى الإدارة هي من الله سبحانه وحده، ولذا فإن الله تعالى قد مدح نفسه وعرفَّها بهذا الإسم «فالله هو الولي». والإسم الذي يذكره الله لنفسه ويمدح نفسه بذلك الوصف انما هو لأجل ترغيب السائرين في الطريق الإلهي لكي يطووا ذلك الطريق هم أيضاً ويصيروا مظهراً لذلك الإسم.

أنبياء الله وأولياؤه مظهر لهذا الإسم المبارك ولهم قدرة على القيام بأعمال كثيرة. اسعوا انتم لتكونوا مظهر «هو الولي»، فإذا لم تستطيعوا ان تصلوا إلى ان تكونوا مظهراً للولاية في الخلق كعيسى المسيح سلام الله عليه الذي يقول:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٦٣.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.

﴿إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير بإذن الله﴾[1] .

فاذا لم تستطيعوا ان تصلوا نظير سائر اولياء الله إلى ان تطووا الأرض وأمثال ذلك، فعلى الأقل كونوا أولياء شؤون انفسكم، أي كونوا أولياء عيونكم وأسماعكم، أولياء خيالكم ووهمكم وشهوتكم وغضبكم.

ما يقوله البعض من أنه نحن نريد الاَّ نذنب لكن ذلك ليس بمقدورنا فذلك إنما هو بسبب كونهم موالي للشهوة (هم مولى عليه بالنسبة للشهوة) والشهوة مولاهم، وهؤلاء ايضاً في حالة الغضب لا يملكون قدرة الضبط لأنهم موالي الغضب والغضب هو مولاهم. وإذا صار شخص مولى لقوة من قوى النفس فلن يصير مظهراً لـ«هو الولي» ابداً. ولقد وردت روايات عدة عن طريق العامة والخاصة أنه إذا كان الشخص مالكاً لنفسه في حال الرضا والغضب فهو من أهل السعادة.

هذا النوع من الروايات ناظر لهذا المقام بأن يصير هؤلاء مظهر «هو الولي» في شؤونهم النفسانية على الأقل. الحد الأدنى للولاية التي يجب ان يحصلها الإنسان هي ان يكون مولى (له الولاية) عينه وأذنه وبقية شؤونه، لا يرى كل ما تريده العين وإنما كلما اراده هو تراه العين.

وقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) انه قال: «اعطوا أعينكم حظها من العبادة».

فقيل: «وما حظها من العبادة يا رسول الله؟».

فقال: «النظر في المصحف والتفكر فيه والإعتبار عند عجائبه»[2] .

النظر للقرآن والكتب العلمية المستفادة منه تأدية لحق العين. فعين

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.

(٢) المحجة البيضاء: ج٢ ص٢٣٩.

كهذه تكون مولّىً عليها وصاحب العين هو مولاها. أما اذا لم يتمكن شخص من ضبط نفسه أمام ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم**﴾[1] فهذا عينه هي مولاه وهو مملوك عينه.

بناء على هذا وإن كان تحصيل الولاية في خارج شؤون النفس امراً صعباً، ولكن تحصيل الولاية في شؤون النفس امر لازم على الجميع وإن كان ذلك ليس سهلاً أيضاً.

فأحد الأسماء الحسنى لله سبحانه إذا هو «الولي» كما قد ورد في الآية الكريمة: ﴿**أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي**﴾ ودليل ذلك أيضاً ذيل الآية المباركة ﴿**وهي يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير**﴾[2] فالذي تكون الحياة بيده والقدرة المطلقة له هو الولي.

وهذا المعنى ظاهر بالنسبة للإنسان الساعي في تهذيب النفس، أما للآخرين فهو يظهر في حالة الخطر أي يفهم الإنسان ان ما يراه ملكاً له لا يداوي وجعه ولا شيء يتحقق من الآخرين أيضاً. يوم الخطر يعلم انه ﴿**هنالك الولاية لله الحق**﴾[3]. الولاية (بفتح الواو وكسرها) بمعنى المولوية والقيادة (الإدارة).

صدر الآية المباركة في سورة الكهف كما يلي:

﴿**واحيط بثمره فأصبح يقلب كفيَّه على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احداً * ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً * هنالك الولاية لله الحق**﴾[4].

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٩.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٤٤.

(٤) سورة الكهف، الآيات: ٤٢ـ ٤٤.

أي انه مهما حدثوا ذلك الرجل المتمكن لم يتعظ وكانت عاقبته ان جاء يوم صار فيه يقلب كفية من شدة الحسرة والغم إذ كل هذه المصارف التي أنفقها في هذا البستان قد خسرها دفعة واحدة ولم ينصره أحد. كما لم تكن له هو أيضاً قدرة على الإنتصار والإنتقام. فعندها اتضح أنه قد سلبت من قدرة الإنتصار والإنتقام كما لا قدرة له على الإستفادة من نصرة الآخرين حينها فهم أن: «هنالك الولاية لله الحق».

ظهور الحقيقة:

«هنالك» ليس بمعنى انه حيث احترق البستان وقعد كل ذوي القدرة جانباً فحينها وصلت النوبة لله، وإنما بمعنى أنه حيئذ فهم هذا الشخص هذه النكتة. ليس [صحيحاً] أن ولاية الله أيضاً لها دور (نوبة) وإنما معنى الآية المباركة انه هنالك يظهر ان الولاية التامة منحصرة بالله سبحانه وتعالى، لا أنه هنالك تحدث الولاية.

وهذا المطلب نظير الآية المباركة في سورة النور: «**والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة**»[1] بقيعة وبقاع بمعنى الصحراء المنبسطة. عندما تكون الصحراء منبسطَة يكون أفقَ الرؤية وسيعاً ولذا يرى الإنسان جميع أطراف الأفق ماءً زلالاً، وإذا كان ظمآناً فإنه يتحرك بذلك الإتجاه بسرعة. اما الإنسان العاقل فيعلم انه سراب وليس بماء. وكذلك لو كان الشخص غير عطشانٍ فحتى لو رأى سراب الماء فانه لن يسير نحوه. الكافر كمثل الظمآن الذي يرى السراب ويتجه نحوه، وحين يصل الى نهاية الطريق ولا يجد شيئاً فسيجد الله هناك.

معنى هذه الجملة انه في تلك الحال سيفهم ان الله قد كان معه، لا أنه

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٩.

هناك سيصير الله معه وقبل ذلك لم يكن معه ﴿اذ هو معكم اينما كنتم﴾[1] و ﴿هو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾[2] وأمثال ذلك.

إذاً عندما يقول في سورة الكهف انه يوم يفقد الإنسان المتنفذ ما له ففي ذلك اليوم «هنالك الولاية لله الحق» ليس بمعنى أنه في تلك اللحظة انتهت ولاية الآخرين وحدثت ولاية الله، بل بمعنى انه في تلك اللحظة تظهر ولاية الله لذلك الشخص. وكذلك فليس المقصود من «ووجد الله عنده» في سورة النور المباركة ان الله يحضر ويظهر في ذلك المقطع، لأن الله حاضر في كل الشؤون والشرائط «هو معكم اينما كنتم» غايته ان التفاوت من هذه الجهة انه تارة يراه الإنسان وتارة لا يراه. وهذا دليل على ان هذه الولاية اضافة اشراقية، وليست كالإضافة المقولية متوقفة على طرفين وإنما هي متوقفة على المضاف اليه. والمعية أيضاً هكذا. المعية تارة تكون اعتبارية كأن يكون لشخصين معية في مكان ما أو أي عضوين من هيئة ويكونان معاً تحت سقف امرٍ اعتباري واحد. ومعية كهذه في كلا الطرفين على حد واحد.

زيد له معية مع عمرو وعمرو مع زيد له معية ايضاً. أما في المعية التكوينية فالمعية ذات طرف واحد. الله له معية اما الكافر فهو وحيد، وحين يحل الخطر يفهم عندها «هنالك الولاية لله الحق» عندما يصل الى السراب «وجد الله عنده» في ذلك الوقت يرى نفسه مع الله ويعتقد ان الله معه.

النتيجة:

الخلاصة ان الولاية بمعنى القرب قسمان: القرب الإعتباري الذي نسبته للمتواليين على حد واحد والقرب الحقيقي الذي هو مثل سائر الإضافات الإشراقية والحقيقية، وزمام الإضافة فيها بيد المضاف اليه

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٤.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٨٤.

والمضاف تابع. والمعية والولاية ونظائرها ايضاً كذلك.

وأحد الأسماء الحسنى لله سبحانه «الولي» والإنسان يجب ان يسعى ولو في حدود شؤون نفسه لأن يصير مظهراً لهذا الإسم. ليتمكن من هذا الطريق ان يتجاوز مقدماتِ ويعبر خارج نفسه ويصير ولي منطقة اوسع.

والحمد لله رب العالمين

الدرس الثاني

النظم المنطقي للبحث

البحث في ولاية الإنسان في القرآن الكريم.

النظم المنطقي للبحث عبارة عن انه اولاً: يفسر معنى الولاية أنه «الولاية ما هي؟» ثم يبحث اصل وجودها أي «الولاية هل هي [موجودة]» ام لا؟ ثم نشرح اقسام الولاية «الولاية كم هي؟» وأثناء هذه الأقسام يتشخص حكم كل قسم، وحينئذ يتشخص علة ثبوت بعض الأحكام لبعض الأشخاص والأقسام «الولاية لم هي؟».

ماهي الولاية:

اما المطلب الأول اي: «ما هي الولاية؟» الولاية التي هي بمعنى الإتصال والقرب تارة تستعمل في الأمور المعنوية وتارة في الأمور المادية والجسمانية. ويقال للأمرين اللذين يقعان متعاقين ان بينهما توالي. الحادثتان اللتان تحصلان متعاقبتين بينهما موالاة. إذ ان «ولي» يعني قرُب، والحادثة الثانية قرب الحادثة الأولى. فبناء عليه بينهما ولاءاً وموالاة أو

توالي. وحلقات سلسلة من الحوادث التي تحصل الواحدة تلو الأخرى هذه الحلقات أيضاً متوالية. فالموالاة والتوالي اذن عبارة عن ارتباط الحوادث مع بعضها وقرب كل حادثة من الحادثة الآخرة.

وكما ان هذه الموالاة قائمة في الأمور المادية والمحسوسة فهي كذلك موجودة في الأمور المعنوية. في المقدمة يجب ذكر الموالي والمتوالي لكي تستخلص النتيجة. لو كان لقضية ما علاقة علية ومعلولية مع قضية اخرى يقال ان إحداهما مقدَّم والأخرى تالي. وفي الحقيقة حيث ان التالي يلي المقدم وفي تلوه فقد سمّي والياً او تالياً. وتتالي الآنات والأزمنة هو نفس توالي الأزمنة والآنات وأمثال ذلك.

وجود ارتباط بين الأمور المتوالية ضروري بشكل لو لم يكن هناك أي ارتباط بين شيئين وكانا كما الحجر في جنب الإنسان فلا معنى للعلاقة الولائية بينهما.

هذا الإرتباط والتأثير قسمان: إما متقابل ومتبادل أو أنه من طرف واحد.

إذا كان التأثير متقابلاً ومتبادلاً فتلك الموالاة ايضاً متبادلة. أي ان الأول وليُّ الثاني والثاني وليّ الأول. أما إذا كان التأثير من طرف واحد فالأول وليُّ الثاني لكن الثاني هو مولى عليه بالنسبة للأول. في الصورة الأولى هذه الإضافة متوافقة الأطراف مثل الأخوة، وفي الصورة الثانية ستكون متخالفة الأطراف مثل العلّية والمعلولية او الأبوة والنبوة وأمثال ذلك.

الولاية التي هي امر إضافي اذا كانت مترافقة مع تأثير وتأثر متقابلين تكون من الاضافات المتوافقة الأطراف بحيث يكون الطرفين أولياء بعضهما، أما اذا كان التأثير والتأثر من جانب واحد فمن طرف سيكون هناك ولاية ومن

الطرف الآخر وضعية المولى عليه. الولاية في امثال هذه الموارد تقرأ بفتح الواو ويعبر عن الشخص الولي بالوالي. إذ أن الوليَّ بمعنى الوالي وبمعنى المولى عليه ايضاً: والمولى أيضاً كذلك. اما الوالي فتستعمل في خصوص المدير (القائد) وتطلق على الشخص الذي له ولاية (بفتح الواو) **﴿هنالك الولاية لله الحق﴾**[1] الله والي والولاية لله الذي هو مدير (مدبر).

اذاً لو كان هذا التأثير والتأثر متبادلاً فالموالاة من كلا الطرفين (ذات طرفين) وإذا كان من جانب واحد فهنا يكون الكلام عن الولاية (بفتح الواو) لا الوِلاية (بكسر الواو) وفي هذه الصورة يكون احدهما والياً والآخر مولّى عليه.

هذه خلاصة الكلام في الأمر الأول.

الوجود الخارجي للولاية:

اما المطلب الثاني الذي هو «الولاية هل هي؟» هل هي موجودة ام لا؟ فتحقيق المطلب ان إثبات الولاية بمعنى التأثير والتأثر المتقابل سهل، لأن الإنسان ليس موجوداً منفصلاً عن حلقة نظام الوجود بل هو في حالة ارتباط مع الموجودات الأخرى.

أفراد الإنسان ايضاً مرتبطون مع بعضهم. ومن هذه الجهة يمكن ان يكون هناك ولاية ومحبة ونصرة قائمة بين شخصين وهذا هو التأثير والتأثر المتقابل والمتبادل. يكون إنسان صديقاً لإنسان آخر أو ناصراً له بشكل يتمتعان به بالمحبة والصداقة كما ينتفعان من نصرة وعون بعضهما. هذه الولاية أي المحبة والنصرة هي التأثير والتأثر المتبادل الموجود بين افراد الإنسان.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٤.

وأما اثبات أصل وجود الوَلاية (بفتح الواو) في العالم فهي ايضاً سهلة الى حد ما. إذ ان الشخص الذي يرى نفسه في كثير من الأمور عاجزاً وغير قادر يعَلم انه يلزم ان يجعل نفسه تحت تدبير وولاية مدبر يتخذه كمدير له. فأصل وجود الولاية (بالفتح) في العالم ايضاً محرز. العمدة في الأمر ان يعمل الإنسان سواء في الولاء المتبادل (حيث تكون الإضافة متوافقة الأطراف) أو في الولاء الذي هو من جانب واحد (حيث تكون الإضافة متخالفة الاطراف) بشكل دقيق ومحسوب وأن يكون مستضيئاً بشعاع العقل والوعي في اتخاذ ولي. ما يبينه القرآن الكريم حول اتخاذ الولاء المتقابل هو أن المؤمنين اخوة لبعضهم وأن هذه الأخوة يجب ان تحفظ موالاتهم فسواء الكلام عن ﴿**انما المؤمنون اخوة**﴾[1] او عن ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض**﴾[2] كل من هاتين الجملتين جملة خيرية لكنها ألقيت بداعي الإنشاء. أي: ايها المؤمنون كونوا اخوة وأولياء لبعضكم وليكن بينكم ولاء متقابل. وحيث ان الإنسان لا يمكنه ان يكون ذا ولاء مع المؤمن ومع غيره في نفس الوقت، لذا كما بين القرآن الكريم الطريق الولائي للإنسان كذلك قد نصب له على الطريق ايضاً سبيل اعلان الإنزجار والعداوة وقال: لا تقم ولاية مع اليهود والنصارى ابداً: بل لا تقم ولاية مع الكافرين (مهما كانوا) أبداً، واكثر من هذا ﴿**لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء**﴾[3] وأخيراً يقول اذا كان آباؤكم وابناؤكم ليسوا على نهجكم الديني فلا تقيموا معهم علاقة ولائية. اذا لم يكن هناك تخلية في البدء اي تهذيب النفس من تلك الولاءات الكاذبة والباطلة فلن يكون الطريق مفتوحاً للتجلية والتحلية. في البدء يجب ان يتشخص تبري الإنسان وعندها يوجه ميوله.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٣) سورة الممتحنة، الآية: ١.

والله تعالى كما انه يبين مسألة التبري احياناً بصورة جملة انشائية وأحياناً بصورة جملة خبرية فكذلك مسألة التولي يلقيها احياناً بصورة الإنشاء وأحياناً بصورة الأخبار . . .

الدرس الثالث

تلخيص لما مر

البحث هو في ولاية الإنسان في القرآن الكريم. افضل طريق ففي البحث هو مراعاة الطريقة المنطقية بأن تتضح اولاً «ما هي الولاية؟» ثم يبحث عن وجود الولاية «الولاية هل هي [موجودة]» بعدها يحلل دليل الإثبات وطريق الوصول الى هذا المعنى «الولاية لم هي؟» وبعبارة اخرى المبدأ الفاعلي للولاية والسير والسلوك الذي يكون نتيجته مقام الولاية ما هو؟ وأخيراً يجري الكلام حول الأقسام اي «الولاية كم هي؟» وتحلل ايضاً آثار وعوارض كلٍ من اقسام الولاية.

ما هية الولاية:

حول ما هية الولاية تارة يقال ان بين الولاية (بكسر الواو) والولاية (بفتح الواو) تغاير وتباين نوعي فالولاية (بكسر الواو) فبمعنى المحبة والنصرة وأمثال ذلك وأما الولاية (بفتح الواو) فبمعنى التدبير والقيادة (الإدارة). وسينفصل البحث حول ولاء المحبة والنصرة عن ولاء التدبير والقيادة (الإدارة) بشكل قهري. ونحن بالفعل نبحث هذين الأمرين

بشكل منفصل ايضاً لكن في خاتمة البحث سيتضح بإرادة الله سبحانه أنه لهما جامع حقيقي يوجد بينهما تباين نوعي.

ولاء النصرة والمحبّة:

في بحث ماهية الولاية نحلل ولاء النصرة والمحبة كما نحلل ولاء التدبير والقيادة (الإدارة). أما ولاء النصرة والمحبة فهو عبارة عن ان يتمتع شيئان بمحبة بعضهما بسبب القرب من بعضهما البعض. وأن يكونا ناصري ومعيني بعضهما البعض. وهذا المعنى كما يفرض بين افراد الإنسان بالنسبة لبعضها فهو مفروض بين الإنسان والله تعالى وبين الله سبحانه وعباده ايضاً.

هذا القرب في الأمور المادية من باب الإضافة المتوافقة الأطراف. أي انه إذا كان جسم ما قريباً من جسم آخر فذلك الآخر ايضاً قريب منه. كما انه إذا كان جسم بعيداً عن جسم آخر فذلك الآخر ايضاً بعيد عنه. لكن في الأمور المعنوية من الممكن ان يكون من قبيل الإضافة المتخالفة الأطراف، أي يمكن ان يكون أمر قريباً من آخر لكن الآخر بعيد عنه. مثلاً الله سبحانه قريب لجمع أفراد الإنسان سواء المؤمن والكافر **﴿نحن أقرب اليه من حبل الوريد﴾**(١) لكن من ذلك الجانب فالمؤمن من حيث انه يمتلك اعمالاً بقربه فهو قريب من الله وأما الإنسان المحروم من عامل قربه هذا فهو بعيد عن الله **﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾**(٢) الله تعالى ليس بعيداً عن أحد إذ **﴿هو معكم إينما كنتم﴾**(٣) ومثلُ الكفار بالنسبة الى الله تعالى كمثل الأعمى بالنسبة الى البصير فالبصير قريب من الأعمى ولكن الأعمى بعيد عن البصير. أي ان البصير يرى الأعمى لكن الأعمى محروم من مشاهدة البصير الذي الى جانبه.

---

(١) سورة ق، الآية: ١٦.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٤.

(٣) سورة الحديد، الآية: ٤.

العبد هو مبدأ الولاية:

حيث ان الولاية تنتج عن القرب فيجب ان تشرع من جهة العبد، لأن هذا القرب من ناحية الله تعالى حاصل شئت ام أبيت. الله سبحانه الذي هو **﴿بكل شيء محيط﴾**[(١)] لا يعقل ان يكون بعيداً عن شيء. إذاً لو أراد الإنسان ان يقيم هذه الإضافة فيجب ان يقرب نفسه من الله بواسطة الأعمال المقبولة. فإذا صار قريباً فقد اهتدى الى طريق الولاية بمعنى النصرة والمحبة. وإذا لم يقترب فلن تكون النصرة والمحبة ايضاً من نصيبه فضلاً عن المقامات الأعلى للولاية.

الإتيان بالأعمال القريبة كمثل الصلاة حيث «الصلاة قربان كل تقي»[(٢)] والزكاة التي ورد فيها: «إن الزكاة جعلت مع الصلاة قرباناً»[(٣)] هذا الإتيان يقرب الإنسان من الله، وعندها فهذا القرب الحاصل يجعل الإنسان حبيب الله كما يجعل الله حبيب الإنسان. يصير الإنسان ناصراً لدين الله كما ان الله سيكون ناصراً له.

محصول الولاية في هذا الإطار الذي هو من المراحل الأولية هو المحبة والنصرة. والآيات التي هي نظير قوله تعالى: **﴿إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾**[(٤)] ناظرة الى هذه المحبة المتبادلة الإنسان المؤمن ولي الله وحبيبه والله ايضاً وليه وحبيبه. كما ان ولاية النصرة يبدأ في هذه المرحلة. هذه الآية الشريفة **﴿ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم﴾**[(٥)] تثبت ولاء النصرة ايضاً اي انكم انتم ناصرون والله منصور، وكذلك الله ناصر

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٥٤.
(٢) من لا يحضره الفقيه: ج١ الحديث ١٣٧.
(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٠.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣١.
(٥) سورة محمد، الآية: ٧.

وأنتم منصورون. وحيث ان عمليات المحبة هذه هي في اطار الفصل ولا شغل لها بمقام الذات الإلهية المقدسة

فمنصورية الله لا تستتبع اي محذور. فالمقصود من منصورية الله منصورية دينه، والمراد من محبوبيته محبوبية كمالات تلك الذات المقدسة. والا فان عنقاء الذات الإلهية المحلقة عالياً لا تصاد من قبل السالك. بناء على هذا فالإنسان في بداية الأمر وبواسطة إتيان الفرائض والنوافل ينال ولاء المحبة والنصرة. وحيث ان هذه الولاية بمعنى محبة الله سبحانه ونصرته، وكلما هو مع الله فهو حق، فهذه الولاية إذن ستكون بمحض محبة الحق ونصرته وليس فيها كشف خلاف ابداً.

أي ان محبة الله ونصرته كما انها في الدنيا حق فكذلك بعد الموت تتجلى حقانيتها. لكن لو أقام شخص هذه الموالاة وهذا القرب والإرتباط مع غير الله فهناك يوجد ايضاً ولاية وتقرب، لكن حيث ان مع غير الله فله ارتباط ولائي مع الباطل إذ **﴿فماذا بعد الحق الا الضلال﴾**[1] او **﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل﴾**[2] وحيث انه في الدنيا الحق والباطل مختلطان فلا يكشف ان الواقع خلاف ذلك لكن يوم القيامة الذي هو يوم ظهور الحق والذي ليس فيه طريق للباطل اصلاً تظهر حقيقة المحبة الباطلة التي هي عداوة صادقة. كما يبرز باطن النصرة الكاذب الذي هو الخذلان الصادق. وفي هذه الجهة **﴿ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو﴾**[3] لا أنهم يصيرون أعداء في ذلك اليوم، وإنما تظهر عداوتهم يوم القيامة لأنهم في الدنيا كانوا في الحقيقة يعادون بعضهم وكان عندهم محبة صورية، فلهذا تختفي هذه المحبة الصورية وتظهر تلك العداوة الحقيقية.

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣٢.
(٢) سورة الحج، الآية: ٦ وسورة لقمان، الآية: ٣٠.
(٣) سورة الزخرف، الآية: ٦٧.

﴿إلا المتقين﴾ إذ ان محبة المتقين حقيقية، باطنها حق كظاهرها ولهذا تبقى هذه المحبة في القيامة كذلك وتتجلى الى ان تصل الى حد الشفاعة. بناء على هذا فنتيجة الولاء والقرب في أوائل الأمر المحبة والنصرة سواء كان الولاء مع الله ام مع غيره غايته ان نتيجة الإرتباط مع الله المحبة والنصرة الصادقة بينما نتيجة تبادل الإرتباط مع غير الله المحبة والنصرة الكاذبة.

ما هية الولاية في القرآن:

يوجد قي القرآن الكريم في المقام الأول للبحث «الولاية ما هي؟» آيات كثيرة.

يقول في سورة آل عمران المباركة الآية٢٨:

﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين﴾.

إذ ان هذه اول مرحلة الولاية التي يكون محصولها المحبة والنصرة تصل الى تلك المرحلة النهائية التي نتيجتها الإدارة والتدبير:

﴿ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير﴾.

في سورة المائدة المباركة (حيث يوجد الكثير من مسائل الولاية من هذه السورة الكريمة) الآية ٥١ تقول:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين﴾.

لا تتخذوا هؤلاء بصفة أولياء. اذ أن من يتخذهم بصفة أولياء يتخذهم بصفة محب ومحبوب وناصر ومنصور من الممكن ان يقوم باتخاذهم أولياء بمعنى المدبر والقائد (المدير) ولذا من أجل الا يقع الإنسان في ذلك الخطر المهم يمنع الله سبحانه في البدء ولاء القرب والمحبة والنصرة لئلا ينتهي الى

ولاء التدبير والقيادة (الإدارة).

يقول في الآية ٥٤ من نفس هذه السورة:

﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾.

هذه الولاية متقابلة ومحصولها المحبة المتقابلة، يقول: اذا ابتعدتم عن دينكم فإن الله سبحانه سيأتي بقوم محبوبون لله كما ان الله محبوبهم وينصرون دينه.

والآية ٥٧ من هذه السورة المباركة ما يلي:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء﴾

لا تتخذوا أهل الكتاب والكفار بصفة أولياء، أي لا تقيموا معهم اولاً علاقة محبة لئلا تنتهي شيئاً فشيئاً الى علاقة ولاء تدبير وقيادة (ادارة).

وفي نفس هذه السورة الآية ٥٥ قد طرحت ولاية امير المؤمنين (عليه السلام):

﴿انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾.

وأساس الولاية في هذا القسم من الآيات هو ولاية التدبير والقيادة (الإدارة) يقول في سورة الأنفال:

﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قومٍ بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون

بصير﴾[1]

اي ان المهاجرين والأنصار أولياء بعضهم البعض، أما الذين لم يكونوا من أهل الهجرة والإيمان فليسوا يتمتعون بولايتكم، لا هم يتنعمون بولاء نصرتكم ولا هم يتمتعون بولاية تدبيركم وقيادتكم (ادارتكم) وقد وردت الولاية هنا (بفتح الواو) حيث تنفي التدبير والقيادة كما تنفي المحبة والنصرة وأما الوَلاية (بفتح الواو) التي في سورة الكهف ﴿**هنالك الولاية لله الحق**﴾[2] فهي ولاية التدبير والقيادة.

ثم يقول في الآية ٧٣ من سورة الأنفال:

﴿**والذين كفروا بعضهم أولياء بعض**﴾.

الكفار أولياء بعضهم البعض ويتمتَعون بمحبة ونصرة بعضهم لبعض.

والمؤمنون أيضاً أولياء بعضهم وينتفعون من محبة ونصرة بعضهم البعض.

لكن هاتان المجموعتان ليستا بمستوى واحد وإنما معيار الولاية هو مركز القرب فإذا كان مركز الولاية هو الحق فهذه الولاية وتلك المحبة والنصرة حق وليس فيها كشف خلاف، واذا كان مركز القرب الباطل فهذه الولاية ونتيجتها من المحبة والنصرة كلها باطلة وفيها كشف خلاف.

عاقبة الولاية الباطلة:

يقول في سورة التوبة المباركة الآية ٧١:

﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض**﴾.

وعلامة ذلك انهم يدعون بعضهم الى الخير.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٧٢.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٤٤.

﴿يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ .

أما السر في ان ولاية المنافقين باطلة وان محصولها المحبة والنصرة الكاذبة فقد بيِّن في سورة التوبة الآية ٦٧ حيث يقول:

﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض﴾ .

اي انهم حقيقة واحدة في ألبسة متعددة.

﴿يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف﴾ .

يدعون بعضهم للسيئات ويمنعون بعضهم من الأعمال الحسنة.

الدعوة للسيئات والترغيب بالذنب نصرة كاذبة ومحبة باطلة وفي اليوم الذي يظهر فيه الحق يتضح انهم كانوا اعداء لبعضهم. فالقيامة ظرف ظهور العداوة لا ظرف حدوثها. وأولئك الذين كانوا في الدنيا يدفعون بعضهم الى ارتكاب الذنوب كانوا في الحقيقة اعداء لبعضهم، وفي القيامة ينزع لباس الدنيا الكاذب ويظهر لباس الآخرة الداخلي الذي هو جزء من سرائرهم، ويعلم انهم قد كانوا اعداء بعضهم البعض ولذا يلعنون بعضهم البعض:

﴿كلما دخلت أمة لعنت أختها﴾[1] .

كل الأحبة والأولياء الذين ليسوا على ارتباط بالله فهم على ارتباط بالباطل، ومحصول الإرتباط بالباطل ليس سوى المحبة والنصرة الكاذبتين. وإذا صارت المحبة كاذبة فالعداوة تكون صادقة، وإذا كانت النصرة كاذبة فالخذلان يكون صادقاً. فلا يمكن ان تكون العداوة والمحبة كاذبتين معاً. كما لا يعقل ان تكون النصرة والخذلان كاذبين معاً، فإذا صارت النصرة كاذبة فالخذلان يكون حقيقياً وإذا كانت المحبة كاذبة فالعداوة تكون صادقة.

ولذا يقول القرآن الكريم: كل الأحباء (الأخلاء) غير الدينيين أعداء

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٨.

لبعضهم يوم القيامة. وقد شخص سر هذا المطلب في سورة التوبة المباركة هذه من أنهم في الحقيقة اعداء لبعضهم في الدنيا غاية الأمر لم يكونوا يفهمون ذلك.

﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم﴾[1].

يقبضون ايديهم عن مساعدة المجتمع الإسلامي. لا شغل لهم مع الناس (لا يهتمون للناس) ويحركون بعضهم نحو السيئات. والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف هذا في الواقع عداوة بلباس الصداقة.

معيار تمييز ولاية الحق من الباطل:

معيار تشخيص ولاية الحق من ولاية الباطل هو المولىٰ. فإذا كان المولى هو الله فالولاية حقة وكل نتائجها ايضاً حق، وإذا كان المولى غير الله فالولاية باطلة وكل فروعها باطلة. من هذه الجهة يقول الله سبحانه: يوجد إثنان من الموالي في العالم لا غير احدهما الله والآخر النار. وهي مولى الكفار والمنافقين **﴿مأواكم النار هي مولاكم﴾**[2] لقد كنتم أولياء النار وكنتم تتخيلون انكم أولياء زيد وعمرو لكن يوم القيامة حيث تظهر الحقيقة يتضح انكم كنتم تحت ولاية النار.

لقد صرتم وليَّ النار وصارت النار وليَّكم. لقد صرتم مؤججي النار والنار أيضاً قد ساعدتكم، لقد اشعلتكم وحرقتكم ولم تكونوا اثناء ذلك ملتفتين انكم تحت ولاية النار «وبئس المصير» والله تعالى مولى المؤمنين **﴿نعم المولى ونعم النصير﴾**[3].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٧.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٦٧.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٤٠.

هـذان المـوليـان قـد بينهمـا الله تعـالـى فـي مـوارد متعـددة وبتعبيـرات مختلفة.

يقول تعالى في سورة الحديد المباركة الآية ١٥:

﴿فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير﴾.

أي لقد كان لكم منقلب سيء، النار، مصير سيء.. المصير هو الصيرورة. أي انكم قد صرتم سيئين، لقد صرتم انتم ناراً ليست بالسين فيظن المرء ان سير هؤلاء هو الذي باتجاه النار، بل هم في الحقيقة في حالة الصيرورة ناراً كما قد ورد في بعض آيات القرآن الكريم أنه:

﴿فأمه هاوية * وما أدراك ما هي * نار حامية﴾[1].

يقول ان هؤلاء تحت تدبير امهم، أي انهم نار. كما ان الأم تغذي الطفل وتربيه في كنفها فهؤلاء ايضاً أبناء النار والنار أمهم. انهم تحت تدبير النار. في الأبحاث المقبلة سيتضح ان البعض هم تحت تدبير النار واقعاً والبعض الآخر هم تحت تدبير الله سبحانه واقعاً.

نتيجة بحث ما هية الولاية:

فنتيجة المقام الأول من البحث اذا هي: حيث ان الولاء هو بمعنى القرب فلو صار موجود ما قريباً من الحق فستظهر فيه آثار الحق، ومحصول ذلك هو المحبة والنصرة الصادقتين.

واذا اقترب من الباطل فهذا الولاء ولاء باطل، ومحصول تلك المحبة والنصرة يكون باطلاً. معنى محبة الباطل ونصرته انه وإن كانت هي في الظاهر محبة ونصرة لكنها في الباطن عداوة وخذلان. ويوم القيامة الذي هو

---

(١) سورة القارعة، الآيات: ٩ ـ ١١.

ظرف امتياز الحق من الباطل ﴿**وامتازوا اليوم أيها المجرمون**﴾[1] سينفصل ذلك الباطن خارج الحق الظاهر وعندها يدخل اولئك النار.

والحمد لله رب العالمين

(١)سورة يس، الآية: ٥٩.

الدرس الرابع

تلخيص لما مر

البحث هو في ولاية الإنسان في القرآن الكريم. خلاصة ما قد بينَّاه في الدرس السابق حول ما هية الولاية هو ان الولاء يعني القرب والدنو، فلو كان هناك امران قد اقتربا من بعضهما بشكل لا يفصل بينهما شيء أجنبي فيقال عنهما انهما متواليين. فولاية افراد الإنسان بالنسبة لبعضهم تعني اقترابهم الروحي مع بعضهم سواء كانوا جيدين ام سيئين. والمؤمنون بالنسبة لبعضهم أولياء كما ان المنافقين ايضاً أولياء لبعضهم. اذا كان المعيار هو القرب والدنو الإلهي فهذه الولاية ستكون في الباطن ولاية ايضاً، لكن اذا كان المناط القرب غير الالهي فهذه الولاية في الظاهر قرب ومحبة وفي الباطن عداوة وخصام. لذا يقول سبحانه:

﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾[1]

اذ لو كان محور المحبة هو الباطل فأحبه كهؤلاء سيدفعون بعضهم نحو

(١) سورة الزخرف، الآية: ٦٧.

الأعمال الباطلة، فهم اذن في الحقيقة اعداء لبعضهم، لكن هذه العداوة في الدنيا مستورة وهي ستنجلي يوم القيامة الذي هو يوم ظهور الحق. وهناك حيث سيسقطون في جهنم فكل منهم يلعن الآخر. ﴿كلما دخلت امة لعنت اختها﴾(1)

وأساس الولاء هو ان يقترب الانسان من الحق وينتفع من آثار ذلك.

والله سبحانه قد ضمن في القرآن الكريم لأوليائه هذه الآثار التي هي المحبة، والنصرة تارة على نحو التخيير والقطع وتارة بنحو مشروط. يقول تعالى في سورة آل عمران:

﴿ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾(2)

إذا كنتم تحبون الله فاتبعوا رسوله لتصيروا احبة الله. هذه المحبة التي هي محصول الولاية قد وعد بها بنحو مشروط. وقد ذكر هذا المعنى بنحو منجز وقطعي في آية اخرى:

﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾(3)

يقول تعالى إذا لم يقم البعض بنصرة دين الله فإن الله سبحانه سيختار أناساً احبة له تعالى والله تعالى محبوب لهم. يلاحظ انه هنا عدهم احبة لله بشكل قطعي.

وحول النصرة أيضاً قد وردت تعبيرات تشابه ذلك.

﴿ان تنصروا الله ينصركم﴾(4)

---

(1) سورة الاعراف ، الآية: ٣٨.

(2) سورة ال عمران ، الآية: ٣١.

(3) سورة المائدة ، الآية: ٥٤.

(4) سورة محمد، الآية: ٧.

حيث انه في هذا المورد وعد النصرة مشروط.

﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾[1].

حيث وعد النصرة في هذا المورد قطعي.

لحد الآن قد بُيِّنت بعض المطالب في مورد الأصل الأول الذي هو حول معنى الولاية.

الوجود الخارجي للولاية:

البحث الثاني هو أن «الولاية هل هي» هل الولاية موجودة؟

الولاية في العالم الخارجي موجودة يقيناً. وإذا كان عندنا شك في وجود الولاية في العالم الخارجي فبأدنى تأمل في انفسنا نستطيع ازالة كل نوع من الشك. وذلك لأن مسألة معرفة النفس تحلُّ الكثير من مسائل معرفة الكون. نحن نرى ان انفسنا لها ولاية بالنسبة لشؤوننا الداخلية وقوانا فشؤون النفس هذه التي لها ارتباط بالنفس هي تحت تدبير النفس، وتدبير النفس هذا يجعل كل الشؤون تحت نظره. طبعاً هذه الولاية ولاية تدبيرية واضافتها متخالفة الأطراف. فأحدها ولي والآخر مولى عليه.

الإنسان ولي الله:

لكن هل يمكن ان يكون الإنسان ولي الله والله ولي الإنسان ام لا؟ وإذا كانت هذه الولاية تقوي الإنسان بالنسبة لشؤون نفسه فهل تحصل له ولاية بالنسبة لشؤون الخارج ايضاً ام لا.

هناك دليل عقلي على امكان هذه الولاية واما على وقوعها فيوجد دليل

---

(١) سورة غافر، الآية: ٥١

قرآني. وحيث ان الدليل القرآني يدل على وقوعها فلا يبقى من هذه الجهة مكان للبحث عن الإمكان. القرآن الكريم يخبر ان هناك مجموعة من الناس أولياء الله والله تعالى ايضاً وليُّهم. نظير قوله تعالى:

﴿ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[1].

فهو يقول: ان البعض أولياء لله ولازم ولايتهم انه لا طريق للخوف والحزن إليهم.

اذ عندما يصير الإنسان قريباً من الله يجعل في حصن التوحيد «لا اله الا الله حصني»[2] وعندما يجعل في حصن التوحيد فلا خوف عنده ولا حزن، لأنه لم يفقد شيئاً لكي يغتم ولا يفقد شيئًا لكي يخاف. في هذه القلعة لا مكان لنفوذ الأجانب. ما هو محبوب المؤمن غير قابل لأن يفقد، وما هو زائل ليس بمحبوبه.

إذاً هناك عددٌ من الناس أولياء الله كما ان الله سبحانه ايضاً ولي لعدد آخر من الناس ايضاً، ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾[3] تدل على هذا المطلب ان الله سبحانه ولي المؤمن.

اقسام ولاية الله تعالى:

طبعاً الله تعالى له ثلاثة ولايات. اول ولاية هي الولاية العامة التي تترافق مع ربوبية الله المطلقة وتجعل كل الموجودات تحتها. المؤمنون والكفار وحتى الشيطان هم جميعاً تحت هذه الولاية، الشيطان مخلوق لله وهو ذليل امام الله عز وجل.

---

(١) سورة يونس، الآية: ٦٢.

(٢) توحيد الصدوق، باب ثواب الموحدين، الاحاديث ٢١ و ٢٣.

(٣) سورة البقرة، الاية: ٢٥٧.

هذا القسم من الولاية الذي هو نتيجة الربوبية المطلقة لله تعالى يشمل كل المخلوقات وليس محلاً للبحث.

الولاية الثانية الولاية الخاصة التي لله تعالى بالنسبة للمؤمنين وصدر آية الكرسي ناظر الى هذه الآية.

ثالث ولاية وأعلاها الولاية الأخص التي قد تشرف بها انبياء الله وأولياءه كما يقول الله تعالى عن لسان رسوله (صلى الله عليه وآله):

﴿ان وليِّي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين﴾[1] .

هذه الولاية هي رحمة وعناية خاصة من الله تعالى بالنسبة لأنبيائه وأوليائه وهو لا يُعملُها بالنسبة لسائر المؤمنين. وبحثنا هو في الولاية الخاصة وبعناية الله سنطرح الولاية الأخص ايضاً.

الخلاصة ان هذه الآيات القرآنية تدل على ان المؤمنين أولياء الله كما ان الله سبحانه وليُّ المؤمنين.

المقصود من ولاية المؤمنين بالنسبة لله هو أن يجعلوا عقائدهم وأخلاقهم وأعمالهم في اختيار الله سبحانه، والمراد من ولاية الله بالنسبة للمؤمنين ان ينشر تعالى محبته ولطفه ونصرته على المؤمنين وفي النتيجة:

﴿يخرجهم من الظلمات الى النور﴾[2] .

طريق تشخيص كون الشخص وليّاً لله قد حدده الله تعالى ايضاً في هذه الآية. حيث يقول حول البعض:

﴿إن زعمتم انكم أولياء من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٩٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

صادقين﴾[1] .

اذا كنتم تحسبون انكم أولياء الله فيجب ان تكونوا مشتاقين للقاء الحق ولا تخافوا من الموت، فاذا لم تتمنوا الموت وكنتم خائفين منه فاعلموا انكم لستم أولياء الله.

موجبات تحقق الولاية:

البحث الثالث هو ان «الولاية لم هي؟» اي مالذي يوجب تحقق ولاية الله في نفس الإنسان؟

القرآن الكريم يبين طرق إثبات الولاية ليس فقط في مقام الإستدلال بل في مقام التحقق الخارجي ايضاً.

الدليل الذي يذكر لإثبات مطلب ما تارةً يكون واسطة في الإثبات فقط وتارة يكون واسطة في الإثبات وواسطة في الثبوت أيضاً.

مثلاً لو استدل بطلوع الشمس في توجيه إضاءة النهار فهذه واسطة في الإثبات وواسطة في الثبوت أيضاً. أما إذا تُمسِّك بوجود الدخان لتعليل وجود النار فهذه تكون واسطة في الإثبات فقط وليست واسطة في الثبوت.

دلائل الولاية في القرآن الكريم واسطة في الثبوت والإثبات:

يعرض الله تعالى أدلة مما هي واسطة في الثبوت والإثبات أيضاً. ويذكر طرقاً اذا طواها السالك يصير قريباً من الله، وعلى اثر القرب لله يصير ولي الله كما يصير الله وليهِ ايضاً.

يقول في سورة فاطر المباركة الآية ٦ :
﴿إن الشيطان عدو لكم فاتخذوه عدواً﴾.

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٦.

ان ذلك الذي يدعوكم للمعصية عدو لكم وان كان يظهر نفسه لكم بصفة الصديق. الشيطان لا يختص بالجن فشياطين الجن والانس اعداء للإنسان لانهم يدعونه للمعصية، والمعصية نار، وكل من يدعو الإنسان للنار فهو عدوه وان كان بلباس الصديق.

يقول في الآية العاشرة:

﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً﴾.

اذا اردتم ان تصيروا اعزة فيجب ان تقتربوا من مبدأ العزة وتصيروا أولياء لمبدأ العزة. كونوا «وليَّ العزيز» لتنتفعوا من عزته.

ليس معنى الآية الكريمة هو انه «من كان يريد ان يعلم اين هي العزة» فليعلم انها عند الله ليكون أثرها علمياً محضاً، وانما معناها هو: اذا كان احد ما يبحث عن العزة ويريد أن يصير عزيزاً فليعلم أن كل العزة عند الله. وطريق الوصول الى ذلك أيضاً تدل عليه هذه الآية الكريمة: **﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾**[1].

العقيدة الحسنة والعمل الصالح طريق الوصول للعزة. اذا كان هناك شخص يمتلك العقيدة الطيبة والعمل الصالح فإنه يصير قريباً من الله وولياً له، وعندها يكون الله تعالى وليه، وفي النتيجة يخلصّه من كل ظلمة وظلام وينوره ويضيء له. اذ ان اثر ولاية الله تعالى هي: **﴿يخرجهم من الظلمات الى النور﴾**.

الولاية الباطلة:

ما قد مر كان بحثاً عن ولاية الحق. الولاية الباطلة ايضاً موجودة اذ قد اشرنا فيما سبق الى انه اذا كان محور الولاية هو الحق فولاية كهذه يكون

---

(١)سورة فاطر، الآية: ١٠.

ظاهرها وباطنها ولاية ومحبة، أما اذا كان محور الولاية الباطل فظاهر الولاية محبة لكن باطنها عداوة وخصام. وقد بين طريق الولاية الباطلة في هذه الآية المباركة.

﴿والـذيـن كفـروا أوليـاؤهـم الطـاغـوت يخـرجـونهـم مـن النـور إلـى الظلمات﴾[1] .

واخيراً يبين النتيجة الشؤومة لهذه الولاية في سورة الحديد الآية ١٥ :

﴿فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير﴾ .

اذا سار شخص ما باتجاه الباطل فهو في الحقيقة تحت ولاية النار. النار مولاه وهو ولي النار لأنه قد كان محباً للمعصية والشيطان ايضاً كان يدفعه لحب المعصية.

اتحاد القرب والولاية بلحاظ النتيجة:

بعد وضوح ولاية الحق والباطل وطريق الوصول لكل منهما وذكر نتيجة كل منهما نصل الى هذا البحث وهو ان كل الآيات التي تبين الأعمال التي تقرب الإنسان من الله هي طرق لإثبات الولاية. والجامع لها كلها قد بُيِّن بلسـان رسـول الله صلـى الله عليـه المبـارك فـي سـورة الأعـراف المبـاركـة الآية ١٩٦ :

﴿ان وليِّي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين﴾ .

طبعاً هذه الولاية هي الولاية الأخص التي لا توجد في أفراد الإنسان المؤمن المتعارف المتوسط، وإنما هي واردة بالنسبة للرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وانبياء الله. يقول: ان وليي الله الذي انزل القران. هذا التعليق

---

(١)سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

للحكم على الوصف مشعر بالعلية يقول: ان وليي الله الذي انزل القرآن. فيتضح ان طريق الولاء هو طريق القرآن. ثم يقول: «وهو يتولى الصالحين» ذلك الرب هو الذي يتولى الصالحين. اي اني وبسبب الإعتصام بهذا القرآن وحبل الله صرت صالحاً، وكل من كان صالحاً فهو تحت ولاية الله.

لقد بيَّن (ص) في هذه الجملة صغريين وكبريين. إحداهما ان الله تعالى قد ارسل القرآن وكل من اخذ به يصير صالحاً، وأنا قد اخذت القرآن فصرت صالحاً. والثانية انه كل من يصير صالحاً فهو تحت ولاية الله، وأنا قد صرت صالحاً فلذا انا تحت ولاية الله.

في الأبحاث السابقة قد ألفت ايضاً الى ان الله تعالى قد انزل هذا القرآن من عنده لا انه قد ألقاه. طرف من القرآن بيد الله والطرف الأخر بصورة حبل معلق. وقد قال لنا: امسكوا هذا الحبل واصعدوا:

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾[1].

وهذان الأصلان اللذان سببا تشكيل القياسين ليسا مختصين بالنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله). الطريق مفتوح للجميع غايته ان كل من طوى الطريق الأفضل نال فائدة اكثر.

القرآن قد جاء لأجل الجميع وقد جعل في متناول الجميع، وكل من ساعد في طريق الصلاح يتمتع من الولاء الإلهي بمقدار ما طوى من ذلك الطريق. طبعاً اعلى درجة مختصة بالرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم).

الإنسان الصالح غير الشخص الذي قام بالعمل الصالح:

النكتة الأخرى التي يكون ذكرها مفيداً هي ان الصالحين غير «الذين

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

يعملون الصالحات». احدى مراتب الصلاح في مقام الفعل لكن المرتبة الأعلى منها الصلاح في مقام الذات.

اولئك الذين هم في بداية المسيرة ويقومون بأعمال الخير هم من ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أما اولئك الذين هم في نهاية الطريق وقد صار الإيمان والعمل الصالح ملكة لهم وقد وصلوا من مقام صلاح العمل إلى صلاح الذات يكونون من «الصالحين» الذين يصدر من ذواتهم شيء سوىٰ عمل الخير. اولئك الذين يلتزمون في حدود الإيمان والعمل الصالح هم يتمتعون من الولاء الإلهي بهذا المقدار المحدود، أما الذين قد وصلوا الى مقام الصالحين فبالطبع يتمتعون بولاء اكمل اذ ان ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور﴾ ليس على حد واحد بالنسبة للجميع. بل بالنسبة للبعض دفع وبالنسبة لبعض آخرين رفع. بالنسبة للبعض الذين هم في أوائل الأمر الله سبحانه يرفع اذ يقوم برفع الظلمات اي انه يزيل عنهم تلك الظلمات والفساد لكي يخَلصُوا. أما اثر ولاء الله سبحانه بالنسبة الى اولئك الذين يسيرون في المقام النهائي فهو دفع للظلمات، اي انه لا يسمح بتلوثهم، لا انه بعد تلوثهم يقوم بتطهيرهم.

مثل آية التطهير:

﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾.

هذا الإذهاب والتطهير كلاهما في مقام الدفع لا الرفع، أي لا يدع الشيطان يأتي نحوكم ويلوثكم لا أنه بعد التلوث يطهركم.

أما البحث في ان الولاية كم قسم، ففي بحث تقسيم الولاية الى ولاية تكوينية وولاية تشريعية سنصل اليه انشاء الله ولحد الآن لم نصل بلحاظ نظم البحث الى الموضع الذي نطرح فيه مسألة التكوين والتشريع. البحث الآن في ان الإنسان يصير ولي الله في حدود المحبة والنصرة والله سبحانه يصير

وليه في حدود المحبة والنصرة، وطريق ذلك ايضاً هو هذا الكلم الطيب والعمل الصالح.

والحمد لله رب العالمين

الدرس الخامس

كان البحث في ولاية الإنسان في القرآن الكريم. لقد كان النظم المنطقي للبحث ما يلي:

اولاً: «الولاية ما هي؟» ثانياً «الولاية هل هي؟» اي هل الولاية موجودة أم لا؟ ثالثاً: «الولاية لم هي؟» أي ما هو طريق اثبات الولاية؟ ورابعاً: «الولاية كم هي؟».

الولاية والموالاة:

خلاصة الفصل الأول ان الولاية مشتقة من «الولي» وهي بمعنى القرب والدنو.

واذا اقترب شخص ما من الله فهذا التقرب يسمى ولاية ونتيجة هذا التقرب ايضاً النصرة والمحبة و. . . الخ.

العلة في تقرب الإنسان من الله وقبوله الولاية الإلهية هي أنه يريد رفع الذل الذي يشعر به في وجوده بواسطة القرب من الله العزيز اما ولاية الله للإنسان وقربه فليسا ناشئين من الاحساس بالمذلة في ذاته المقدسة. وإنما

غرض الله سبحانه تربية العباد الذين قد جعل ولايتهم في عهدته.

اذاً فالولاية القائمة بين الله سبحانه وعباده ليست من نوع الولاية الموجودة بين افراد الإنسان، اذ انه في الولايات المتداولة بين افراد الإنسان يكون الطرفين متساويين.

﴿المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾[1].

الولاية بين المؤمنين ولاء متقابل او موالات ونتيجتها ايضاً متشابهة ومتقابلة. وذلك بمعنى ان نتيجة هذه الولاية هو انهم يحبون بعضهم البعض، ولهذا يقومون بارشاد وهداية بعضهم بواسطة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي المورد الذي يحتاج فيه للتعارف والتناصر لا يقعدون عن اعانة ونصرة بعضهم.

أما في الولاية القائمة بين افراد الإنسان والله سبحانه وإن كان في الظاهر كما تطلق الولاية على علاقة الله سبحانه بالإنسان كذلك تطلق على علاقة الإنسان به عز وجل، لكن واقع الأمر ان مرجع هذه الولاية ليس الى الموالاة والعلاقة المتبادلة المتساوية، وإنما في هذه العلاقة الولائية الله سبحانه ولي بمعنى الوالي والعبد مولىً عليه. ولاية الله سبحانه ليست ناشئة من الذل ﴿لم يكن له ولي من الذل﴾[2] اما العبيد فلا حيثية عندهم سوى الذل والفقر الصرف بالنسبة لذلك الغني المحض. ﴿يا أيها الناس انتم الفقراء الى الله﴾[3] الآخرون يمتلكون ذلاً امام الله وهم يحتاجون له، اما الله سبحانه فهو غير محتاج ولذا فليس عنده عز وجل ذل ومذلة تجاه احد. وفي النتيجة الولاية بين الله سبحانه والمؤمنين ستكون من قبيل الإضافة المتخالفة

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٢) سورة الاسراء، الآية: ١١١.

(٣) سورة فاطر، الآية: ١٥.

الأطراف مثل (العلة والمعلول) خلافاً للولاية بين افراد الإنسان التي هي من نوع الإضافة المتوافقة الأطراف.

وخلاصة الفصل الثاني هو أن الولاية موجودة. اذ ان هناك آيات كثيرة من القرآن الكريم تدل على ان عدداً من الناس أولياء لله.

خطة العمل:

في الفصل الثالث من البحث قلنا ان كل عمل يقرب الإنسان من الله فهو طريق لإثبات الولاية، لأنه لو كان البحث في الألفاظ لأمكن القول ان الولاية غير التقرب لكن البحث معنوي ولذا فسواء طرح بلفظ الولاية او بلفظ التقرب فالنتيجة واحدة. كل عمل صالح يقوم به الإنسان لوجه الله أي يكون مشتملاً على الحسن الفعلي والفاعلي معاً فهو يقربه من الله، وعندما يقترب من الله يصير تحت الولاية الإلهية. فإذا كل الآيات التي تدعونا الى التقرب هي آيات ولائية، وامتثال مضمون تلك الآيات يقرب الإنسان من الله ويكون باعثاً على انتفاع الإنسان من ولاية الله وتدبيره وادارته. وبالطبع فكل من يطوي هذا الطريق افضل ينال فوائد اكثر. واولئك الذين يعرفون طرق التقرب بشكل كامل ويقطعونها ويصيرون بحسب اصطلاح القرآن من المقربين فأولئك يجعلهم الله محلاً لأسراره.

يقول تعالى لقد قربنا موسى الكليم (ع) الينا وناجيناه ﴿وقرّبناه نجيّا﴾[1] والنجّي هو الشخص الذي قد نوجي والمناجاة هي الكلام الخافت الذي يخاطب به الإنسان شخصاً بسبب قربه منه.

أما أولئك البعيدون فانهم يخاطبون بعضهم بالنداء. فهم ينادون الله والله ايضاً يناديهم.

---

(١) سورة مريم، الآية: ٥٢.

يقول الله سبحانه في مقام الخطاب للمؤمنين البعيدين: ﴿يا ايها الذين آمنوا﴾ اما اولئك الذين أكثر بعداً فهم محرومون من الخطاب الإلهي المباشر وإنما قد جعل الله سبحانه النبي (صلى الله عليه وآله) واسطة فقال له قل لهم: ﴿قل للذين اوتوا الكتاب﴾[1] أو ﴿قل يا أهل الكتاب﴾[2] وأمثال ذلك وأولئك الذين هم ابعد من هؤلاء ايضاً خصَّهم بخطاب ﴿يا ايها الناس﴾. وفي الأخير يوجد مجموعة ايضاً ممن ﴿لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم﴾[3] وفي المقابل فالأشخاص الذين هم قريبون جداً من الله يعتبرهم الله مرتبطين معه ويناجيهم وقد ورد بالنسبة لعيسى المسيح (عليه السلام) ايضاً: ﴿وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين﴾[4] كما ورد حول جماعة اخرى ايضاً على نحو التعميم انهم من المقربين.

الولاية في الآيات:

والآن نستعرض بعض الآيات حول الولاية سواء في بُعْدِ الإثبات او السلب كما سنطرح بعض الآيات حول التقرب.

في سورة المائدة المباركة والتي تتعلق الكثير من أياتها بالولاية بعد ان تطرح مسألة أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول تعالى:

﴿يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتو الكتاب من قبلكم والكفار أولياء﴾[5].

من البديهي ليس معنى هذا الكلام انه يوجد في العالم طريقان واقعاً احدهما الحق والآخر الباطل، لأن الباطل ليس طريقاً وإنما ضياع. فالطريق

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٠.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٤ وموارد كثيرة اخرى.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٧.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٤٥.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٥٧.

هو ما يكون له نهاية ومقصد، والإنسان الذي يسير في اتجاه المعصية إنما يسير من غير طريق لذا يقول تعالى بالنسبة لهؤلاء الأفراد:

﴿يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً﴾[1] .

فالذين كانوا أولياء لبعضهم في الدنيا لن يقدروا على عمل شيء يوم القيامة.

وهذا الإتصاف بالمولوية انما هو بعلاقة «ما كان» اي ليس صحيحاً انهم يوم القيامة أولياء بعضهم لكنهم لا يستطيعون عمل شيء لبعضهم ـ إذ أنه في ذلك اليوم هم قد ﴿تقطعت بهم الأسباب﴾[2] و﴿لا انساب بينهم﴾[3] فكل العلل والأساب تتقطع ولا يكون ولاء بينهم ـ وإنما المقصود ان هؤلاء الذين كانوا في الدنيا أولياء لبعضهم لا يقدرون على صنع شيء لبعضهم يوم القيامة. مثل الآية الكريمة:

﴿يوم يفر المرء من اخيه وأمه وأبيه﴾[4] .

حيث ان المقصود هو الأب والأم الدنيويين لا أنه يوم القيامة يكون هناك ابوة وبنوة. فهناك يخرج الجميع من الأجداث هاربين من بعضهم.

﴿فإذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون﴾[5] والأمر كذلك بالنسبة للولاء ايضاً: ﴿يوم لا يغني مولى عن مولىً شيئاً﴾ إذ انه في سورة الحديد الآية ١٥ يقول بالنسبة للكفار: ﴿مأواكم النار هي مولاكم﴾ فانتم لكم مولى واحد لا غير وهو النار. وأحياناً يعبر بأن امهم هي النار: ﴿فأمه هاوية﴾[6]

---

(١) سورة الدخان، الآية: ٤١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٩.
(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١٠١.
(٤) سورة عبس، الآية: ٣٤.
(٥) سورة يس، الآية: ٥١.
(٦) سورة القارعة، الآية: ٩.

فكما تقوم الأم بتربية الطفل وتغذيته فالنار ايضاً هي التي تربيهم لأنهم يتحركون تحت تدبير النار ولذا فمولاهم هو النار.

ويقول تعالى في سورة المائدة المباركة بالنسبة لاتخاذ الأولياء:

﴿ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون﴾(1).

فقد قال علىٰ صورة قياس استثنائي لو كان هؤلاء مؤمنين لما اتخذوا احداً غير الله بصفة ولي لكن التالي باطل فالمقدم مثله. اي حيث انهم قد اتخذوا غير الله ولياً فاذاً هم ليسوا بمؤمنين. وعلة التلازم بين المقدم والتالي هو ان من يكون مؤمناً بالله فهو قريب منه وبعيد عن الباطل، والذي يكون بعيداً عن الباطل لا يتخذ الباطل كقائد له ولا يقبل ولايته. القرآن الكريم عندما يتحدث عن سلطنة الشيطان يقول ان سلطانه هو على الذين يقبلون ولايته **﴿انما سلطانه على الذين يتولونه﴾**(2) والمتولي هو الراضي والقابل بالولاية.

وفي سورة الأنفال الآية ٧٢ عندما يتكلم عن موالاة المؤمنين بالنسبة لبعضهم يقول:

﴿ ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء﴾.

ما يقال احياناً من ان الولاية (بكسر الواو) بمعنى المحبة والنصرة والولاية (بفتح الواو) هي بمعنى الإدارة والتدبير ليس صحيحاً في جميع الموارد. اذ انه في هذه الآية وردت الولاية (بفتح الواو) لكن بمعنى الموالاة

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٨١.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٠٠

والمحبة والنصرة وان كانت قد وردت الولاية (بفتح الواو) في الآية الشريفة ﴿**هنالك الولاية لله الحق**﴾[1] بمعنى الإدارة والتدبير - اي ان اولئك الذين آمنوا لكنهم ليسوا من اهل الهجرة لا انتفاع لهم بولايتكم. ثم يقول:

﴿**والذين كفروا بعضهم اولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**﴾[2].

ويقول في سورة التوبة الآية ٢٣:

﴿**يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الإيمان**﴾.

اي ان كل رابطة عائلية انما تحترم اذا لم تكن مضرة بالحدود الإلهية. ومن محكمات اقوال الرسول (صلى الله عليه وآله) قوله (ص) «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[3] والذي هو حاكم على كل العناوين الأخرى، أي اطاعة الآخرين إنما تكون في المورد الذي لا تستلزم فيه المعصية.

وولاية الآخرين ايضاً بهذا الشكل. ولاية الأخوة والأبوة وكذلك الولاية التي بين المؤمنين مشروطة بألاّ تنجر لمعصية الله. ولذا يقول تعالى في هذه الآية الكريمة انه اذا كان احد أقاربكم كافراً فما بينكم هو التبري لا التولي ﴿**ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون**﴾ وإذا كان لأحدكم تولٍّ مع شخص كهذا فهو ظالم. ثم في الآيات التالية قد هددهم ايضاً. فيقول في نفس هذه السورة المباركة:

﴿**ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً**﴾[4].

أي ان بعض الأعراب يرون الإنفاق في سبيل الله غرامة.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٤.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧٣.
(٣) من لا يحضره الفقيه، ج٤ الحديث ٥٨٣٢.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٩٨.

﴿ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم * ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول﴾.

وبعض آخر منهم يعدون الإنفاق عامل مقرب ووسيلة لصلوات النبي (صلى الله عليه وآله) ولذا فهم ينفقون ليصلي عليهم الرسول (صلى الله عليه وآله)، وصلوات النبي صلى الله عليه وآله هي نفس الدعاء وطلب الرحمة والذي هو سبب لسكون المؤمنين واطمئنان قلوبهم. يقول الله تعالى:

﴿خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلِّ عليهم إن صلاتك سكن لهم﴾[1].

ثم ان القرآن يؤيد نظر هذا البعض فيقول **﴿الا انها قربة لهم﴾** اجل وبالطبع فهذا الإنفاق بالنسبة لهم عامل تقرب وسبب لدعاء النبي (صلى الله عليه واله)، ونتيجة ذلك ان الله تعالى سيدخلهم في رحمته:

﴿سيدخلهم في رحمته ان الله غفور رحيم﴾[2].

وفي سورة الرعد الآية ١١، يقول تعالى حول ان المؤمنين فقط هم الذين لهم وال ومدير:

﴿ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا اراد الله يقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال﴾.

الإنسان محتاج بالضرورة وهو بالضرورة ايضاً لا حاجة له لغير الله. وعلى اساس هاتين القضيتين الضروريتين اللتين قد بُيِّنتا ايضاً في الآية الشريفة **﴿يا أيها الناس انتم الفقراء إلى الله﴾** يمكن اثبات انه لا يتصور وجود والٍ ومدير

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٩.

للإنسان غير الله تعالى ولذا يقول تعالى: ﴿ما لهم من دونه من وال﴾.

والآية الأخيرة من سورة الاسراء تبين هذه النكتة من ان ولاية الله هي بمعنى إدارته وهي من قبيل الإضافة المتخالفة الأطراف. يقول تعالى: ﴿وقل الحمد لله﴾ فحيثما كان هناك حمد فهو خاص بالله، إذ لا احد غيره وال ليكون عنده شيء فيعطيه ويكون مستحقاً للحمد ﴿الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك﴾ لا ولد له ولا شريك ﴿ولم يكن له ولي من الذل﴾ فله ولي لكن اتخاذه للولي لم يكن ناشئاً من الذل. الآخرون لهم ولي لأنهم اذلاء اما الله العزيز فليس له ﴿ولي من الذل﴾ فلا ذلة عنده ليطلب الولي ﴿وكبره تكبيراً﴾ قول «الله اكبر» تكبير وعبادة لفظية لكن اذا عرف الإنسان الله بعظمته فلن يكون هناك ظهور لغير الله في نظره. فلا يمكن ان يرى الإنسان الله كبيراً ويرى السماء والأرض كذلك في نفس الوقت. يقول امير المؤمنين (عليه السلام) في خطبة همّام: المتقون هم اولئك الذين ﴿عظم الخالق في انفسهم فصغر ما دونه في اعينهم﴾[(١)] اي ان تعظيم الله وتصغير وتحقير ما سواه متلازمان عندما يعرف الإنسان الله بعظمته فما سواه أيٌّ كان ومهما كان اصغر من ان يتخذه الإنسان ولياً ويبحث عن العزة والقدرة وسائر الكمالات عنده.

ولذا يقول الله تعالى: ﴿ايبتغون عندهم العزة﴾[(٢)] فهؤلاء يسعون خلف غير الله لأجل نيل العزة ﴿ولله العزة جميعاً﴾ فلا ملجأ لكسب العزة ورفع الذل إلا بقبول ولاية الله ولذا يقول تعالى: ﴿فالله هو الولي﴾ وهذا اللسان نظير الآية الشريفة ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾[(٣)] انما هو لسان حصر اذ وجود ضمير الفصل «هو» مع كون الخبر معرفة يفيد الحصر. اي ما سوى الله من الأشياء باطل. وفي الآية محل البحث المراد هو انه لا ولي غير الله.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٣.
(٢) سورة النساء، الآية: ٣٣.
(٣) سورة الحج، الآية ٦٢.

يقول تعالى في سورة الرعد الآية ١١ :
﴿وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردَّ له وما لهم من دونه من وال﴾ .

ويقول في سورة الكهف الآية ١٧ :
﴿ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً﴾ .

فإذا اضل الله انساناً اي حرمه من فيض الهداية ووجدان السبيل فلا يمكن لأحد ان يقدر على هدايته. آية سورة الرعد ناظرة للولاية في فعل الله وآية سورة الكهف ترجع الى الولاية في علمه، ويستفاد من مجموع الآيتين ان الوالي والمدير الوحيد للبشر (سواء في الأمور العلمية او العملية) هو الله تعالى. لكن أيّاً من هاتين لا يثبت الولاية المطلقة لله سبحانه، وإنما آية سورة الكهف تتكلم عن الولاية الإلهية في خصوص الهداية وآية سورة الرعد تذكر الولاية الإلهية في خصوص رفع العذاب، اما الولاية المطلقة فتذكر بها آية سورة الشورى ﴿فالله هو الولي﴾ وكل واحدة من هاتين الآيتين هي بمنزلة شرح لهذه الولاية الجامعة.

بناء على هذا فالولايات المتقابلة للآخرين ايضاً من شؤون الولاية الإلهية، ولذا اذا شوهدت محبة او نصرة من قبل العباد فهي في الحقيقة محبة الله ونصرته وهؤلاء العباد مجرد وسيلة لا اكثر.

خلاصة البحث:

١ ـ الولاية بين الله وعباده ذات طرف واحد، اي انه في الحقيقة الولاية هي من جهة الله والناس مولى عليهم والله هو الوالي والولي.

٢ ـ كل عمل قربي يكون باعثاً على الولاية.

٣ ـ كل عمل يكون قربه اكثر يكون موجباً لحصول ولاية ازيد.

٤ ـ من يكون وليّاً لله فهو يسير من الظلمات الى النور إما دفعاً

كالمعصومين (عليهم السلام) او رفعاً كسائر الناس الآخرين.

٥ ـ اتيان الأعمال الصالحة لوجه الله (بالشكل الذي يكون كلا من الحسن والفاعلي ملحوظين) يدل على ان الإنسان تحت ولاية الله، اما لو كان الإنسان محروماً من اتيان الأعمال القربية كأولئك الذين يرون الإنفاق غرامة او كان يأتي بالأعمال القربية لغير وجه الله فليعلم انه تحت ولاية الشيطان.

والحمد لله رب العالمين

الدرس السادس

تلخيص لما سبق

كان البحث حول الولاية في القرآن الكريم . في الفصل الثالث (حيث كان الكلام عن طريق ثبوت الولاية) اتضح ان كل عمل يقرب الإنسان الى الله هو طريق لثبوت الولاية اذ حيث ان البحث معنوي فكل ما يفيد الدنو والتقرب لبّاً فهو داخل في حدود البحث سواء كان بلفظ الولاية او بلفظ القرب والدنو وأمثالها . وبما ان الله يرى العبادة عاملاً للتقرب فإذاً افضل طريق للوصول الى الولاية وتحقيق الوجود الخارجي لها هو اتيان الأعمال القربية بقصد القربة بشكل يلحظ فيها الحسن الفعلي والحسن الفاعلي معاً . كما ان اتيان الأعمال القبيحة كالحرام والمكروه او اتيان الأعمال القربية بنية الرياء والسمعة مانع من تحقق الولاية .

الميل نحو الدنيا مانع من تحقق الولاية :

القرآن الكريم اثناء بيانه لأهم طرق التقرب يعد «الكلم الطيب» الذي هو نفس التوحيد، المترافق مع العمل الصالح اساس التقرب الى الله . فيقول :

﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾[1] .

وفي المقابل يصنف الميل الى عالم الطبيعة والإنجذاب الى عالم الطين من ضمن المواقع الكبرى للولاية .

لذا فهو يقول حول بعض الناس الذين كانوا يتمتعون بالآيات الإلهية لكنهم لم يستطيعوا الإستفادة من هذا الفيض الإلهي :

﴿واتل عليهم نبأ الذي اتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين﴾[2] .

نحن قد أعطينا آياتنا لهذا الشخص لكنه أخلد إلى الارض ولذا فقد خرج من غطاء آياتنا . والتعبير بالانسلاخ يدل على أن باطن هذا الإنسان مظلم وقد كان مجرد قشر من النور الالهي يغطي باطنه الظلماني بشكل لو خرج الشخص من هذه الكسوة لظهرت ظلمة باطنة . وتعبير «نسلخ» الذي في سورة يس يستحق الإلتفات . وذلك في قوله تعالى :

﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون﴾[3] .

أي اننا قد ألبسنا بدن الفضاء ثوباً مضيئاً باسم النهار بشكل لو نزعناه عنه لظهرت ظلمة الفضاء .

وكذلك يقول بالنسبة لعابد بني اسرائيل : لقد البسنا جسد هذا العابد الإسرائيلي كسوة نورانية لكنه خرج من هذه الكسوة وصار ظلمانياً اي انه لم يكن يمتلك النور ذاتاً .

﴿ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه﴾[4] .

---

(١) سورة فاطر، الآية : ١٠ .

(٢) سورة الأعراف، الآية : ١٧٥ .

(٣) سورة يس، الآية : ٣٧ .

(٤) سورة الأعراف، الآية : ١٧٦ .

فنحن لو شئنا نستطيع ان نرفعه لكن يجب على كل شخص ان يصل الى الكمال على اساس فكره واختياره لا برفع الرتبة الإجباري.

وفي سورة الهمزة المباركة ايضاً يعد اهم مانع من التقرب الى الله سبحانه تعالى هو الإخلاد الى المال والأرض.

﴿ويل لكل همزة لمزة * الذي جمع مالاً وعدَّده * يحسب ان ماله اخلده﴾.

فهذا التوقع الباطل (يحسب ان ماله اخلده) مانع من الرقي.

والخلاصة ان شرط الولاية على اساس الآية الشريفة **﴿اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾** التوحيد والعمل الصالح كما ان المانع من ذلك ايضاً هو الإنجذاب الى الدنيا الذي قد عبر عنه بألفاظ متنوعة مثل **﴿إثاقلتم الى الأرض﴾**[1] او **﴿اخلد الى الأرض﴾** او **﴿فانسلخ منها﴾**[2].

انحصار الولاية في الآيات:

على اية حال ففي تتمة البحث نذكر بعض الآيات التي تعد الولاية مطابقة او بالإلتزام منحصرة بالله تعالى وتنفيها عن الآخرين. الآيات التي تثبت انحصار الولاية بالله تعالى بالإلتزام مجموعتان: مدلول احداها ان غير الله لا يقدر على صنع شيء.

ومفاد المجموعة الأخرى من هذه الآيات هو ليس فقط ان التوجه لغير الله لغو ولا أثر له وإنما مضر ايضاً، ومن هذه الجهة فهذه الآيات تحذر الإنسان من ولاية غير الله صراحة وتثبت الولاية والتدبير للذات المقدسة الإلهية.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٥.

يقول تعالى في سورة النساء المباركة الآية ٤٥ :
﴿والله اعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً﴾

لقد بيّنا الفرق بين الولاية والنصرة في الابحاث السالفة. فحيث لا يكون المولىً عليه قادراً على صنع شيء كالطفل يكون هذا مورد الولاية، اما حيث يستطيع فعل شيء لكن يوجد نقص ما فهو مورد النصرة. والله تعالى يرى نفسه كافياً للنصرة وللولاية معاً، لكن هذا اللسان ليس لسان تحذير وانما لسان كفاية، اي ان الله كافٍ ولا حاجة للرجوع الى غيره وليس تحذيراً من الرجوع الى غيره.

يقول في سورة العنكبوت: ان غير الله لا يقدر على صنع شيء، اي انها من تلك المجموعة من الآيات التي تقول انه حتى لو اراد احد ان يعبد عن خوف او شوقاً فلا يجب ان يسعى خلف غير الله لأن غير الله لا يملك لا نفعاً ولا ضراً. أما اولئك الذين عبادتهم على اساس المحبة لله فهم منزهون عن عبادة الأصنام لأنهم قد نجوا من ولاية غضبهم وشهوتهم واتصلوا بربهم.

يقول تعالى في سورة العنكبوت الآية ٤١ :
﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾.

لقد شبه في هذه الآية الشريفة حال الذين اتخذوا اولياء غير الله بحال المتمسك بخيط العنكبوت، لا أنهم قد شبهوا بنفس العنكبوت، لأنه كما ان الإنسان يمتلك بيتاً ويحفظ نفسه من الحر والبرد باللجوء اليه فكذلك العنكبوت ايضاً تصنع وكراً من ريقها وتبني لنفسها ملجأ ومأمناً تعيش في ظله ويكون بيتاً نافعاً لها. بناء على هذا فلو كان المشبَّه به في الآية الشريفة نفس العنكبوت فسيكون لازم ذلك انه حيث ان العنكبوت تنتفع من بيتها فالذين اتخذوا اولياء غير الله ايضاً سيكونون منتفعين من عملهم هذا، وهذا خلاف

المقصود الذي القرآن الكريم في صدد بيانه. لذا فالمشبه به بيت العنكبوت الضعيف والمهتز. اي كما ان بيت العنكبوت لا ينفع الإنسان بشيء فكذلك لن يحصل من غير الله ايضاً اي شيء والمجموعة الثانية هي آيات تعدُّ التوجه لغير الله تعالى مضراً.

يقول تعالى في سورة الإنعام الآية ٥١:

﴿وانذر به الذين يخافون ان يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه وليٌّ ولا شفيع لعلهم يتقون﴾.

انذر هؤلاء بان غير الله لا يقدر على عمل شيء لا بالاستقلال لا بالمشاركة ولا بالشفاعة فهؤلاء لا ولي لهم غير الله لكي يقوم بجميع اعمالهم بالإستقلال. ولا شفيع لهم ايضاً يجبر نقص عملهم.

وفي نفس سورة الأنعام هذه الآية ٦٢ عندما يتكلم عن مسألة الولاية الإلهية يقول:

﴿ثم رُدُّوا الى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو اسرع الحاسبين﴾.

اي ان الحكم والحاكمية امر يختص بالله. فسواء الأمور التشريعية او الأحكام التكوينية هي تحت تصرفه هو فقط. وأولئك تحت ولاية الله تعالى الذي هو مولاهم الحقيقي ولا مولى لهم غيره ايضاً.

وفي سورة يونس الآية ٣٠ عندما تكلم حول قضية الولاية الإلهية يقول:

﴿هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت ورُدُّوا الى الله مولاهم الحق وضلَّ عنهم ما كانوا يفترون﴾.

طبعاً ليس المقصود ان آلهتهم كانوا موجودين ثم ضاعوا. الضلالة غير الضالة فالضالة هي الموجود الخارجي الذي يضيع اما الضلالة فهي الضياع. وقد ورد حول الحكمة ان:

«الحكمة ضالة المؤمن»[1] .

الحكمة والمعرفة امر حقيقي وجودي والمؤمن يبحث عن ضالته هذه . لكن الضلالة بمعنى الضياع الذي هو ليس امراً وجودياً. يقول تعالى ان الإفتراءات التي افتروها علينا كانت ضلالة يحسبها هؤلاء هداية وهذه الضلالة تظهر يوم القيامة .

عبادة الأصنام ضلالة وعبدة الأصنام لا يشاهدون يوم القيامة شيئاً باسم الأصنام فما يرونه هو حجارة وأخشاب وعنوان الصنمية ليس له ظهور هناك لأنه قد كان باطلاً وضلالة .

في سورة الحج الآيات ١٢ و١٣ يبين هذا المعنى بلسان آخر، يقول:
﴿يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه﴾ .

مدلول هذه الطائفة من الآيات هو انه حيث ان عبادة اكثر الناس هي على اساس الخوف من النار او الطمع بالجنة فلذا يقول الله تعالى ان هذه الأصنام وكل ما هو سوى الله لا هو يرفع خوفكم ولا يحقق طمعكم وآمالكم لأن هؤلاء لا ينفعون ولا يضرون. النافع والضار من اسماء الله الحسنى لما قد ورد في الأدعية. ثم يقول:

﴿يدعو لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير﴾ .

ليس صحيحاً ان عبادة غير الله مجرد لغو لا أثر له، وإنما عبادة كهذه هي كفر ومضرة اذ لا أثر للتقرب لذلك المعبود غير النار. وعلى هذا فيكونون قد اختاروا لأنفسهم موالي سوء، وليس فقط انهم لا ينفعون بل هم ضارون ايضاً .

هاتان الآيتان وان كانتا قد ذُكرتا الى جانب بعضهما الا ان كلاً منهما من

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٧٧.

طائفة مستقلة ومنفصلة. مفاد الآية الأولى هو ان غير الله لا يقدر على شيء، وأما مدلول الآية الثانية فهو ان التقرب لغير الله ليس فقط لا فائدة فيه وإنما هو مضرٌ أيضاً.

الآيات التي ذكرت لحد الآن تدل بالإلتزام على ان الولاية منحصرة بالله عز وجل. لكن يوجد مجموعة اخرى من الآيات تدل بالمطابقة على ان الولاية هي لله بشكل منحصر وأن غيره لا يقدر على صنع شيء.

يوجد في سورة الشورى آيات كثيرة حول الولاية. منها الآية ٢٨ حيث يقول تعالى:

﴿والظالمون ما لهم من الله وليٌّ ولا نصير﴾.

فليس هناك ولي للظالم ابداً لكي يتولى جميع اعماله، ليس له من ناصر على الإطلاق لكي يقدم له العون. فهذه الآية الشريفة تنفي وجود ولاية ونصرة لصالح الظالمين بالمطابقة وتثبت الولاية لله بالدلالة الإلتزامية.

والآية التاسعة التي هي موضع الإستشهاد هي قوله تعالى:

﴿ام اتخذوا من دونه اولياء فالله هو الولي﴾.

هذه الآية الشريفة نظير الآية الكريمة **﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾**[(١)] لها دلالة على حصر الولاية بالذات المقدسة الإلهية اذ ان تعريف الخبر (خصوصاً حين يؤتى قبله بضمير فصل) يفيد الحصر. ومفاد الآية ان ما سوى الله مهما كان فهو باطل وليس له اي نصيب من الولاية. ثم تذكر بعدها دليل الولاية الإلهية الذي هو القدرة المطلقة الإلهية.

﴿وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾.

كما يقول في نفس هذه السورة المباركة الآية ٢٨:

---

(١) سورة الحج، الآيات: ٦ و ٦٢ وسورة لقمان، الآية: ٣.

﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعدما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد﴾.

فالله تعالى هو الذي ينزل المطر بعد ان يئس الناس من ذلك وينشر رحمته وهو الولي المحمود المطلق، وكل حمد يصدر من حامد فهو متوجه الى الله لأن الحمد يكون في مقابل نعمة **﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾**[1] .

لا منعم غير الله فإذا لن يكون هناك محمود غير الله، لذا قال «الحمد لله» اي ان الحمد مختص بالله، كما قال هنا ايضاً: **﴿وهو الولي الحميد﴾** حيث ان هذا اللسان يفيد الحصر ايضاً فهذه الآيات اذاً اما تحصر الولاية بالله بالمطابقة وتسلبها عن غيره بالإلتزام او أنها تسلبها عن غيره بالمطابقة وفي النتيجة تثبتها لله بالإلتزام.

الولي من الأسماء الحسنى الإلهية:

آخر ما نقوله هو ان الكلام ليس في الزهد والعبادة وأمثال ذلك، وإنما البحث في الولاية، إذ ان بحث الولاية يتمتع بأهمية اكبر بالنسبة للأبحاث الأخرى. وذلك لأن الولي من اسماء الله الحسنى، وإذا صار للإنسان نصيب من الولاية يصير مظهراً لـ«هو الولي»، وعندئذ لو دعا لنزل المطر فوراً وتتوفر له ارزاق خاصة من دون وجود اسباب وشرائط عادية. كمثل مريم الكبرى التي يقول القرآن حولها: **﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً﴾**[2] وذلك بخلاف العابد والزاهد وغيرهم مما هو ليس من اوصاف الله ومن الأسماء الحسنى للحق تعالى. فذلك الذي يستطيع احياء الميت والتأثير في مادة الكائنات انما هو مظهر « هو الولي»، وما دام الإنسان لم يطوِ طريق العبادة والزهد من المعرفة والاخلاص فلن يصير مظهر «هو الولي»، وفي هذه

---

(١) سورة النحل، الآية ٥٣.

(٢) سور آل عمران، الآية: ٣٧.

الصورة هو لا يقدر على صنع شيء وإنما هو زاهد وعابد والله ايضاً ينصره. فهذه الأمور وإن كانت لازمة لأجل نيل مقام الولاية لكنها ليست كافية. ولقد أُسِّس أساسُ الولاية على المعرفة والمحبة، فكلما كانت المعرفة والمحبة أكمل كلما احرز الإنسان مقاماً ارقى في مظهرية الولاية لله سبحانه. طبعاً لا يخفى ان بيان الفرق بين الولاية والزهد والعبادة وغير ذلك يتعلق بالفصل الأول اي البحث عن مفهوم الولاية.

الدرس السابع

من هو الولي؟

لقد كان موضوع البحث الولاية في القرآن الكريم. بعد طي المراحل التي ذكرت في الأبحاث السابقة تتضح صفات الولي بشكل عام. لكن المعرفة العامة لا فائدة فيها وإنما يجب على الإنسان ان يعرف ولياً معيناً ليأخذ امور دينه عنه، لذا لم يكن هناك حل إلا بالسعي لمعرفة مصداق «الولي». وفي هذا المجال يتشكل الفصل الخامس من البحث حول «الولي من هو؟». البحث عن مصداق الولي غير ميسور من دون الإستعانة بالمباحث الكلامية. لأن الأبحاث العقلية، المحضة لا تتكفل بالمسائل الشخصية، إذ لا طريق للبرهان إلى القضايا الجزئية (الشخصية)، لأن البرهان مقدماته يجب ان تكون كلية وذاتية ودائمية وضرورية. ولذا إذا اردنا البحث عن ولاية شخص كامل فلا حيلة لنا الا الاستعانة بالمباحث النقلية وذلك طبعاً مع الالتفات للعقل.

المعرفة والإخلاص من واجبات طريق الولاية:

إن أهم فصل في بحث الولاية هو الفصل الثالث الذي يبين طريق الوصول الى الولاية. وكما قد مر فإن إتيان اي عمل يمتلك في نفسه صلاحية التقرب الى الله ويكون الآتي به قد اتى به قربة الى الله، اي انه قد لوحظ فيه الحسن الفعلي والحسن الفاعلي معاً هذا العمل يفتح مجالاً للتقرب من الله. واذا اقترب العبد من الله فيستطيع الإنتفاع من قربه. والأعمال التي تحتوي هذه الخصوصية مجموعتان، فبعضها بمنزلة الفريضة لنيل مقام الولاية وبعضها بمنزلة النافلة، فكما ان الوصول الى الجنة له فرائض ونوافل فكذلك الوصول الى المقامات الإنسانية والذي هو في الحقيقة نحو من انحاء الجنة له واجبات ومستحبات. وما يتمتع في هذا المجال بأهمية عالية ويعد بمنزلة الفريضة هو المعرفة والإخلاص في العمل، وكلما كانت المعرفة اكثر ازداد الإخلاص في العمل اكثر.

قال رسول الله(ص) لأبي ذر رضوان الله عليه: (ما معناه) يا أباذر إذا كان الإنسان باراً ـ بالمعنى المذكور في القرآن ـ فلا يحتاج لكثرة الدعاء وإنما يفرج عنه بالدعاء القليل فالدعاء بمنزلة الملح للطعام. ما هو فريضة بالنسبة للإنسان هو ان يكون من اهل المعرفة والإخلاص في العمل وان يدعو بلسان الحال والقابلية، ففي هذه الصورة تكون الأدعية اللفظية بمنزلة النافلة وملح الطعام. أما اذا قلل الإنسان من المعرفة والإخلاص وزاد في الدعاء املاً في الوصول المجاني الى مقام الولاية أو في أن تفتح له ابواب الجنان فليعلم انه لن يحصل من هذا العمل على نتيجة.

وقد وعد الله سبحانه ايضاً بقوله:

﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾[(1)] .

فلو سعى الإنسان سبيلنا فسنهديه. والسعي والجهاد في سبيل الله له

---

(1) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

مصاديق كثيرة. ومن المتيقن به ان السعي لأجل معرفة الحق من ارقى مصاديقه. كما ان العمل لأجل طي الطريق الى الحق والجهاد لأجل تنظيف وتعبيد طريق الحق من كل مانع فردي او جماعي وتطهيره من شر قطاع يُعدُّ جهاداً في سبيل الله. ونتيجة هذه المجاهدة والسعي هي وقوع المجاهد والعامل محلاً للهداية الخاصة لله سبحانه، وطبعاً هذه الهداية ليست بمعنى ارائة الطريق لأن الله تعالى يقوم بدلالة جميع الناس أعم من المؤمن والكافر، وإنما هي بمعنى الإيصال الى المطلوب والتي تتحد مع الولاية.

فاذاً أفضل طريق للوصول الى مقام الولاية السامي هو المعرفة والإخلاص في العمل والسعي لتحصيل او تقوية هاتين المقدمتين. والتأمل والتدبر في الآيات التي تبين طريق تحصيل المعرفة والإخلاص يفتح الطريق لنيل هذا الهدف.

العبادة وحدها طريق التقرب:

احدى الآيات التي تجعل التقرب الى الله في ظل العبادات ممكناً هي هذه الآية الكريمة ﴿**كلا لا تطعه واسجد واقترب**﴾[1] التي يجب السجود لتلاوتها.

فالله سبحانه يأمر رسوله بان اسجد واقترب من الله. طبعاً من الواضح ان المراد من السجدة هو هذه الصلاة والعبادة وحيث ان ارقى حالات الصلاة هو السجود فقد اطلق على الصلاة من باب اطلاق الجزء على الكل.

العبادة سلم اليقين:

الآية الأخرى التي تصرح بهذه الالتفاتة هي هذه الآية الكريمة:

﴿**فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين * واعبد ربك حتى يأتيك**

(١) سورة العلق، الآية: ١٩.

اليقين﴾[1] .

يلاحظ ان هذه الآية الكريمة تعدُّ العبادة وسيلة لتحصيل المعرفة واليقين.

كلمة اليقين في هذه الآية المباركة استعملت في المعنى اللغوي واذا كان قد فُسِّرَ اليقين بالموت في بعض الروايات فذلك من باب الجري والتطبيق لا تفسيراً لمفهوم اليقين. ووجه اطلاق اليقين على الموت هو انه في تلك الحال تزول الحجب الظلمانية لعالم الطبيعة وتستقر عين البرزخ الحادة لرؤية جمال الحقائق، ولذا يزول كل الترديد والشبهات ويحل محلها اليقين.

ولفظ «حتى» كذلك ليس للغاية وإنما يستشم منه معنى المنفعة. بناء على هذا فليس معنى الآية ان الوصول لليقين غاية العبادة اي اعبد حتى تصل لليقين وفي النتيجة اذا وصل احد الى اليقين يترك العبادات، كلا وإنما المراد هو ان احد فوائد العبادة اليقين، وتحصيل اليقين غير متيسر الا عن طريق العبادة والعبودية.

مثلاً لو قيل: اصعد درجات السلم حتى تصل يدك الى تلك الذروة العالية فهذا لا يعني انه بمجرد امساكها اترك السلم، إذ ان ترك السلم سبب للسقوط والهلاك الحتمي.

بناء على هذا فمفاد الآية الكريمة هو ان اليقين قائم على درجات سلّم العبادة وترك هذا السلم يدفع الإنسان نحو السقوط.

﴿ومن يشرك بالله فكأنما خرَّ من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق﴾[2] .

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩٩.

(٢) سورة الحج، الآية: ٣١.

التوحيد الافعالي نتيجة للعبادة:

النكتة الأخرى التي تستحق التأمل في هذه الآية الكريمة هي ما هو متعلق اليقين؟ وما هو اليقين الذي تدعونا الآية الى العبادة لاجل تحصيله؟ من المسلم به ان هذا اليقين ليس الجزم بوجود المبدأ لأن يقيناً كهذا هو المنشأ للعبادة لا انه نتيجتها الراقية والذي يعد من مقامات أولياء الله. وإنما هذا اليقين هو اليقين بوجود الله تعالى مع كل اوصافه المطلقة. واليقين بالربوبية المطلقة لله تعالى لا يترك موضعاً لتصور تدبير وربوبية الآخرين، كما ان اليقين بالمالكية المطلقة له تعالى ينفي مالكية غيره. فلو وصل شخص الى هذه المرحلة من اليقين فعدا عن اليقين بوجود الله سيكون عنده يقين بربوبية الله ومالكيته المطلقة بالنسبة للعالم، فحينئذ ليس فقط يسلب الملكيات الإعتبارية عن نفسه ويراها ملكاً لله، بل يرى نفَسه وكل شؤونه ملكاً لله ايضاً. لو اتضح للإنسان ان هذه القوى الإدراكية والعملية للإنسان ملك ومُلك لله فسيرى ان كل عمل خير يقوم به بواسطة هذه القوى هو ملك ومَلك لله، ولذا فهو يشكر الله على ان تمكن في اتيان اعمال الخير بيده وعينه وسائر اعضائه.

اذ حيث ان جميع العالم موظفون وعمال للحق ﴿**لله جنود السماوات والأرض**﴾[1] ومع الإلتفات الى ضرورة وجود ذلك العمل الخير في نظام الوجود فكان من الممكن ان يقوم الله سبحانه بهذا العمل بواسطة عين واذن وأعضاء شخص آخر، لذا لو وفق الإنسان لإتيان الخيرات فيجب ان يجد نفسه مديناً للمالك المطلق والرب المطلق والقادر المطلق وان يكون شاكراً من صميم قلبه.

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٤ و ٧.

التوحيد الأفعالي في الآيات:

في سورة يونس في مقام التوحيد الربوبي وفي النتيجة التوحيد الافعالي يقول تعالى:

﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض﴾[1].

يمكن ان يفهم البعض ان الله هو الرازق ولذا يطرح سؤالاً أدق فيقول:

﴿امن يملك السمع والأبصار﴾[2].

وجواب ذلك ان الله سبحانه هو مالك السمع والأبصار اي ان جسم العين والأذن ومِلكها (بكسر الميم) من الله تعالى وكذلك مُلك (بضم الميم) العين والأذن تحت تصرف الله عز وجل. فذاك الذي بيده المِلك (بكسر الميم) هو المالك وذاك الذي بيده المُلك (بضم الميم) هو الملك. الله سبحانه مالك **﴿لله ما في السمٰوات والأرض﴾**[3] وكذلك ملك ايضاً **﴿لله مُلكُ السماوات والأرض﴾**.

فمع الإلتفات لما مر لا يمكن ادعاء ان الله تعالى قد خلق قوانا ومن ثم وضعها في تصرفنا على نحو العارية، لأن هذا التوجيه وإن كان يثبت مِلك (بكسر الميم) القوى لله سبحانه لكنه يفوض مُلكها (بضم الميم) للعبد لأنه حين يوضع مال على نحو العارية في تصرف المستعير يكون في هذه المدة تحت نفوذ وسيطرة المستعير لا المعير. وبعبارة اخرى يكون مِلكه (بكسر الميم) مستنداً للمعير اما مُلكه (بضم الميم) ففي تصرف المستعير فعلى هذا الأساس لا ينسجم هذا التوجيه ايضاً مع معرفة الله سبحانه على انه المالك المطلق. والتوجيه الوحيد الذي يمكن فيه تفسير استناد القوى الإدراكية العملية للإنسان دون ان يكون من ذلك منافاة للمالكية

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣١.

(٢) سورة يونس، الآية: ٣١.

(٣) سورة يونس، الآية: ٥٥.

المطلقة لله سبحانه هو ان نقول ان الإنسان مرآة لجمال وجلال الحق.

معنى المرآة:

ينبغي التذكير بأن المرآة في اصطلاح اهل المعرفة تطلق على الصورة المنقوشة في المرآة لا على جرم نفس المرآة، إذ ان ما يسبب رؤية الإنسان نفسه هو في الواقع الصورة الموجودة في المرآة وتدل على كل شؤون صاحب الصورة لا البلور والزئبق التي يرى أهل العرف أنها هي المرآة خلافاً لأهل المعرفة.

مظهرية الإنسان:

علىٰ أساس هذه النظرة فالإنسان مظهر ذاتي جامع لجميع الكمالات. وعندئذ يتضح معنى انحصار الولاية بالذات المقدسة الإلهية سبحانه وتعالى.

اذ عندما يرتضي الإنسان على اساس الآية الشريفة **﴿فالله هو الولي﴾**[1] او **﴿هو الولي الحميد﴾**[2] ان الولي المطلق هو الله فلن يستطيع القول بولاية لنفسه او لأي زاوية من زوايا عالم الإمكان حينها ابداً.

بناء على هذا فالشخص الذي يقول بان له الولاية على قواه الإدراكية والعملية او يقول لقد عانيت وحصّلت العلم بنفسي فهذا الشخص لا يزال متخلفاً في منعطفات الأزمة الأولية للمعرفة، ولم يطوِ الطريق الى التوحيد الحقيقي.

والإنسان الذي طوى مراحل التوحيد الافعالي جيداً هو الذي يجد ان الإنسان في تمام شؤونه مرآة للحق ومظهر للكمال المطلق وآية لـ«هو الولي».

لو تكلمت صورة المرآتية لقالت اني آية ومظهر لصاحب الصورة، ولذا

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٩.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٢٨.

فالإنسان الكامل الذي قد حُلَّت بالنسبة له هذه المعارف يقول اني مظهر لـ«هو الولي»، اي ان الذي يقوم بالعمل موجود آخر وأنا مجرد آية عنه أشير الى كونه قد قام بهذا العمل وعندما تصل المعرفة الى هنا فالإنسان لا يقول فقط حول السمع والبصر: **﴿امّن يملك السمع والأبصار﴾** وإنما يقول ايضاً ذلك الكلام الذي امر الله تعالى رسوله به **﴿إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾**[1] فحياة الإنسان ومماته وعباداته ايضاً مِلك لله ومُلك له.

وعلى اية حال فهذا صراط مستقيم يخلّص الإنسان من التورط في فخّ الجبر والتفويض، ويعيد الطريق لقبول المعنى الصحيح للولاية وان كان ادق من الشعرة وأحد من السيف.

معنى الأمر بين الأمرين:

مسألة الجبر والتفويض منفصلة عن مسألة التوحيد الأفعالي. «الأمر بين الأمرين» تفيد معنيين وأحدهما دقيق والآخر أدق. والمعنى الدقيق هو ذلك المعنى المتعارف من ان الإنسان كان يمتلك الإختيار وقد جعل على مفترق طريقي الخير والشر، فلو اساء لعوقب ولو احسن لاستحق الجزاء. فلا جبر بشكل يكون الله تعالى قد فرض عليه كل الأمور، ولا تفويض بشكل يكون الله قد اوكل له فيه كل الأمور، وإنما امر بين الأمرين. لكن في الأبحاث العقلية يفسر بنحو ادق يكون نتيجته التوحيد الأفعالي. وتطبق صورة المرآتية والمظهرية على هذه النظرية. يقول الله سبحانه في سورة النحل:

﴿ما بكم من نعمة فمن الله﴾[2].

فكل النعم من الله عز وجل. فلو قام شخص باطاعته عز وجل فهذه

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.

(٢) سورة النحل، الآية: ٥٣.

الإطاعة نعمة، فمن هو ولي هذه النعمة؟ يمكن ان يقال ان الله سبحانه قد اعطانا عقلاً واختياراً وأرسل لنا نبياً ونحن قد قمنا بالطاعة بالإستعانة بهذه الإمكانيات. لكن يلاحظ انه في هذا التوجيه قد فرض الإنسان مستقلاً في الإختيار، وليس التفويض سوى استقلال العبد امام الله. لذا يقول الفقيه الهمداني (قدس سره) في الكتاب الشريف الطهارة ان الكثير من علمائنا كانوا في صدد نفي الجبر فوقعوا في التفويض وحسبوا بهذا انهم اثبتوا الأمر بين الأمرين. والسر في المطلب هو انه اذا كانت ولاية الله وربوبيته مطلقة وغير محدودة فلا يعقل فرض ربوبية وولاية اخرى مقابل هذا التدبير والولاء اللامحدود. وما هو المعقول هو مجرد مظهرية ومرآتية الإنسان لله عز وجل.

اثر قبول التوحيد الأفعالي في تصرفات الإنسان:

اذا نال الإنسان هذا المقام المنيع بشكل لا يعتقد فيه بأن ما في السموات والأرضين مِلك ومُلك لله فقط، وإنما يرى نفسه وجميع آثاره ايضاً تحت تدبيره وولايته عز وجل، وانه مظهر للحق ومجلىً له وآية عن ذلك المحجوب فسيكون مراقباً لتصرفاته وأعماله بدقة، وسيسعى لكي لا يصدر فيه عمل ناشيء عن قلة الأدب او الغفلة عن الله في محضره.

وكلام رسول الله(ص) لأبي ذر رضوان الله في هذا المجال يستحق الإلتفات، يقول:

«يا أبا ذر اتحب ان تدخل الجنة؟ قلت: نعم، فداك ابي». ثم قال: «فاقصر من الأمل واجعل الموت نصب عينيك واستح من الله حق الحياء».

قال: «قلت: يا رسول الله كلنا نستحي من الله». قال: «ليس ذلك الحياء ولكن الحياء من الله ان لا تنسى المقابر والبلى، والجوف وما وعى، والرأس وما هوى» ثم قال: «ومن أراد زينة الله فليدع زينة الدنيا، فاذا كنت

كذلك اصبت ولاية الله»[1] .

وكذلك ورد في كلام آخر للنبي الأكرم(ص) انه قال :

«يا أبا ذر ان أهل الورع والزهد في الدنيا هم اولياء الله حقاً»[2] .

فمن المؤكد ان الزهد والورع علامة للولاية الإلهية. وكل من صار ولياً لله فهو من اهل الورع والزهد. لا أنه كل من صار من اهل الورع والزهد فهو وليُّ الله.

والخلاصة ما هو فريضة لنيل مقام الولاية السامي هو معرفة الله وأسمائه الحسنى ومسألة الإخلاص في العمل.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) البحار ج٧٧ ص٨٣ نقلاً عن مكارم الأخلاق.

(٢) البحار ج٧٧ ص٨٧ نقلاً عن مكارم الأخلاق.

الدرس الثامن

تلخيص لما مر

لقد كان البحث في ولاية الإنسان في القرآن. وكانت خلاصة الفصل الثالث من البحث أن اهم العوامل في تحقيق الولاية هو المعرفة والإخلاص في العمل الصالح حيث ان هذين الأمرين بمنزلة الفريضة وسائر الأمور الأخرى بمنزلة النافلة.

المعرفة التي تشكل اساس الولاية هي المعرفة التي تنتهي الى التوحيد الأفعالي والتوحيد الصفاتي والتوحيد الذاتي، بشكل يرى الإنسان كل فعل وصفة وذات فانياً ومندَّكاً في فعل الله وصفته وذاته. معرفة كهذه توجب صيرورة الإنسان «وليَّ الله». أما المعرفة الناتجة عن برهان النظم او الإمكان او الحدوث او البراهين العقلية الأخرى فلا قدرة لها على جلب التوحيد الأفعالي والصفاتي والذاتي. ولذا فهي لا ترفع الإنسان الى مقام الولاية وإنما هي في اقصى حد تكون منشأ للعبادة او الزهد او ما شابه ذلك من الكمالات الأخلاقية.

التوحيد الأفعالي اساس الولاية:

لأجل نيل معرفة كهذه تكون اساساً للولاية من الضروري التدبر في بعض الآيات القرآنية. واحداها هذه الآية الكريمة:

﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾[1].

ليس مفاد الآية الشريفة ان مبدأ ظهور جميع النعم هو الله بشكل تكون هذه النعم مستندة اليه مقام الحدوث فقط دون مقام البقاء، وإنما المراد ان كل نعمة تتحقق في عالم الوجود فهي حدوثاً وبقاء من الله. إذ ان مادة كل نعمة مِلك (بكسر الميم) لله تعالى والله مالكها والتصرف فيها ايضاً مُلكه (بضم الميم). لأن الله تعالى مَلِكَ وهذا التصرف ايضاً ـ استناداً الى الآية الكريمة ﴿مالك الملك﴾ التي تبين ان هذه السلطة والتصرف مختصان به ـ ملك طلق له تعالى.

هذه النظرة تنبّه الإنسان الى ان جميع النعم قد وضعت في تصرفه على نحو الأمانة وهو امين لا مالك.

من هنا يجب ان تعاد هذه الأمانات بما امكن من السرعة الى صاحبها الذي هو الله تعالى ﴿ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى اهلها﴾[2].

وجود الإنسان امانة الهية وشرط الوصول الى مقام الولاية السامي هو ان تعاد هذه الأمانة الى صاحبها قبل الموت، اذ حين الموت ستؤخذ منه شاء ام أبى ولا يصدق اداء الأمانة على الإسترداد القهري، وعندما يتخلى سالك درب الولاية عن كل ما هو تحت تصرفه فسيترنم تبعاً لسيد أولياء الله خاتم الأنبياء(ص) بهذه الحقيقة ان ﴿لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً﴾[3] لست مالكاً لأي شيء على الإطلاق. لا عيناً ولا منفعة ولا انتفاعاً. إذ ان الإنسان اما ان

---

(١) سورة النحل، الآية: ٥٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.

يكون مالكاً لمادة شيء كأن يشتري بساطاً مثلاً، او يكون مالكاً لمنافع شيء كما لو استأجر هذا البساط، او لا يكون مالكاً لا للعين ولا للمنفعة وانما يكونُ مالكاً للإنتفاع كما لو استعار هذا البساط.

وفي غير هذه الصور لا يكون مالكاً لا للعين ولا للمنفعة ولا للإنتفاع.

والله سبحانه وتعالى يأمر النبي(ص) ان قل:

﴿قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله لكل امة اجل اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾[1].

النكرة في سياق النفي تفيد العموم. اي اني لست مالكاً لأي شيء ابداً وليس بيدي جلب ادنى نفع او دفع ادنى ضرر. وهذه الآية الشريفة وردت في موضعين من القرآن. والتعبير بـ«قُل» في صدر الآية لم يرد لأجل صرف القول، لأن الله سبحانه في هذه الآيات يجعل رسوله عالماً لا ذاكراً وقائلاً، وإنما المراد هو ان هذا هو عين الوحي الذي نزل على قلبك اولاً **﴿نزل به الروح الأمين * على قلبك...﴾**[2] ومن ثم يجب ان يجري على لسانك.

وكلام النبي(ص) هذا لا ينافي الكلام الذي ينقله القرآن الكريم عن موسى الكليم سلام الله عليه **﴿اني لا املك إلا نفسي وأخي﴾**[3]، لأن كلام موسى الكليم سلام الله عليه إنما هو في مجال المسائل التشريعية. اذ يقول موسى(ع) انه إلهي انت امرتنا بالإيمان. وأنا املك ان اؤمن انا فقط وقد آمنت وأخي ايضاً يملك ان يؤمن هو وقد آمن وليس بامكاننا عمل شيء أكثر من هذا.

ليس معنى الآية الكريمة هو اني املك نفسي وأخي فقط. إذ بناء على

---

(١) سورة يونس، الآية: ٤٩.
(٢) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٣و ١٩٤.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٢٥.

هذا التفسير يكون «اخي» معطوفاً على «نفسي» لكن هذا الاحتمال بعيد. والإحتمال القوي هو ان يكون «اخي» معطوفاً على اسم «إن» او الضمير المستتر «أنا» الذي في «أملك». وعلى اية حال فهذه المالكية ناظرة الى التشريع اما من الناحية التكوينية فلا احد يملك شيئاً، وكلام رسول الله(ص) المبني على نفي المالكية ناظر الى الناحية التكوينية، ولذا فلا يعارض كلام موسى الكليم سلام الله عليه الذي هو ناظر الى الناحية التشريعية.

إذا وصل الإنسان من ناحية المعرفة الى هذا الأساس فلا يرى نفسه مصدراً لأي فعل ولا الآخرين وإنما يرى جميع الأعمال تحت تدبير رب العالمين. ومن هنا يبسط لسانه بحمد الله والثناء عليه:

﴿فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين﴾[1] .

في هذه الآية الكريمة كررت كلمة «رب» ثلاثة مرات وهذا من خصائص هذه الآية ودلائل عظمتها.

النكتة الأخرى التي تستحق الإلتفات في هذه الآية الكريمة هي ان «رب العالمين» بيان لـ«رب السموات» و«رب الأرض» ولذا فقد عطف عليهما.

بناء على ما قد مر في التوحيد الأفعالي ينكشف السر في نفيِّ الله سبحانه اسناد قتل الكفار للمقاتلين ونسبة ذلك الى نفسه. يقول تعالى: **﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾**[2] .

وتوضيح الأمر هو انه لو نصبنا مرآة في جهة القتال لكي نعكس فيها صورة المقاتلين فالناظر في الصور يستطيع ان يخاطبهم بالقول: انكم لا تقاتلون وإنما صاحب الصورة هو الذي يقاتل وينتصر.

مع الإلتفات لهذا المثال يمكن القول ان المقاتل المتواجد في جبهة

---

(١)سورة الجاثية، الآية: ٣٦.
(٢)سورة الأنفال، الآية: ١٧.

القتال هو صورة لمرآتية الحق. ومن هنا صح أن يقال له: يا صورة الحق! لم تكن أنت الذي اقتلعت العدو، وإنما كان الفاعل لذلك الله سبحانه، وهذا النفي ﴿فلم تقتلوهم﴾ والإثبات ﴿ولكن الله قتلهم﴾ حقيقي لا مجازي. وبالطبع ففعل الحق لا يختص بالجهاد والقتال وانما كل اعمال الخير والطاعات والعبادات هي فعل الحق الذي يظهر في مظاهر متعددة.

أما المعصية والنقص والشر فهي بعيدة عن ساحة قدس الله سبحانه ولذا لا تستند اليه تعالى. من هنا يقول الله تعالى بعد عدٍّ جملة من المعاصي:
﴿كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً﴾[1].

كما انه لو نظر الإنسان الى المرآة بصفتها «ما ينظر فيها»[2] فلا يعود يرى صورة فيها فكذلك الشخص المبتلى بالغرور والعجب يبقى محروماً من مشاهدة جمال الحق. فإذاً جميع المعاصي ترجع الى العجب، وهي تنافي الولاية الإلهية التي يكون التوحيد الافعالي من أوجب مقدماتها.

المطلوب من العبد هو مجرد سلب مالكية غير الله فقط:

الملاحظة الأخرى هي انه قد اتضح لحد الآن ان كل انواع الملك (بكسر الميم) والمُلك (بضم الميم) منفية عن غير الله وثابتة لله وحده فقط. والشيء الحائز للأهمية هو ان المطلوب من الإنسان هو سلب مالكية الآخرين فقط، وهذا السلب والنفي للمالكية ليس بمعنى ان الإنسان يجب ان ينفي اولاً مالكيته ومالكية الآخرين ثم بعد ذلك يثبت مالكية الله، وإنما معرفة الإنسان كمثل مسح الغبار عن وجه المرآة الذي يفتح المجال لظهور مالكية الله المطلقة.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٨.

(٢) «ما ينظر فيه» اي ما يجعل محلاً للنظر الإستقلالي في مقابل «ما ينظر به» الذي هو بمعنى الشيء والذي يشاهد بالنظر الآلي وعلى نحو الواسطة.

مالكية الله تعالى كأصل وجوده واقعية مسلمة وغير قابلة للتغيير قد وضعت في فطرة كل انسان وطينته، ووظيفة كل انسان طالب للحق هو مجرد رفع موانع شهود هذه الحقيقة من أمام عين بصيرته والنظر في مكنون فطرته.

وهذا الكلام يجري ايضاً في أصل التوحيد وتحليل معنى الكلمة الطيبة «لا اله الا الله». فهذه الكلمة الطيبة تنحل الى جملتين وقضيتين مستقلتين. إحداهما نفي الطاغوت ومن ثم اثبات الحق. وبما ان ساحة روح الإنسان هي عرصة التوحيد والله حاضر وظاهر وحده في فطرة كل افراد الإنسان فلذا «إلا» بمعنى «غير»، ومرجع هذه الكلمة الطيبة الى قضية واحدة فقط مفادها تثبيت ان مقتضى الفطرة ذلك. والمراد انه لا اله غير الله سبحانه الذي تجده الفطرة وترتضيه.

ومسألة مالكية الله سبحانه ايضاً بهذا النحو. الله سبحانه يقول لرسوله قل ليس لي اية مالكية في قواي العملية والإدراكية وفي ذاتي ووضعي وفعلي. فلا أنا بالاستقلال مالك لجزء من وجودي كملك مغروز، ولا عندي ملكية مشاعة، ولا قد تعلق به حق نظير حق الرهانة وغيره. والمالك لوجودي بنحو الملك الطلق هو مالك السماوات والأرضين.

يلاحظ ان ما هو وظيفة الإنسان السالك هو تخلية القلب عن لوث وجود غير الله وحراسة ساحة وجوده عن تصرف كل غاصب، لئلا يكون هناك مانع عن تجلّي الأنوار الإلهية وتدبير وربوبية الحق سبحانه وتعالى.

إرشادات النبي الأكرم(ص) لأجل تحصيل الولاية:

ان كلمات ومواعظ النبي ﷺ لأبي ذر[1] رضوان الله عليه تعبد الطريق في هذا الإتجاه. يقول ابو الأسود ذهبت الى منفى ابي ذر في الربذة

---

(١) البحار، ج٧٧ ص٧٤.

لأجل لقائه حيث نقل لي في هذا اللقاء هذا الحديث. قال:

دخلت يوماً مسجد النبي(ص) فرأيت النبي(ص) وأمير المؤمنين(ع) جالسان مع بعضهما ولم يكن هناك احد غيرهما. فاغتنمت الفرصة وقلت لرسول الله(ص): «بأبي انت وأمي اوصني بوصية ينفعني الله بها»، فقال: «نعم». ثم قال: «يا أبا ذر، إنك منا اهل البيت» فكما قد ورد في حق سلمان انه «سلمان منا اهل البيت» فكذلك قد ورد هذا التعبير في حق ابي ذر ايضاً.

«وإني موصيك بوصية فاحفظها فإنها جامعة لطرق الخير وسبله فإنك ان حفظتها كان لك بها كفلان» اي هذين الـ«كفلين من رحمته» المذكورين في آخر سورة الحديد سيكونان من نصيبك. فالله تعالى في آخر سورة الحديد يبشر المؤمنين انه:

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته﴾[1].

ثم قال: «يا أبا ذر اعبد الله كأنك تراه». أي لتكن العبادة على اساس المعرفة الشهودية. «فإن كنت لا تراه فإنه يراك» فانت إذاً إما شاهد او مشهود وفي الحالتين انت من اهل الشهود. إذ انك إما تكون شاهداً تشاهد ففي هذه الصورة شاهديتك مشهودة لك، وإما ان تكون الشاهد الذي يكوَن مشهوداً حيث تكون مشهوديتك في هذه الحال مشهودة لك وهذا ايضاً نحو من الشهود.

«واعلم ان اول عبادة الله المعرفة به» الكثير من بيانات امير المؤمنين(ع) قد اخذ من كلام النبي(ص) هذا. إذاً كان قد نقل في نهج البلاغة او سائر المجاميع الروائية عن امير المؤمنين(ع) انه قال «اول الدين معرفته» فهو مأخوذ من بيان الرسول(ص) هذا من انه «اول عبادة الله المعرفة به» اي ان

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٨.

العبادة بالمعنى الأعم تبدأ من العبادات العلمية وأفضل عبادة هي المعرفة.

ثم يقول حول معرفة الله تعالى: «فهو الأول قبل كل شيء فلا شيء قبله، والفرد فلا ثاني له، والباقي لا إلى غاية، فاطر السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما من شيء، وهو اللطيف الخبير، وهو على كل شيء قدير» إذا كان «هو الأول» فعليه ففي بداية كل عمل لا شيء سوى شهود الحق، وإذا كان «هو الآخر» فلا شيء في خاتمة كل عمل سوى شهود الحق. إذا كان هو «الظاهر» فما يشاهده الإنسان أيضاً ليس سوىٰ آثار جلال وجمال الحق وإذا كان «هو الباطن» فما يشاهده الإنسان في باطنه من سر هو او الآخرون ليس شيئاً آخر سوى بطون الحق. وبالطبع فهذا الكلام يرتبط بمقام فيض الله وإلا فلا يمكن لأحد ان ينال مقام ذاته المقدسة «لا يدركه بُعَدُ الهمم ولا يناله غوص الفطن»[1] مقام الذات ليس مفهوماً لبرهان الحكيم ولا مشهوداً لرياضة العارف. فما هو ظاهر وفي المتناول إنما هو فيض الحق وآثاره وصفاته.

ثم قال بما انه لا شيء قبله ولا شيء أيضاً معه ولا شيء كذلك بعده فعليه هو «فاطر السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما» ولئلا يتوهم احد الحلول أو الإتحاد وأمثال ذلك قال: «وهو الله اللطيف الخبير وهو على كل شيء قدير».

الصفات التي ذكرها النبي الأكرم(ص) في هذا القسم تنسجم مع ما جعل في القرآن الكريم كحد أوسط لإثبات انحصار الولاية بالله سبحانه. من هنا يمكن القول ان النبي(ص) ايضاً قد كان في بداية الكلام في صدد إثبات هذا المطلب.

القرآن الكريم وكدليل على انحصار الولاية في الله سبحانه «فالله هو

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة الأولى.

الولي» يقول:

﴿هو يحي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾[1].

الاحياء بيد الله وكل محي ولي فالله اذاً ولي. وكذلك القدرة بيد الله وكل من كان قديراً فهو ولي فالله اذاً ولي.

﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله﴾[2]

هو حَكَم وكل من كان حكماً ولي فالله اذا ولي.

﴿فاطر السمٰوات والأرض جعل لكم من انفسكم ازواجاً ومن الأنعام ازواجاً يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير * له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شيء عليم﴾[3]

جميع هذه العناوين المذكورة حد اوسط للبرهان الذي نتيجته إثبات انحصار الولاية في الله سبحانه.

بعد ذلك ذكر النبي الأكرم(ص) رسالته ومحبة اهل البيت(ع)، حيث ان الإيمان بذلك يتصف بالأهمية لكونه تتمة لمعرفة مباني الدين.

وقال(ص) في جزء آخر من هذا الكلام: «يا أبا ذر ليكن لك في كل شيء نية حتى في النوم والأكل» اذ لو اراد شخص ان يتقدم في الصراط فيجب ان يكون لديه نية ليس في الأمور العبادية فحسب وإنما في جميع المسائل. فذاك الشخص الذي يلوث نفسه بالطعام المحرم او الذي يكون شرها ومحباً للبطن لا يستطيع امتلاك نية قربة. وذاك الشخص الذي لا يراعي آداب النوم فلا ينام باتجاه القبلة، ولا يتطهر (يتوضأ) حين النوم، ولا يقرأ الأدعية الواردة حين الدخول في الفراش فهذا لا يستطيع ان يقصد القربة في نومه.

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٩.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١٠.

(٣) سورة الشورى، الآيات: ١١ـ١٢.

وكذلك يقول(ص): «يا أبا ذر اخفض صوتك حين قراءة القرآن واتله بخضوع وخشوع». وكذلك «يا أبا ذر اذا اتبعت جنازة فليكن عقلك فيها مشغولاً بالتفكر والخشوع واعلم انك لاحق» اي يا أبا ذر إنَّ تشييع الجنازة مدرسة. فاعمل عقلك حين تشييع الجنائز، التفت إلى أن رفيق سفرك قد ذهب وأنت ايضاً ستلحق به.

ثم قال(ص) : «يا أبا ذر ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه» وهذا الكلام في مجال تحصيل ركني الولاية اللذين هما المعرفةَ والإخلاص إرشاد الهي ويعين الإنسان في سلوك هذا الطريق.

والحمد لله رب العالمين

الدرس التاسع

تلخيص لما مر

لقد كان البحث في ولاية الإنسان في القرآن الكريم. وكان الفصل الثالث من البحث حول طريق إثبات الولاية، وقد بيَّنّا أن المعرفة والإخلاص في العمل الصالح هما الركنان الأساسيان في تحصيل الولاية، ويكونان في طريق تحصيل الولاية بمنزلة الفريضة وسائر البرامج الأخلاقية تعد بمنزلة النافلة. المعرفة من كمالات العقل النظري والإخلاص من كمالات العقل العملي ولقد جرى الحديث في المقالات السابقة حول المعرفة شيئاً ما. والآن نحلل بعض الآيات القرآنية حول الإخلاص.

آيات حول الإخلاص

يقول الله تعالى في سورة الزمر:

﴿إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين﴾(١).

إذا كانت «الباء» في «بالحق» باء الملابسة يكون معنى الآية الكريمة أن

---

(١) سورة الزمر، الآية(٢).

هذا الكتاب قد نزل في كسوة الحق. وإذا كانت الباء للمصاحبة فهذا يعني أن القرآن قد نزل مع الحق وبصحبته وعلى أية حال فهذا الكتاب إما أنه في لباس الحقيقة أو أنه مترافق مع الحقيقة ولن ينفصل عن الحق. من هنا «فاعبد الله مخلصاً له الدين» أي حافظ على الإخلاص ليس في العبادات فحسب وانما في جميع أمور الدين. والإخلاص هو أن لا يخترق العمل الهوى وقصد غير الله.

ثم يقول في الآية التالية:

﴿ألا لله الدين الخالص﴾.

وصف الدين بالخلوص يدلُّ على أنه في جميع أمور الدين لا مجال لغير الله والدين هو ذلك الذي يكون خالصاً.

ـ الفرق بين الواصب والخالص:

عندما يكون الكلام عن كمية الدين يقول القرآن الكريم:

﴿وله الدين واصباً﴾[1].

جميع الدين في تصرف الله بشكل كامل. فهو الذي يجب أن يشرع جميع القوانين الدينية الأعم من الواجبات والمستحبات من العبادات والمعاملات وغير ذلك وعندما يكون الكلام عن كيفية إتيان الأوامر الدينية يقول:

«ألا لله الدين الخالص».

فالله سبحانه إنما يقبل الدين الخالص فقط. ومن هنا فيجب أن تنفذ جميع القوانين والأوامر باخلاص. وفي نفس هذه السورة المباركة يقول

---

(١) سورة النحل، الآية(٥٢).

للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: **﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين﴾**[1].

﴿وأمرت لأن أكون أو المسلمين﴾[2].

وبالطبع فهذا المقام مختص برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

النبي صلى الله عليه وآله ـ أول المسلمين:

لقد مدح القرآن الكريم النبي صلى الله عليه وآله في موردين بوصف «أول المسلمين». ومن البديهي أنه ليس المراد من هذا الأول الأول النسبي أو الزمني وما شابه ذلك، إذ أن ايمان كل نبي بالنسبة لأمته «هو الأول» زماناً مع أنه لم يستعمل هذا الوصف بالنسبة لأي نبي حتى آدم سلام الله عليه. نعم قد ورد في حق موسى الكليم ـ سلام الله عليه ـ أنه «أول المؤمنين» لكن هذا التعبير يتفاوت مع ما هو محل البحث. سر اتصاف النبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ بهذه الصفة هو أن الدين الإلهي الذي أتى به جميع الأنبياء وآمنوا به هو هذا الإسلام، ومن بين جميع مسلمي العالم أعم من الأنبياء والأمم فرسول الله صلى الله عليه وآله أول المسلمين. وهذه الأولية المطلقة دليل على ذلك التقدم الرتبي إذ أن ذلك الإنسان الذي هو الظاهر الأول أو الصادر الأول ـ على الخلاف بين مبنى العرفاء ومبنى الحكماء. والذي قد انقاد وانصاع بالإنقياد المطلق وفي موطن أخذ الميثاق قبل الآخرين يستطيع أن يقول: «أنا أول المسلمين».

كما يقول في سورة الأعراف الآية ٢٩:

﴿قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون﴾.

---

(١) سورة الزمر، الآية(١١).

(٢) سورة الزمر، الآية(١٢).

كونوا مخلصين في دعائكم ودعوتكم ولا تتركوا مجالاً لغير الله في عقيدتكم وخلقكم وأعمالكم. وطبعاً يوجد آيات كثيرة في هذا المجال نوكل أمر تحليلها إلى فرص أخرى. والآن من باب التبرك نستعرض عدة روايات قسم منها حول المعرفة وقسم آخر حول الإخلاص.

المعرفة في كلام المعصومين عليهم السلام:

في كتاب الايمان والكفر في أصول الكافي يوجد باب باسم باب حقيقة الإيمان واليقين والذي هو ناظر إلى الفريضة الأولى والأصل الأول. والرواية الأولى في ذلك الباب هي التالية:

في أحد أسفار رسول الله صلى الله عليه وآله ـ أتاه عدة فرسان فقالوا له: «السلام عليك يا رسول الله. فقال: ما أنتم؟ فقالوا: نحن مؤمنون يا رسول الله» سألهم النبي (ص) في أي درجة من الإيمان أنتم؟ فقالوا نحن مؤمنون. طبعاً أصل إيمانهم كان واضحاً إذ أنهم خاطبوه(ص) بعنوان رسول الله. لذا أخذ النبي صلى الله عليه وآله يبحث عن درجة كمالهم فقال: « فما حقيقة إيمانكم؟ قالوا: الرضا بقضاء الله والتفويض إلى الله والتسليم لأمر الله» عندئذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء. إن كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تجمعوا ما لا تأكلون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون» أحياناً من الممكن أن يحصل للإنسان حالة من الإنقطاع في ظروف خاصة، كمشاهدة جنازة أو زيارة قبور المؤمنين أو حضور مراسم شهيد فيشعر بالخفة، لكن حفظ هذه الحال صعب وبعبارة أخرى تحصيل الحال في الكمالات الأخلاقية سهل، لكن تبديل هذا الحال إلى ملكة لا يتيسر من دون رياضة ومجاهدة. ولذا يُطلب من الله دوام ذلك تارة بلسان الإثبات مثل: ﴿**إهدنا الصراط المستقيم**﴾ وأخرى بلسان النفي مثل: ﴿**ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ**

هديتنا﴾[1] .

ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: إن كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تجمعوا ما لا تأكلون، واتقوا الله الذي اليه ترجعون وفي رواية في باب المسكن وردت بهذا الشكل مفادها مع الإلتفات إلى سائر الأدلة أنه لو رفع الإنسان طبقات بنائه أكثر من حاجته يقول له ملك: «أين تريد يا فاسق؟!»[2] .

الخوف العقلي والخوف النفسي:

قال(ص) في الخاتمة: **﴿واتقوا الله الذي اليه ترجعون﴾**. تارة يكون الكلام عن **﴿فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة﴾**[3] وأخرى عن **﴿واتقوا الله الذي إليه ترجعون﴾** فهذه التقوى هي ذلك الخوف العقلي لا الخوف النفسي. الخوف من جهنم وإن كان كمالاً إلا أنه خوف نفسي، أما الخوف من الله سبحانه فهو كمال أرقى وخوف عقلي.

مثلاً الإنسان العارف لمقام العصمة عندما يرد حرم المعصوم سلام الله عليه يشعر بالهيبة فذلك الجلال والعظمة اللذان للمعصوم يرعبانه ويشعرانه بحقارة نفسه وهذا خوف عقلي. وعندما يصل إلى النار وأمثال النار أيضاً يبتعد ويخاف. وهذا الخوف نفسي. وليست جميع أنحاء الخوف بمستوى واحد في القرآن، إذ بعضها خوف من جهنم وبعضها خوف من المقام الإلهي. مثل الآية **﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾**[4] و**﴿اتقوا النار﴾**.

والخلاصة أن الرسول صلى الله عليه وآله أمر تلك القافلة بهذا الأمر.

---

(١) سورة آل عمران، الآية(٨).

(٢) فروع الكافي، ج٦ باب تشييد البناء وحديث١.

(٣) سورة البقرة، الآية(٢٤).

(٤) سورة الرحمن، الآية(٤٦).

وأما من هم أفراد هذه القافلة؟ وهل كانت فعلاً قافلة خارجية أو أن المراد هو السالكين إلى الله فذلك لا يؤثر في المقصود.

الرواية الثانية عن إسحق بن عمار. يقول: سمعت الإمام الصادق عليه السلام يقول أن الرسول صلى الله عليه وآله صلى صلاة الصبح بالناس جماعة «صلى بالناس الصبح فنظر إلى شاب في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه مصفراً لونه، قد نحف جسمه وغارت عيناه في رأسه. فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ: كيف أصبحت يا فلان؟ قال: أصبحت يا رسول الله موقناً» هذه الأسئلة ليست كمثل الأسئلة العادية عن الأحوال، وإنما من قبيل الأسئلة التي يسألها المعلم لطلابه. ونموذجها ما نقله المرحوم الكليني في الكافي من أنه أحياناً كان النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ يسأل الصحابة عما رأوه ليلة البارحة في عالم الرؤيا، إذ أن الرؤيا الصالحة جزء من أجزاء النبوة وليست نصيباً لكل شخص. ومن هنا كان(ص) كالمربي المطلع يسأل تلامذته، وبهذه الوسيلة كان يرشدهم إلى تصفية الروح وتهذيب النفس لكي يروا الرؤيا الصالحة أيضاً.

على أية حال فقد سأل هذا الشاب أيضاً أنه «كيف أصبحت يا فلان؟ قال:

أصبحت يا رسول الله موقناً. فعجب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من قوله» لم يتعجب بالنسبة لأولئك الذين قالوا بأنهم قد وصلوا إلى مقام الإيمان لكنه قد تعجب من هذا الشخص الذي قال قد وصلت إلى مقام اليقين. وعندها قال(ص): «إن لكل يقين حقيقة فما حقيقة يقِينك؟» كل شيء له حد وحقيقة واليقين أيضاً كذلك فما هي حقيقة يقينك؛ «فقال: إن يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني وأسهر ليلي وأظمأ هواجري» أحزنني إذ لا أنال ما أريد وما هو في متناولي لا أريده، ولذا سهرت ليلي وظمأت نهاري. وهذا كناية عن كونه في النهار صائم وفي الليل مشغول بالعبادة حتى الصباح.

«فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها». «العزوف» هو نفس «العزوب» أي أني قد طلقت الدنيا نفسي، متنفرة من الدنيا. لا من خلق الله ولا من العمل لأجل تحصيل رضا الله وخدمة الناس. الانزواء عن الدنيا مقبول أما الإنعزال عن الخلق والإمتناع عن خدمة الناس لتحصيل رضا الله فمرفوض ومذموم.

ثم بعد بيان هذه المقدمات قال «حتى كأني أنظر إلى عرش ربي» لقد ادعى في حضور رسول الله(ص) إدعاء كهذا أنه: كأني أرى عرش الله بشكل واضح. مقام توجيه الأوامر الإلهية الذي تصدر عنه كل الأوامر يسمى بالعرش وبما أن قلب هذا الشاب كان عرش الله إذ «قلب المؤمن عرش الرحمن» فقد كان كأنه ينظر إليه.

«وقد نصب للحساب وحشر الخلائق لذلك» أرى أنه **﴿إن الاولين والآخرين * لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم﴾**[1] . «وأنافيهم. وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتنعمون في الجنة ويتعارفون على الأرائك متكئون، وكأني أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذبون مصطرخون، وكأني الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي».

«فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لأصحابه: هذا عبد نوَّر الله قلبه بالإيمان» وبهذا يتضح أن النورانية تبدأ من العبادة، ولذا قال الرسول(ص) انه عبد نوَّر الله قلبه.. «ثم قال له: إلزم ما أنت عليه» إذ أن حفظ هذا المقام أصعب من أصل تحصيله. ولذا يقال في الدعاء: «ولا تنزع مني صالح ما أعطيتني». «فقال الشاب إدع الله لي يا رسول الله أن أرزق الشهادة معك» وبهذا يتضح أن القتال والجهاد لأجل تثبيت دعائم الحكومة الإسلامية ليس من الدنيا، إذ أن هذا الشاب قد ترك الدنيا وكان متنفراً منها بكل وجوده. فنفس هذا الشخص الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وآله «هذا

---

(١) سورة الواقعة، الآيات ٤٩و٥٠.

عبد نور الله قلبه بالإيمان» يقول ادع لي لأستشهد في ركابك فيتضح إذاً أن ترك الدنيا شيء آخر غير ترك القتال لأجل حفظ الحكومة الإسلامية.

في الرواية أن أمير المؤمنين عليه السلام في حرب الجمل عندما فتح البصرة دخل بيت المال دخول الفاتحين وقال لقد طلقت الدنيا. هذا مع أن سيفه كان يقطر دما.

فبناء عليه طلاق الدنيا لا يعني أن يكون الإنسان منزوياً. ففي الوقت الذي كانت فيه الخلافة الإلهية حقاً مسلماً لأمير المؤمنين عليه السلام وغصبوها منه كان يزرع ويقول لقد طلقت الدنيا، وعندما كان قائداً عاماً أيضاً كان يكرر هذا الكلام. وهذا يدل على أن ترك الدنيا هو الإجتناب عن التعلق بها.

ذلك الشاب أيضاً قال: يا رسول الله ادع لي أن أرزق الشهادة معك. فدعا له رسول الله. «فدعا له رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر».

الرواية الثالثة الواردة عن عبد الله بن مسكان عن أبي بصير عن الإمام الصادق ـ سلام الله عليه ـ هي أنه قال: «إستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله ـ حارثة بن مالك بن النعمان الأنصاري فقال له: كيف أنت يا حارثة بن مالك» بناء على هذا الحديث فنفس الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ابتدأ حارثة بالسؤال. «فقال: يا رسول الله مؤمن حقاً» عندما يلتقي بأفراد عاديين لم يكن(ص) يسأل هذا النحو من الأسئلة لكن عندما كان يلتقي بتلامذته الخاصين كان يسألهم في أي مستوى هم؛ وأنهم وقد سلكوا أين قد وصلوا وهكذا كان الأمر مع حارثة إذ سأله في أي حدٍ أنت ؛ فقال: مؤمن حقاً.

«فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ لكل شيء حقيقة فما حقيقة

قولك؟»

«فقال: يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت هواجري وكأني أنظر إلى عرش الرحمن وقد وضع للحساب، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون في الجنة وكأني أسمع عواء أهل النار في النار».

طبعاً أولئك الذين ارتقوا إلى مرحلة أعلى لا يعود عندهم «كأنَّ» وانما «إنَّ» فهم الآن يسمعون ويرون، إذ أنه قد ورد عن أمير المؤمنين(ع) حول المبدأ أنه «ما كنت أعبد رباً لم أره»[1] وحول المعاد «لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا»[2] إذ أن جهنم والجنة الآن موجودتان ويوجد فيهما الآن عدد من الناس.

«فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: عبد نوَّر الله قلبه».

وقد بين أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة همام الخطوط العامة لهذا الطريق إذ قال: «هم والجنة كمن قد رآها... وهم والنار كمن قد رآها» ومصاديق ذلك مشخصة في الروايات.

قال(ص ،) «عبد نوَّر الله قلبه» مما يدل على أن الوصول لمقام الولاية إنما هو من طريق العبودية، وذلك أيضاً إنما هو مع المعرفة والإخلاص «أبصرت فاثبت».

«فقال: يا رسول الله: ادع الله لي أن يرزقني الشهادة معك» مما يدل على أن إحدى الأمور التي رآها في ذلك الحال هو فوز الشهادة.

«فقال: اللهم ارزق حارثة الشهادة فلم يلبث إلا أياماً حتى بعث رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ سرية فبعثه فيها فقاتل فقتل تسعة أو ثمانية ثم

---

(١) توحيد الصدوق، باب ما جاء في الرؤية، ح٦.
(٢) المئة كلمة للجاحظ.

قتل» والظاهر أن هذه الرواية تختلف عن الرواية السابقة. إذ هناك كان الكلام عن غزوة وهنا عن سرية. فبناء عليه سيكون ذلك الشاب شخصاً غير حارثة بن مالك، إلا أن تكون الغزوة أعم من السرية، ويكون المراد من ذلك الشاب هو نفس حارثة بن مالك.

الإخلاص في كلام المعصومين عليه السلام:

وعلى أية حال فهذا النوع من الروايات يدل على أن اليقين يوصل الإنسان إلى هذا المقام وقد ذكر المرحوم الكليني أيضاً في باب الإخلاص[١] روايات آخرى حول الإخلاص وهي ناظرة إلى الفريضة والأصل الثاني.

في الرواية الأولى لذلك الباب فسرت «حنيفاً مسلماً» بـ «خالصاً مخلصاً ليس فيه شيء من عبادة الأوثان».

والرواية الثانية هي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يا أيها الناس إنما هو الله والشيطان، والحق والباطل، والهوى والضلالة، والرشد والغي، والعاجلة والآجلة والعاقبة، والحسنات والسيئات، فما كان من حسنات فللّه، وما كان من سيئات فللشيطان لعنه الله».

الرواية الثالثة عن الإمام الرضا عليه السلام. ينقل أن «أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان يقول: وتعبير «كان يقول» يدل على أنه كان يكرر هذا الكلام دائماً.

«كان يقول: طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه، ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه، ولم يحزن صدره بما أُعطِيَ غيره» وذلك لأن الثروة والإمكانات المادية ليست دليل اكرام وإنما هي وسيلة امتحان، فإذا كان للإنسان هذا الحال بشكل أن محسوسات عالم الطبيعة لا

---

(١) أصول الكافي ج٢، ص١٥.

تشغله بنفسها ولا تمنعه عن ذكر الله فيستطيع أن يحصل من الإخلاص على حظٍّ وافر.

والحمد لله رب العالمين

الدرس العاشر

تلخيص لما مر

لقد كان البحث في ولاية الإنسان في القرآن الكريم. والقسم المهم من هذا البحث هو معرفة المبدأ الفاعلي للولاية (الولاية لم هي؟) اذ ان هذه المعرفة تبين للإنسان طريق الوصول الى مقام الولاية السامي وتهيء الأرضية لأن يصير «ولي الله».

في هذا السياق قد بينّا انه اذا كان لعملٍ ما في نفسه صلاحية التقرب وقام به مرتكبه بقصد القربة بشكل يكون قد لوحظ في هذا العمل الحسن الفعلي والفاعلي كلاهما ففي هذه الصورة سيرتقي الإنسان الى مقام الولاية الشامخ.

وكما مر فهناك امران يُعدَّان من واجبات الولاية وهما عبارة عن المعرفة والإخلاص. والسر في ذلك ان الإنسان له شأنان. اذ هو يمتلك عقلاً نظرياً يشخِّص به صحة القضايا وعدمها، كما يمتلك عقلاً عملياً يمتثل به ما يجب اتيانه ويجتنب به ما لا ينبغي ارتكابه.

وحيث ان كمال العقل النظري بمعرفة الله وكمال العقلي العملي في اخلاص العمل لله لذا فهذان الأمران يُعدَّان من فرائض الولاية.

أصالة المعرفة:

طبعاً ينبغي الإلتفات الى ان هذين الأمرين ليسا في عرض بعضهما، وإنما المعرفة اصل والإخلاص فرع. اذ لا يمكن حصول الإخلاص من دون المعرفة، وبعد ذلك يبقى اثر المعرفة الى الأبد اما اثر الإخلاص فينتهي بالموت. اذ ان الإنسان عندما ينتقل من هذه النشأة ينقطع عمله مع جميع شؤونه والتي من جملتها الإخلاص، لكن من حينها فصاعداً تزهر المعرفة هذا وان كانت ثمرة العمل ونتيجة الإخلاص تبقى خالدة كذلك.

الصمدية منشأ الولاية:

على اية حال لكي يصير الإنسان وليَّ الله يجب ان يكون باطنه مملواً من المعرفة والإخلاص ليصير مظهراً لإسم «الصمد» المبارك، وعندها يتجلى فيه اسم «الولي» السامي الذي هو من الأسماء الحسنى للحق. اذ ان منشأ الولاية الإلهية هو صمديته تعالى، وحيث ان الله تعالى «الصمد» فهو «الولي» ايضاً.

ليس معنى «الصمد» اجوف الذات وخالي الداخل. بل داخله مملوء. عندما يتحدث القرآن الكريم عن الأشخاص الذين هم مظهر لله الصمد يذكرهم بصفة «اولي الألباب» وفي مقابل «اولي الألباب» يوجد الأشخاص فارغي الألباب الذين يقول عنهم تعالى: ﴿افئدتهم هواء﴾[1] اي افئدتهم وقلوبهم خالية. والسبب في ان البعض فارغي اللب هو ان الشيطان قد نفذ في علمهم ومعرفتهم كما نفذ في عملهم. ومن هنا فلا عملهم خالص ولا نظراتهم ومعرفتهم برهانية وشهودية، وفي النتيجة لا هم مظهر للصمد في

---

(١) سورة ابراهيم، الآية: ٤٣.

مقام العمل ولا في مقام العلم.

اما اولئك الذين لم يفسد الوهم والخيال معرفتهم ولم يجعلها هباء فارغاً فهم في بُعد المعرفة من ذوي الألباب. ومن هنا فهم في العمل إما مخلصون (بكسر اللام) او مخلصون (بفتحها) وبعبارة اخرى فقد صار هؤلاء مظهَراً للصمد في بُعدي العلم والعمل. وحيث ان العلم والعمل شأنان من شؤون الروح الكاملة فروحهم اذن مظهر للصمد، والروح التي تصير مظهراً للصمد تستطيع ان تكون مظهراً للولي بهذا المقدار.

مراتب صمدية الانسان:

تارة تكون صمدية الإنسان في مرتبة يحفظ فيها ساحة علمه وعمله من متناول الشيطان فقط. وشخص كهذا إنما يمتلك ولاية على نفسه فقط. وتارة اكثر من هذا فهو لا يحرس حرم قلبه فحسب وإنما تطرد معرفته واخلاصه الشياطين عن ارواح عدد من الناس كمثل الشهاب الثاقب.

ومنطقة ولاية شخص كهذا اكثر سعة. وأسمى من هذا ايضاً مقام الإنسان الكامل الذي يكون مظهراً، تاما الصمدية الله سبحانه، ويكون في النتيجة مسؤولاً عن تدبير العالم بإذن الله.

موانع صمدية الإنسان في بُعد المعرفة:

في بُعدِ المعرفة يستطيع الإنسان ان يكون مظهراً للصمد بأن ينظِّف طريق عقله مَن الموانع الداخلية والخارجية. الموانع الداخلية هي الوهم والخيال حيث يجب ان يكون العقل مصوناً من هذين الأمرين بشكل انه في مقام الإستدلال يقوم الوهم والخيال بمجرد تهيئة المقدمات فقط ويقدمانها للعقل، اما تنظيم المقدمات والإستنتاج منها فهو وظيفة العقل فقط. اذ لو تدخلَّ الوهم والخيال في عمل العقل فالنتيجة تكون خالية من الواقعية بهذا المقدار الذي قد تدخلا به، ولذا فلا يكون الإنسان مظهراً للصمد في مسألة

كهذه.

وضعف الوهم هو في انه يقبل المقدمة لكن لا يوصل الشخص الى نتيجة. مثلاً الخوف من الوحدة والظلمة من هذا القبيل. اذ لو سئل البعض انه هل يستطيع الباب او الحائط او الكتاب او سائر وسائل الحياة الأخرى ايصال ضرر للإنسان فسيجيب بالنفي، لكنه في نفس الوقت يخاف من الإنفراد في غرفة وحده، ومنشأ هذا الخوف هو الوهم الذي له تأثير في المقدمات لكنه في النتيجة يبتعد ويتدخل أثناء الإستنتاج في عمل العقل بهذا الشكل.

والموانع الخارجية ايضاً هي الشياطين التي وبمعاونة الأعداء الداخليين تمنع من فهم الواقعيات عن طريق المغالطة والوسوسة.

يقول تعالى في سورة الأنعام عندما يصل الى الكلام حول طراز تفكير المشركين:

﴿إن الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وإن اطعتموهم إنكم لمشركون﴾(١).

فإذاً المشركون الذين يقومون بمجادلة القرآن نتيجة فكرهم وحي الشيطان، والوحي هو ذلك الشعور الخفي الداخلي الذي يظهر احياناً بصورة العلم في المسائل النظرية وأحياناً بصورة الإرادة في المسائل العملية.

موانع صمدية الإنسان في بُعْد العمل:

وفي بُعْد العمل ايضاً الإنسان الذي يكون مظهراً «للصمد» وفي النتيجة مظهراً «للولي» هو الذي يزيل موانع الولاية من طريقه. والقبح العقلي والقبح الفاعلي كلاهما يُعدَّان من موانع الولاية. فإتيان كل عمل مما يكون في نفسه

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢١.

مبعِّدا او لا يكون في نفسه مبعداً وانما مقرب لكن الآتي به قد عمله لغير الله كلاهما مانع من الولاية. وليس انه لا يوصل الإنسان إلى الولاية الإلهية فحسب، وإنما يلقيه ايضاً في درك عداوة الله. وذلك لأن الإنسان لا يتعدى حالتين، فإما ان يكون وليّاً لله او عدواً له، واذا لم يكن في احدى المراحل تحت الولاية الإلهية فستناله عداوة الله.

الجزاء النقدي للأعمال:

القرآن الكريم في سورة المطففين يعدُّ الذنوب مانعة من شهود الحقائق وينبِّه الى انه ليس صحيحاً انه يسجِّل الذنب في الدفتر ومن ثم يجازي عليه الإنسان في المستقبل القريب او البعيد، بل مجازاة الذنب تكون نقداً. وليس هذه الآية فحسب وإنما كل الآيات التي تذكر مطابقة الجزاء مع العلم فهي لا تختص بعالم الآخرة وجهنم، وان كانت بعض هذه الآيات قد جعلت في سياق آيات تتحدث عن جهنم، لكن لا السياق مخصص ولا المورد.

وهذا اصل عام من ان الله تعالى يجازي. والجزاء ايضاً ليس إلا بالعمل، ولذا فهذا الجزاء والعقاب يبدأ مع نفس العمل.

يقول تعالى:

﴿واذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الأولين﴾[1].

عندما تتلى آيات الله على المكذِّب بالقيامة يقول هذه اساطير الأولين. والقرآن الكريم يقول في جوابه: ان هذه لم تكن اساطيراً أبداً وإنما هي من الحكَم الإلهية. لكن النقص في ذلك المكذِّب إذ لم يفهم، وعلة هذا الإنحراف الفكري هو الصدأ الذي سوّد قلبه على اثر ارتكاب الذنوب.

﴿بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾[2].

---

(١) سورة المطففين، الآية: ١٣.

(٢) سورة المطففين، الآية: ١٤.

فمفاد الآية هو انه قد أعطيناه قلباً شفافاً كالمرآة بشكل لو لم يسوّده ويفسده لشعت فيه اسرار العالم. لكنه قد سود هذه المرآة وافسدها بالمعاصي، اجل وكذلك فالتقوى تبعث على شفافية وصفاء مرآة القلب:
﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾[1] .

والذنب يسبب رين القلب ويمنع اشعاع المعارف الإلهية في قلب المذنب وهذا العقاب نقد إلهي.

طبعاً الذنوب متفاوتة. فيمكن لعمل ان يكون بنفسه معصية كالغيبة والكذب ويمكن الا يكون في نفسه معصية لكن عامله يأتي به لغير الله كالصلاة الريائية. وعلى اية حال فهو «رين» والمكان الذي يمتلأ من الرين سيخلو من الحق، وفي النتيجة فهذا الشخص سيدخل ضمن طائفة الذين «افئدتهم هواء» وعندما يكون فؤاد امرىء خالياً فلن يصير مظهراً للصمد والولي ابداً. من هنا فإن الشيطان يأخذه لولايته ويمكن ان يظل عمراً تحت ولاية الشيطان دون ان يدري.

وقد ورد في سورة محمد(ص) ايضاً:
﴿أفلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها﴾[2] .

حيث يظهر ان القلب احياناً يقفل. وقفل القلب هو المعصية التي لا تترك للمعارف طريقاً اليه، وفي النتيجة يصير قلب كهذا مسرحاً للوهم والخيال والمغالطات والأفكار الباطلة، ولو ارتحل في هذه الحال عن هذا المنزل الفاني فسيحشر في القيامة خالي القلب فقيراً، اذ من جهة سيبرز الوجه الحقيقي الخيالات والأوهام التي كانت متراكمة فوق بعضها في نشأة الطبيعة في تلك النشأة التي هي محل ظهور الحقائق، وسيكتشف في ذلك اليوم انه

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٩.
(٢) سورة محمد، الآية: ٢٤.

كان في الدنيا مستأنساً بالسراب، وأنه كان محروماً من الإستفادة من معين المعرفة الدافق الزلال، ومن جهة اخرى فليست القيامة محلاً لتحصيل العلوم والمعارف لكي يسعى الجاهل هناك لأجل تحصيل المعارف.

اتمام الحجة:

النكتة الأخرى التي تستحق الإلتفات بالنسبة لهؤلاء الأفراد هي انه يقول تعالى اننا نمرر معارف القرآن على قلب هؤلاء العصاة لكنهم لا يقبلونها. الإنسان من ناحية المعرفة يمتلك قوى ادراكية كثيرة كما انه من ناحية العمل ايضاً يمتلك رغبات كثيرة. الحس والوهم والخيال والعقل التي تعد من شؤون العقل النظري هي من حيث القوى الإدراكية للإنسان. ومن الشهوة الى المحبة والإرادة والتولي وكذلك الغضب والعداوة والكراهة والتبري فهذه كلها من شؤون العقل العملي وتُعَدُّ من جملة القوى التحريكية. وهذه المجموعات الإدراكية والتحريكية موجودة في روح افراد الإنسان.

يقول الله تعالى: إننا وكما نجري الماء في الأرض ونوجد العيون في جوف الأرض فكذلك نجري هذه العلوم والمعارف في قلوب هؤلاء ايضاً لكن شيئاً من قواهم الإدراكية والتحريكية لا يتقبل هذه المعارف.

تقول الآية ١٢ من سورة الحجر ما يلي:

﴿وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن * كذلك نسلكه في قلوب المجرمين * لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين﴾.

«سلكه» و«اسلكه» بمعنى واحد. فلو ادخلت خيطاً في ثقب الإبرة تقول «اسلكته» او «سلكته» اي ادخلت الخيط في هذا المجرى. وهذا اللفظ استعمل في القرآن الكريم في مورد المياه الجوفية.

يقول تعالى:

﴿فسلكه ينابيع في الأرض﴾[1] .

لقد انزل الماء بواسطة هطول المطر، ثم امر الآمر الأرض بأن تبتلع هذه المياه، ثم هدى ذلك المياه للإستقرار في ممرات وعروق خاصة ليوجد في مكان على نحو قناة وفي مكان آخر على نحو ينبوع او بئر او غير ذلك.

وكذلك فقد عبَّر بهذا النحو عن جريان ماء الحياة التي هي المعارف القرآنية بالنسبة لحياة الناس التي هي قلوبهم ويقول اننا نمرر هذه المعارف التي هي ماء الحياة في قلوب الناس. فبعض القلوب رقيقة فتتقبل هذا الماء من دون تأخير، لكن بعضها الآخر قاس وغير قابل للإختراق كمثل حجر الغرانيت فيمتنع عن قبولها **﴿كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به﴾**.

وخلاصته يقول: أنا قد ادخلنا آياتنا الى بواطنهم. وعرضنا المعارف الإلهية عليهم كمثل خيط رفيع ندخله في مجاريهم الإدراكية والتحريكية واحداً واحداً. لكنهم امتنعوا عن قبول الحق مع وضوحه. ولذا فهلاكهم كان بعد اتمام الحجة **﴿ليهلك من هلك عن بينة﴾** وان كان قد ورد في بعض الآيات انه قد تليت عليهم الآيات الإلهية وحسب، الا ان السر في هذا التعبير هو انه حيث ان الإحتجاج لم ينفع معهم فكانت الآيات الإلهية إنما مرت في آذانهم مروراً مجرداً، والا فإنه من الأصول القرآنية المسلمة ان حجة الله بالغة. والحجة إنما تكون بالغة حينما تعرض الآيات الإلهية على القلوب فيفهم الشخص وتتم عليه الحجة. ففي هذه الصورة إذا لم يرضخ وابتلي بالعذاب الإلهي يكون هذا الهلاك بعد اتمام الحجة.

﴿وقد خلت سنة الأولين﴾ فهذه لم تكن طريقتهم وحدهم فحسب وإنما كانت طريقة كل المنحرفين انهم كلما عرض عليهم الأنبياء آيات الله لووا

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٢١.

رؤوسهم وأعرضوا عنهم.

ونفس هذا المطلب يبين في سورة الشعراء بهذا الشكل.

﴿ولو نزلناه على بعض الأعجميين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين * كذلك سلكناه في قلوب المجرمين * لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم﴾[1].

لو كان القرآن بلسان العجم، وكان النبي غير عربي وتلقى كتاباً من الله سبحانه وقرأه على العرب لكان قد استوجب اصلهم العربي الا يقبلونه، لكن الآن لاعذر لهم. فمع ان الكتاب بلغتهم وقد أمررنا معارفنا السامية من خلال القنوات الإدراكية العملية لقلوب العصاة واحدة واحدة لكنهم لم يقبلوا أياً منها. وذلك لأن القلب الذي يكون كالحجر يصعب تأثير الكلام فيه إلا ان يشاهد العذاب الإلهي الأليم **﴿حتى يروا العذاب الأليم﴾**.

ذكر المعاد حاجزٌ في مقابل الذنوب:

احدى العوامل التي تمنع الإنسان من المعصية وتوصله الى مقام الإخلاص هي ذكر المعاد. يقول الله تعالى لقد منحنا ابراهيم وآل ابراهيم جائزة:

﴿انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار﴾[2].

لقد كانت تلك الجائزة انا جعلناهم من المخلصين.. ومن ثم يقول في بيان علة هذا الإختيار: «بخالصة» ولأنهم كانوا يمتلكون خاصية وخصلة بلاشائية فقد اوصلناهم الى هذا المقام. وتلك الخاصية هي **﴿ذكرى الدار﴾**.

«الدار» اذا استعملت بشكل مطلق فلا يراد منها الدنيا اذ لو اريد منها خصوص الدنيا لقُيّدت بوصف الدنيا ولقيل «دار الدنيا» كما انه لو اراد

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٩ الى ٢٠١.

(٢) سورة ص، الآية: ٤٦.

شخص ذكر كلمة بيت المسافرين (اي النزل) فلا يقول بيت وإنما يستعمل مع القيد ويقول بيت المسافرين. والقرآن الكريم ايضاً يعبر عن الآخرة بالدار لكنه عن الدنيا كمثل بيت المسافرين يستعملها مع القيد ويقول «دار الدنيا». وبهذا يتضح ان البيت الأصلي والدائم هو في القيامة والدنيا ممر لا اكثر.

والخلاصة انه يقول حيث ان هؤلاء كانوا على ذكر من الآخرة وكانوا ملتفتين للقيامة فلقد اخترناهم واوصلناهم الى مقام المخلصين.

والنتيجة ان الذنب حجاب امام بصيرة الإنسان، وهو لا يسمح باتضاح طريق الحق واسراره للإنسان. طريق الحق واضح جداً وليس فيه اي ابهام او تعقيد، فلو عمل الإنسان بما يعمل لاتضح له ما لم يعلم.

«من علم بما علم كُفِيَ ما لم يعلم»[1].

واذا اراد الإنسان ان يصير ولي الله ولو في حدود نفسه على الأقل وإنجاء نفسه من تحت ولاية الشيطان فلا طريق له سوى ان يصير مظهراً للصمد ولو في حدود وجوده

والحمد لله رب العالمين

---

(١) ثواب الأعمال، ص١٦١.

الدرس الحادي عشر

تلخيص لما مر

لقد وصل البحث في ولاية الإنسان في القرآن الكريم الى انه اذا صار الإنسان مظهراً للصمد يستطيع التشرف الى مقام الولاية. وعندما يصير الإنسان مظهراً للصمد ففي المسائل العلمية يبقى مصوناً من آفة نفوذ الشيطان، وفي المسائل العملية ايضاً يكون في امان من ضرره وسوسته. فلو لم يتصدع الإنسان في الفكر امام المغالطة والوهم والخيال فهو في مسألة المعرفة لبيب ومظهر للصمد، كما انه اذا لم يتجه في عمله نحو الرياء والسمعة وحب الذات فهو من ناحية العمل مليء الباطن ومظهر للصمد.

ارتباط الصمدية مع التمامية والكمال:

الملاحظة التي تستحق الإلتفات في معنى «الصمد» هي ان الصمدية ترتبط بالتمامية كما انها ترتبط بالكمال، وبعبارة اخرى الموجود الصمد هو الذي كما يكون عارياً من العيب لكي يكون تاماً فكذلك يكون خالياً من النقص لكي يصير كاملاً.

وتوضيح ذلك هو أنه يوجد فرق بين النقص والعيب. فالعيب هو ذلك الشيء المبتلى بفساد في داخله بينما النقص يكون في حال كون الموجود سالماً لكن فاقد للبقية. مثلاً تارة يقال ان هذا البساط ناقص عن هذه الغرفة وتارة يقال انه معيب. فالبساط المعيب هو الذي يكون جزء منه مهترىء مثلاً، اما البساط الناقص فهو الذي لا يغطي جميع سطح الغرفة لكنه سالم. فإذا كان الإنسان يعلم بعض المسائل في الظاهر لكن يوجد في معلوماته هذه وهم وخيال ومغالطة فعلمه معيب، أما لو كان كل ما يعلمه سالماً لكنه لا يعلم كل ما يجب ان يعلمه فعلمه ناقص.

بناء على هذا فلو ابتلى الإنسان بالعيب العلمي من الداخل او بالنقص العلمي من الخارج فلن يصير مظهراً للصمد لأنه فارغ إما من الداخل او من الخارج.

تمامية العلم وكماله:

الآن يرد هذا السؤال في الذهن انه هل يستطيع الإنسان ان يكون مظهراً للصمد من الناحية العلمية والعملية، وبعبارة اخرى هل للإنسان قدرة على ان يحفظ ساحة علمه وعمله مصونة من آفات العيب والنقص ام لا؟

الجواب انه في البعد العلمي الحقيقة الوحيدة التي لا تصير متعلقاً للعلم هي كنه ذات الحق تبارك وتعالى لأن ذلك ليس في مقدور احد ولا يتوقع العلم بها من احد ايضاً. اما ذلك المقدار المستطاع والمتوقع من الإنسان الكامل فالطريق اليه مفتوح.

ولقد ذكر امير المؤمنين(ع) هذين المطلبين في نهج البلاغة الى جانب بعضهما فقال:

«لـم يُطْلـع العقـول علـى تحـديـد صفتـه ولـم يحجبهـا عـن واجـب

معرفته»[1] .

اي ان تحديد واكتناه واجب الوجود ليس بمقدور العقل لكن العقل ليس محجوباً عن المقدار اللازم من المعرفة . بناء على هذا فاكتناه ذات الحق ليس مورداً للتكليف لأنه محال . اذ ان اللامتناهي لا يجعل في محيط محدود . اما ذلك المقدار اللازم ادراكه فطريقه مفتوح :

«فهو الذي تشهد له اعلام الوجود»[2] .

اذ ان دلائل الوجود شواهد لوجود الواجب .

حق معرفة الله سبحانه :

في القرآن الكريم يذم اشخاصاً لأنهم لم يعرفوا الله كما يجب . وبهذا يتضح ان ذلك النحو الذي يجب ان يعرف الله به ليس مقدوراً فحسب وإنما هو واقع ايضاً، وان هناك عدد من الناس لم يعرفوا الله كما يجب . وذلك النحو الواجب اي ذلك المقدار الميسور للإنسان هو المكلف به في النتيجة . وما هو فوق حدود الإمكان لا هو مورد للقدرة ولا للتكليف .

يقول تعالى في سورة الأنعام الآية ١٩ بالنسبة لأولئك الذين ينكرون النبوة الخاصة او العامة :

﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ .

فهؤلاء لم يعرفوا الله كما يجب . وهذا يدل على ان هناك جماعة اخرى قد عرفوا الله كما يجب ، اما أولئك المنكرون للنبوة الخاصة او العامة فلم يعرفوا الله كما يجب .

﴿وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء * قل من

---

(١) نهج البلاغة ، الخطبة ٤٩ .

(٢) نهج البلاغة ، الخطبة ٤٩ .

انزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعُلِّمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾ .

ويشابه هذا المعنى ما يقوله تعالى حول معرفة المبدأ والتوحيد الربوي في سورة الحجر الآية ٧٤:

﴿ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز﴾ .

فأولئك لم يعرفوا الله كما يجب، بهذا يتضح ان الآخرين قد عرفوا الله كما يجب. وكذلك في سورة الزمر الآية ٦٧ الراجعة للمعاد تقول:

﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسمٰوات مطويات بيمينه، سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ .

وحيث ان اصول الدين هي التوحيد والمعاد والنبوة، فلذا يقول الله تعالى في هذه الآيات الثلاث حول مجموعة من الناس انهم لم يعرفوا الله كما يجب ان يعرفوه، اذ ان معرفة الله ستستتبع معرفة جميع اصول الدين.

والخلاصة انه ميسور للإنسان ان يعرف الله بالمقدار الذي هو محل للتكليف. وبالطبع فإن التكليف كما المكلفين له درجات. فليس صحيحاً ان الجميع يجب ان يكتفوا بهذا الحمد الضعيف. وانما كلّ مكلف بالمقدار المتيسر له إما وجوباً او استحباباً.

تمامية العمل وكماله:

في بُعْد العمل ايضاً يستطيع الإنسان ان يعبد الله كما يجب حيث يصير قلبه في هذه الصورة متيماً بحب الله.

كون الشخص متيَّماً يعني امتلاؤه بالمحبة بشكل يسبب خضوع المحبِّ وتواضعه امام محبة المحبوب، وهذا المقام مقدور للجميع اذ قد ورد الحث

والترغيب للجميع لكي يطلبوا هذه المرتبة من الله عز وجل. اذ قد ورد في دعاء كميل:

«واجعل . . . قلبي بحبك متيماً».

او في دعاء ابي حمزة الثمالي:

«اللهم اني اسألك ان تملأ قلبي حباً لك».

ومفاد هذا النحو من الأدعية هو ان يكون القلب صمداً من ناحية محبة الحق. اذ عندما يكون القلب صمداً في المحبة يكون مظهراً للصمد سواء في المعرفة او الإخلاص، وحيث انه قد امر الجميع بهذه الأدعية فيتضح اذاً أنَّ طريق الولاية مفتوح للجميع، وفي النتيجة فالصيرورة مظهراً للصمد من الكمالات الإنسانية السامية التي يمكن الوصول اليها بالسير والسلوك.

وقد ذكرت علامة نيل هذا المقام ايضاً في الآيات القرآنية المباركة. إحدى هذه الآيات والموجود مضمونها ايضاً في كثير من الآيات الأخرى هذه الآية:

﴿الا إن اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[1].

الحزن والحسرة إنما يكونان حيث يكون الإنسان قد فقد محبوباً له فيغتم لفراقه. واما الخوف فيكون في حالة علم الإنسان انه سيفقد محبوبه اما يقيناً او احتمالاً.

فلو كان قلب الإنسان متيّماً بحب الله فحيث ان محبوب شخص كهذا لا انه يفقد في الماضي ولا هو يزول في المستقبل لذا فلا طريق للحزن والخوف الى ساحة قدسه.

---

(١) سورة يونس، الآية: ٦٢.

الدين الإلهي مظهر «الصمد»:

ويستفاد من قسم من الآيات القرآنية ايضاً ان الدين الإلهي الذي قد شرع بواسطة الله الصمد هو بنفسه مظهر للصمد. وبناء على هذا فهو تام وكامل معاً. وغاية تشريع كهذا هو ان يصير الإنسان المتدين بهذا الدين مظهراً لله الصمد ببركة تعاليم هذا الدين وتكاليفه العملية.

والآيات التالية تستحق الإلتفات في هذا المجال. اذ يقول الله تعالى حول الصوم:

﴿ثم اتموا الصيام الى الليل﴾[1] .

ويقول حول الحج:

﴿واتموا الحج والعمرة لله﴾[2] .

ومع غض النظر عن هذا فمسألة الإتمام والإكمال مطروحة بالنسبة لأصل الدين ايضاً. يقول تعالى:

﴿اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾[3] .

هذه الآية الشريفة تدل على ان دين الإسلام من جهة يمتلك جميع ما يجب ان يشتمل عليه الدين الجامع ولذا فهو تام ولا عيب في داخله، ومن جهة أخرى فهو مستمر ولا نقص في خارجه وعليه فهو كامل. وفي النتيجة فالانسان المتدين أيضاً تام وكامل معاً، إذ ان حقيقة العلم متحدة مع العالم، وكذلك حقيقة العمل مع روح العامل ايضاً. ومن هنا فسوف يكون هذا الإنسان مظهراً «للصمد» و«الولي».

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٦.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣.

علم الله وقدرته وعلاقتهما بالصمدية والولاية:

وكما قد بينا فإن منشأ ولاية الله سبحانه هو صمديته، واستدلال القرآن على هذا المطلب من جهة ان الله سبحانه يَعُدُّ علمه وقدرته اللامحددين علة منحصرة للولاية. يقول في سورة الشورى: .

﴿فالله هو الولي﴾[١] .

حيث مفادها انحصار الولاية في ذاته المقدسة. ثم يقول استدلالاً على هذا المطلب:

﴿وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾[٢] .

اي حيث ان القدرة المطلقة منه تعالى فالولاية والقيادة اذاً منحصرة فيه.

وحيث ان الإدارة وإنجاز الأعمال لا يعتمد على القدرة فقط وإنما يتوقف على العلم ايضاً يقول:

﴿له مقاليد السماوات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شيء عليم﴾[٣] .

حيث ان السماوات والأرض خاضعة لله عز وجل يقول ان مقاليد السماوات والأرض بيد الله، اذ انه عالم بكل شيء يعلم الموضع الذي هو موضع البسط والموضع الذي هو موضع القبض. اين يحيى وأين يميت. وبما ان الامر كذلك فهو ﴿يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ فسعة الرزق وضيقه بيده سواء الرزق الظاهري الذي ليس له اهمية معتبرة او الأرزاق المعنوية كالعلم والكمالات النفسية التي تشتمل على الأهمية.

عندما يتكلم شعيب سلام الله عليه عن نبوته يقول:

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٩.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٩.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١٢.

﴿رزقني منه رزقاً حسناً﴾[1] .

وعندما يتكلم الله تعالى ايضاً عن النبوة والمعارف الإلهية يقول:

﴿أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم﴾[2] .

فهل تقسيم الرحمة والنبوة والمعارف بيد هؤلاء الذين يعيِّنون النبي حسب هواهم؟ الأمر ليس كذلك وإنما بيد الله وذلك لأنه ﴿بكل شيء عليم﴾ .

والحاصل انه قد استدل لإثبات ولاية الله بحدين وسطين هما العلم والقدرة بهذا الشكل، اذ هو قدير، وكل قدير ولي، فإذا هو ولي. وهو عليم، وكل عليم ولي، فهو إذا ولي. والذات التي تكون متمتعة بالعلم والقدرة اللامتناهيين أي تكون مبراة من العيب والنقص تكون بناء عليه «صمداً». وإذا اراد الإنسان ان يصير مظهراً «للولي» الذي هو من الأسماء الحسنى لله سبحانه وأن يقوم بشيء ما في هذا العالم فلا مفر يجب ان يكون مظهراً للعليم والقدير حيث في النتيجة سيكون مظهراً «للصمد».

دور العلم والعمل في حدوث الولاية وبقائها:

النقطة التي لا يجب ان يغفل عنها هي ان نيل مقام الولاية كما انه حدوثاً يبتني على العلم والعمل فكذلك بقاءً يقوم على هاتين الدعامتين. وسر هذا المطلب هو انه اذا لم يكن الإنسان تحت ولاية الله بسبب سوء العلم والعمل فسيكون تحت ولاية الشيطان. اذ انه بناء على عينية العمل والجزاء احياناً يكون الذنب بصورة رين وغبار على مرآة القلب:

﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾[3] .

---

(1) سورة هود، الآية: ٨٨.

(2) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.

(3) سورة المطففين، الآية: ١٤.

وأحياناً اخرى يظهر على الإنسان بصورة ولاية الشيطان ايضاً.

في هذا المجال الآية ١٢٥ وما بعدها من سورة الأنعام تستجلب الإنتباه حيث تقول:

﴿ومن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضلَّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصَّعَّد في السماء﴾.

الله سبحانه قد هدى جميع الناس بالإرادة التشريعية **﴿لهدى للناس﴾**(١) او **﴿للعالمين نذيراً﴾**(٢) ... لكن يوجد جماعة خاصة تتمتع بهداية خاصة وهم اولئك الذين سمعوا امر الله ونهضوا لامتثاله، ولذا فهم يتمتعون بهداية خاصة. وذلك في مقابل المجموعة الذين وصلتهم الهداية الإلهية وتمت عليهم الحجة ولكنهم تركوا دين الله خلف ظهورهم فالله تعالى ايضاً قد اقفل قلوبهم.

يقول في ذيل الآية:

﴿كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾(٣).

اولئك الذين سيرتهم وسنتهم قائمة على عدم الإيمان بشكل لا يقبلون اي دليل يقام لهم فالله تعالى ينزل الرجس عليهم. والرجس هو نفس إقفال القلب الذي يحصل نتيجة سوء الإختيار الملازم لهم، واذا اقفل قلب الإنسان ولم ينفذ فيه النور الإلهي فالشيطان سوف يعشش فيه.

ورد في نهج البلاغة ان امير المؤمنين(ع) قد قال (عن بعض الناس): «فباض (الشيطان) وفرَّخَ في

---

(١)سورة الرعد، الآية: ٣١.

(٢)سورة سورة الفرقان، الآية: ١.

(٣)حيث ان «لا يؤمنون» فعل مضارع منفي والفعل المضارع يدل على الإستمرار لذا فمراد الآية هم الأشخاص الذين تطبّعوا على الإمتناع.

صدورهم»[1] وعندها «نظر بأعينهم ونطق بألسنتهم».

ويقول تعالى ايضاً في هذه الآية الكريمة:

﴿كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون * وهذا صراط ربك مستقيماً قد فصلنا الآيات لقوم يذَّكَّرون * لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون﴾.

فحيث ان عملهم صحيح وسالم فهم تحت ولاية الله كما انه لو كان عمل الإنسان معيباً من الداخل وناقصاً من الخارج فسوف يصير تحت ولاية الشيطان.

وهذه الحقيقة تصرح بها الآية التالية حيث تقول:

﴿ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال اولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجَّلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم * وكذلك نولّي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون﴾[2].

فالله تعالى يقول انه حقيقة هذا الإستمتاع المتقابل الذي قد كان هو أنا جعلنا الظالمين اولياء بعضهم بسبب الأعمال التي ارتكبوها.

والحاصل انه سواء من ناحية ولاية الله او ولاية الشيطان فالعمل له دور مناسب. وهذا العمل بالمعنى المطلق يصير شاملاً للعلم ايضاً. طبعاً العمل المقيد الذي هو في مقابل العلم لا يشمل العلم.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٧.

(٢) سورة الانعام، الآيات: ١٢٨ـ ١٢٩.

الدرس الثاني عشر

تلخيص لما مر

لقد كان البحث في انه لو أراد الإنسان ان يرتقى الى مقام «الولاية» السامي وان يصير مظهراً لأسم «الولي» الذي هو من اسماء الله الحسنى فمن الضروري ان يصير اولاً مظهراً لإسم «الصمد». وحيث ان حقيقة الإنسان من جهة كونه موجوداً مفكراً تتشكل من العلم والعمل، فلذا يجب لكي يصير مظهراً للصمد ان يكون صمداً من الناحية العلمية والعملية معاً.

ويصير الإنسان مظهراً للصمد من ناحية العلم حينما لا يجد الوهم والخيال طريقاً الى افكاره وإنما تشكل اليقينات اساس افكاره واستدلالاته. كما يصير مظهراً للصمد في بعد العمل عندما لا يحكم على نيته وإرادته شيء غير الإخلاص، اذ انه لو اراد الشيطان النفوذ في الإنسان فإنه إما ان يأتي من طريق افكاره او من طريق ارادته ونواياه.

اصالة المعرفة:

ينبغي الإلتفات الى ان الفكر والمعرفة هي من شؤون العقل النظري كما

ان الإرادة والنية من شؤون العقل العملي وهما ليسا في عرض بعضهما. فليست المعرفة مشابهة للإرادة والنية ابداً، وإنما العقل العملي يصدر عن العقل النظري. ولئن كان كلاهما يمتلكان تأثيراً وتأثراً متقابلاً ويبعثان على تقوية بعضهما إلا ان المعرفة اصل والنية والإرادة فرعها. من هنا يسعى الشيطان ابتداءً ليخترق المبادىء الفكرية للإنسان وعندها يتمهد طريق نقوذه الى عمله بنفسه.

لذا يجب على الإنسان لكي يواجه الشيطان ان يجعل قواه الإدراكية العملية تحت ولاية الله، وان يحفظ حريم قلبه دائماً من تصرف الشيطان. وفي غير هذه الصورة سيتولى الشيطان ادارة قواه الإدراكية والتحريكية بدلاً عنه، وبحسب تعبير امير المؤمنين(ع) يصير عقله اسيراً لهوى نفسه «كم من عقل اسير عند هوىً اميرٍ»[1] وكم من العقول قد هزمت في الجهاد الأكبر ووقعت في اسر الهوى.

التحكم بالقوى الإدراكية طريق السيطرة على القوى العملية:

النقطة المهمة هنا انه وإن كان من الواجب على الإنسان ان يكون مسيطراً على قواه الإدراكية والعملية لكي يصير شيئاً فشيئاً مظهر «الولي» لكن قيادة القوى الإدراكية ومنع نفوذ الوهم والخيال فيها هو اساس التحكم بالقوى العملية وحراستها من اضرار الشهوة والغضب.

وننقل في هذا المورد عدة روايات عن امير المؤمنين(ع) من الكتاب الشريف «غرر الحكم ودرر الكلم» لكي تتضح هذه المسألة جيداً.

كلمات عن امير المؤمنين(ع):

يقول امير المؤمنين(ع):

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٢٠٢.

«اصل العزم الحزم وثمرته الظفر»[1] .

وكما قد بيَّنا في الإبحاث السابقة فركني المعرفة والإخلاص بمنزلة الفريضة في طريق الولاية والأمور الأخرى بمنزلة النافلة، كما انهما يماثلان بعضهما إذ الإخلاص يتكفل به العقل العملي والمعرفة يتكفل بها العقل النظري، لذا يقول(ع): «اصل العزم الحزم» العزم والتصميم من عمل العقل العملي، أما الحزم والفراسة والحصافة فمن اعمال العقل النظري. وعلى هذا الأساس إنما يكون من اهل العزم والإرادة ذلك الشخص الذي يفهم جيداً. وبعبارة اخرى العزم والتصميم الذي هو شغل العقل العملي إنما يكون حصيلة الحزم وبعد النظر الذي هو للعقل النظري. وعندها تكون ثمرة ذلك العزم الذي يكون الى جانب الحزم النصر والظفر سواء في الجهاد الداخلي او الخارجي.

ومن كلماته الأخرى(ع) قوله:
«افضل القلوب قلب حُشي بالفهم»[2] .

يقال للوسادة المملوءة بالقطن او الريش «وسادة محتشية» وكذلك يقال للرمانة الملأى بالحب «احتشت الرمانة بالحب»

بناء على هذا فمعنى الحديث الشريف هو ان افضل القلوب القلب الطافح بالفهم. فكما ان اسوأ البطون البطن المملوءة، حيث ان الإمتلاء من الطعام يُعدّ من اكبر موانع الإدراك، فكذلك افضل القلوب قلب امتلأ بالفهم.

الشخص الذي لا يعلم الكثير من المسائل يكون اجوفاً لا صمداً، وشخص كهذا لن يكون من اهل التصميم والعزم تلقائياً، كما انه لن ينتصر ابداً. والحاصل انه يحكم الهرج والمرج في باطن افراد كهؤلاء. وبتعبير

---

(١) غرر الحكم، ج٢، الرقم ٣٠٩٥ (ط. الجامعة).
(٢) غرر الحكم، ج٢، الرقم ٣٠٧٨ (ط. الجامعة).

القرآن الكريم ﴿فهم في امر مريج﴾[1] اذ عندما لا يكون الإنسان مولى نفسه ولا يحيى الأرض الموات في قلبه فسيبادر الشيطان الى نثر بذاره ويتسلط على حريم قلب الإنسان.

ولذا يقول امير المؤمنين(ع) ترغيباً للجميع لأجل ملأ فراغاتهم العملية:

«اعلم الناس المستهتر بالعلم»[2].

اي اعلم الناس هو ذلك الذي يسعى اليه بشوق وولع ويسعى لملأ جميع النقاط الخالية.

ويقول(ع) في موضع آخر:

«اصل صلاح القلب اشتغاله بذكر الله»[3].

ولئن كانت الكثير من الأمور لها دور في تهذيب النفس إلا ان العمدة هو اصلاح القلب والإشتغال بذكر الحق. طبعاً من الواضح ان معرفة الحق تهيء الأرضية فذكر الحق، وعندها فذكر الحق يؤمن موجبات إصلاح القلب. وحيث ان معرفة النفس منشأ جميع الكمالات فعدم معرفة النفس سيكون منشأ لجميع الرذائل ولذا يقول(ع):

«اعظم الجهل جهل الإنسان امر نفسه»[4].

اذ انه مالم يعرف نفسه على انه حقيقة ابدية فسيبيعها بثمن الدنيا البخس.

ويقول(ع) في هذا المجال:

---

(١) سورة ق، الآية: ٥.

(٢) غرر الحكم، ج٢، الرقم ٣٠٧٩ (ط. الجامعة).

(٣) غرر الحكم، ج٢، الرقم ٣٠٨٣ (ط. الجامعة).

(٤) غرر الحكم، ج٢، الرقم ٣٩٣٦ (ط. الجامعة).

«اعظم مُلْكٍ مُلْكُ النفس»[1] .

فأعلى نفوذ وسلطة هي السلطة على النفس التي تصير نصيب المجاهد في الجهاد الأكبر. وقال ايضاً:

«أقوى الناس من قوِيَ على نفسه»[2] .

فمن جهة في الإستدلال يجعل الحس والوهم والخيال تحت سيطرة العقل النظري، ومن جهة اخرى في العمل يسيطر على شهوته وغضبه ويجعلهما تحت نفوذ العقل العملي. فالذي في البراهين العقلية يطلب المثال يكون لحد الآن في مرحلة الحس فإذا تجاوز هذه المرحلة لا يعود مهتماً بالأمثلة وإنما يهتم بالحد الأوسط للبرهان. والحاصل انه اقوى الناس هو ذاك الذي يكون مسيطراً على قواه العلمية والعملية.

«اعقل الناس ابعدهم عن كل دنيَّة»[3] .

بناء على هذا فأعقل الناس هو من يبتعد في المسائل العلمية عن الحس والخيال والوهم ويجتنب عن الشهوة والغضب في الأمور العملية.

«اكبر البلاء فقر النفس»[4] .

وفقر النفس هو ان تكون خالية من العلم والإخلاص.

«اقرب الآراء من النُّهى ابعدها من الهوى»[5] .

يسمى العقل «نُهْيَه» لأنه ينهي الإنسان عن كل دناءة. وجمعه «نُهى». وقد ورد في القرآن الكريم ايضاً:

(١) غرر الحكم، ج٢، الرقم ٢٩٦٦ (ط. الجامعة).
(٢) غرر الحكم، ج٢، الرقم ٣٠٣٧ (ط. الجامعة).
(٣) غرر الحكم، ج٢، الرقم ٣٠٧٣ (ط. الجامعة).
(٤) غرر الحكم، ج٢، الرقم ٢٩٦٥ (ط. الجامعة).
(٥) غرر الحكم، ج٢، الرقم ٣٠٢٢ (ط. الجامعة).

﴿ان في ذلك لآيات لأولي النهى﴾[1] .

«اقبح الصدق ثناء الرجل على نفسه»[2] .

اذا كان الإنسان فاقداً لكمالٍ ما ويَعُدُّ نفسه في نفس الوقت واجداً لذلك الكمال فإنه يكذب. اما إذا كان حاوياً لكمالٍ ما وصار يثني على نفسه بامتلاكه له فقد اجرى على لسانه اقبح كلام صادق، حيث ان النفس تقع في الغرور والأنانية حين المدح اكثر من اي زمان آخر. لذا قد ورد في عهد مالك الأشتر انه يا مالك اذا مدحت واطريت فعندها تكون افضل فرصة قد تهيأت لهجوم الشيطان لذا راقب نفسك عندها بشدة.

واحدى كلمات امير المؤمنين(ع) الأخرى التي تدل على اصالة العقل النظري بالنسبة للعقل العملي هذه الجملة:

«الزهد ثمرة اليقين»[3] .

الزهد شغل العقل العملي اذ ان العقل العملي هو القوة التي تتكفل بتعديل القوى العملية للإنسان. ولئن كان البعض يرى ان العقل العملي هو نفس مدرك الحكم العملي إلا انه لو قلنا بأن العقل العملي هو المدبر العملي للنفس ففي نفس الوقت نكون قد راعينا الترتيب المنطقي كما يكون ذلك اكثر انسجاماً مع التعبيرات المناسبة.

نُقِل عن رسول الله(ص) انه قال:

«العقل ما عُبِد به الرحمن واكتسب به الجنان»[4] .

وورد ايضاً في كلام آخر:

---

(١)سورة طه، الآية: ١٢٨.
(٢)غرر الحكم، ج٢، الرقم ٢٩٤٢ (ط. الجامعة).
(٣)غرر الحكم، ج١، الرقم ٤٥٨ (ط. الجامعة).
(٤)اصول الكافي، كتاب العقل والجهل، ج٣.

«لا عقل كالتدبير»[1] .

من البديهي ان العبادة ونيل الجنة والتدبير هي من الأعمال، وهذه الأعمال لا تصدر من العقل العملي بمعنى القوة المدركة، وإنما الإرادة والعزم هي منشأ صدور الأعمال وسائر الأعمال. بناء على هذا فالقوة المصححة هي العقل العملي لا القوة المدركة.

ومع الإلتفات الى هذه النكتة يتضح ان الزهد عمل العقل العملي واليقين شغل العقل النظري. طبعاً حيث ان الزهد عمل صعب فيجب ان يتقبل ابتداءً بالتكلف والصعوبة الى ان يصير شيئاً فشيئاً ملكة. وبتعبير أمير المؤمنين(ع):

«اول الزهد التزهد»[2] .

أي تتحقق الأرضية للزهد بتكلف الزهد والتمرن عليه. و«التزهد» زهد حقيقي يكون مع التكلف والمشقة، ويفترق عن «التزهد» الذي هو مجرد تظاهر بالزهد لأن التزهد ينتهي الى الزهد.

«التزهد يؤدي الى الزهد»[3] .

اما التزاهد فيتهي الى النفاق والتلون والهلاك.

ويقول(ع) حول ماهية الزهد.

«الزهد تقصير الآمال وإخلاص الأعمال»[4] .

ويقول ايضاً:

---

(١) غرر الحكم، ج٦، الرقم ١٠٤٤٥ (ط . الجامعة).
(٢) غرر الحكم، ج٢، الرقم ٢٩٢٢ (ط . الجامعة).
(٣) غرر الحكم، ج١، الرقم ١١٢٠ (ط . الجامعة).
(٤) غرر الحكم، ج٢، الرقم ١٨٤٤ (ط . الجامعة).

«ان عقلت امرك او اصبت معرفة نفسك فأعرض عن الدنيا وازهد فيها»[1] .

من ترتيب الزهد على المعرفة يستفاد انه اذا كان الزهد قائماً على المعرفة فإنه يبقى ثابتاً وفي غير هذه الصورة لا امل في تأثيره وبقائه.

وينبغي الإلتفات الى انه وإن كان العقل العملي لا يوجد دون العقل النظري وهو يستمد من العقل النظري باستمرار إلا انه وكما قد اشير فيما سبق فالعقل العملي يجعله اكثر تفتحاً.

يقول علي(ع) في هذا المجال:
«بالزهد تثمر الحكمة»[2] .

بحسب الأصول فإن افضل طريق لأن يزهر اليقين هو عبادة الحق. فأعمال عبادية من هذا النوع تبدِّل العلم الى ملكة، ومن جهة اخرى فما دامت المعرفة لم ينضمِّ اليها عمل فإنها تكون حرفة دنيوية، أما حين تبلغ العمل فإنها تزهر وتثمر. لذا يقول(ع) اذا صرت عارفاً فأتبع ذلك بالزهد لكي تكون هذه الحكمة مثمرة، وإذا شئت ان تزهر تلك الحكمة فالجأ الى العبادة والسجود.

والسجود بتعبير امير المؤمنين(ع) ايضاً على قسمين: سجود بدني وسجود نفساني. السجود البدني هو ان توضع الجبهة والركبتان والكفان وابهاما الرجلين على الأرض كما هو معروف، وأما السجود النفساني فما يلي:

«السجود النفساني فراغ القلب من الفانيات والإقبال بكنه الهمة على

---

(١)غرر الحكم، ج٣، الرقم ٣٧٣٣ (ط. الجامعة).
(٢)غرر الحكم، ج٣، الرقم ٤٢٢٩ (ط. الجامعة).

الباقيات»[١] .

في البدء يجب افراغ القلب من الفانيات لتحصل التخلية ومن ثم الإقبال بالقلب على الباقيات لتحصل التحلية . وعندها ذكر ايضاً نماذج :
«وخلع الكبر والحمية وقطع العلائق الدنيوية والتحلي بالخلائق النبوية»[٢] .

والحاصل ان اهم عامل لكي يزهر اليقين والمعرفة هو هذه العبادات .
«اول الحكمة ترك اللذات وآخرها مقت الفانيات»[٣] .

في بداية السلوك يترك الإنسان اللذات لكنه لا يستطيع الإنزجار عنها . وشيئاً فشيئاً يتعرف الى الصورة الباطنية والملكوتية لهذه اللذات، وبعد هذه المرحلة اي حين انتهاء علمه الحصولي الى الشهود ومشاهدته الصورة الكريهة والمنفرة للدنيا واللذات الفانية سيفرُّ منها مشمئزاً . يمكن للإنسان ان يبتعد عن الرئاسة والجاه لكن لا يستطيع كل شخص ان يراها احقر من عفطة عنز . إذ هذا الكلام انما يليق بعارف كأمير المؤمنين(ع) الذي يرى الآخرة التي هي باطن الدنيا بالعيان . ومن هنا ليس انه لا يحب الدنيا فحسب وإنما ينفر منها ايضاً .
«اصل الإخلاص اليأس مما في ايدي الناس»[٤] .

فأساس الإخلاص ان ييأس الإنسان مما في ايدي الناس ويأمل بما عند الله . وتأييداً لهذا المطلب يحثُّ امير المؤمنين(ع) الناس في بعض كلماته النورانية وأثناء التنبيه بالنسبة الى السؤال لغير الله على الطلب من الله . اذ يقول(ع) :

---

(١) غرر الحكم، ج٢، الرقم ٢٢١٠ (ط . الجامعة) .
(٢) غرر الحكم، ج٢، الرقم ٢٢١١ (ط . الجامعة) .
(٣) غرر الحكم، ج٢، الرقم ٣٠٥٢ (ط . الجامعة) .
(٤) غرر الحكم، ج٢، الرقم ٣٠٨٨ (ط . الجامعة) .

«التقرب الى الله تعالى بمسألته وإلى الناس بتركها»[1] .

اذا اراد الإنسان ان يكون محبوباً في المجتمع ومقرباً عند الناس فيجب ان لا يطلب منهم شيئاً، إما اذا اراد ان يصير قريباً من الله فيجب ان يسأله مما عنده. فالطلب من الله وسؤاله مما عنده يقرب الإنسان منه.

«اعلم الناس بالله اكثرهم له مسألة»[2] .

فالذي يعرف الله افضل يطلب منه اكثر، السؤال الذي هو نفس الدعاء عبادة. وهذه ايضاً تدل على ان عمل العقل العملي مرتبط بالمعرفة التي هي عمل العقل النظري، ولذا وكما قلنا مراراً فالمعرفة اصل والإخلاص وسائر شؤون العقل العملي فرع.

«سلوا الله العفو والعافية وحسن التوفيق»[3] .

«من سأل الله اعطاه»[4] .

«ليكن مسألتك ما يبقى لك جماله وينفى عنك وباله»[5] .

«ما من شيء احب الى الله سبحانه من ان يسأل»[6] .

«نسأل الله سبحانه لمنته تماماً وبحبله اعتصاماً»[7] .

«نسأل الله سبحانه منازل الشهداء ومعايشة السعداء ومرافقة الأنبياء»[8] .

هذه كلمات تدل على ان معرفة الحق تدفع الإنسان ليطلب منه مما هو

---

(١) غرر الحكم، ج٢، الرقم ١٨٠١ (ط. الجامعة).
(٢) غرر الحكم، ج٢، الرقم ٣٢٦٠ (ط. الجامعة).
(٣) غرر الحكم ج٤ الرقم ٥٥٩٧ (ط. الجامعة).
(٤) غرر الحكم ج٥ الرقم ٨٠٧٣ (ط. الجامعة).
(٥) غرر الحكم ج٥ الرقم ٧٣٧٩ (ط. الجامعة).
(٦) غرر الحكم ج٥ الرقم ٧٣٧٩ (ط. الجامعة).
(٧) غرر الحكم ج٦ الرقم ٩٩٧٩ (ط. الجامعة).
(٨) غرر الحكم ج٦ الرقم ١٠٠٠٧ (ط. الجامعة).

عنده. منزلة الشهداء، مرافقة الأنبياء، العيش مع السعداء وحسن العاقبة من جملة الأدعية المعروفة التي تُرى في كلمات أمير المؤمنين(ع).

والخلاصة انه اذا صار الإنسان صمداً في المعرفة والإخلاص معاً فسيصبح مولى لنفسه، وفي النتيجة لا طريق للشيطان الى محيط ولايته. والموضع الذي لا يكون فيه نفوذ للشيطان سيكون محلاً لظهور الرحمٰن. وعندما يظهر الرحمٰن فحينها سيكون ذلك الشخص مظهراً لإسم «الولي» السامي، وعندئذ سيقوم بالأعمال التي هي مظهر لعمل الله وذلك سواء في المسائل التكوينية او التشريعية.

والحمد لله رب العالمين

الدرس الثالث عشر

العبادة والولاية

لقد انتهى البحث حول اثبات الولاية الى ان الإنسان اذا اراد ان يصير ولي الله فالطريق لذلك هو عبادة الله. اذ ان الإنسان من طريق العبادة والعبودية التي بمعناها الوسيع تشمل امتثال جميع الأوامر الإلهية يصير محبوباً لله والمحبوب لله سوف يتشرف بالوصول الى مقام الولاية الإلهية.

حديث قرب النوافل[1]:

وهذا البيان موجود ايضاً في كلام اهل البيت عليهم السلام والذي يتلو القرآن الكريم في المرتبة. ومن خلال عرض عدة روايات تأييداً للآيات السابقة يتضح ان الطريق الوحيد لنيل الولاية هو امتثال الأوامر الإلهية من جميع الجوانب.

---

(١) هذا الحديث موجود في كتاب الكافي كتاب الإيمان والكفر باب «من آذى المسلمين واحتقرهم» ج٨ وكذلك في محاسن البرقي ص٢٩١ ووسائل الشيعة باب مقدمة العبادات.

هناك رواية نقلها الفريقين في جوامعهم الروائية عن رسول الله(ص) واشتهرت فيما بعد برواية «قرب النوافل». وهذه الرواية من الأحاديث المعتبرة والمعروفة وحتى انها قد ذكرت في النصوص الأدبية العربية شعراً ونثراً.

اصل الحديث نقله أبان بن تغلب بعنوان حديث قدسي عن الإمام الباقر(ع) بهذا الشكل:

« لما اسرى بالنبي(ص) ـ قال: يا رب ما حال المؤمن عندك؟ قال: يا محمد(ص) ـ من اهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة وأنا اسرع شيء إلى نصرة اوليائي، وما يتقرب اليَّ عبد من عبادي بشيء احب إلي مما افترضت عليه».

وكما قد اشرنا سابقاً فجميع الواجبات تهيء الأرضية للتقرب الى الله ولئن كان قد ورد بالنسبة للصلاة بإن «الصلاة قربان كل تقي»[1] فهذا كنموذج وإلا فالصلاة لا خصوصية لها، إذ قد ورد نفس التعبير بالنسبة للزكاة ايضاً: «ثم ان الزكاة جعلت مع الصلاة قرباناً لأهل الإسلام»[2].

والحاصل ان كل عمل يشترط التقرب في صحته كالزكاة والحج والجهاد وأمثال ذلك ويأتي به العبد السالك بقصد القربة فهذا العمل يكون «قربانه»، أي انه يقترب من الله بهذا العمل. غايته ان القرب الحاصل من الفرائض اكثر من القرب الحاصل للسالك من إتيان النوافل.

ثم قال: «وإنه ليتقرب الي بالنافلة» فكما ان إتيان الفرائض موجب للقرب فكذلك إتيان النوافل يبعث على التقرب.

كل عمل قربي يكون اكثر من المقدار الواجب يسمى نافلة. «النفل

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج١ الرقم ٦٣٧.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٠.

يعني المقدار الإضافي».

الله سبحانه في جوابه لدعاء ابراهيم سلام الله عليه إذ كان قد طلب من الله عز وجل الولد قال: عدا عن اسحاق اعطينا لإبراهيم يعقوب نافلة وزائداً على طلبه. لقد طلب منا ولداً ونحن عدا عن ولده اسحٰق وهبناه حفيداً باسم يعقوب:

﴿ووهبنا له اسحٰق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين﴾[1].

وقد ورد في هذا الحديث الشريف ايضاً ان العبد السالك ليتقرب اليَّ بالنوافل «حتى احبه» ومن الواضح انه ليس كل الذين يقومون بالأعمال الواجبة والمستحبة محبوبين للحق، وإنما قليل منهم يتابعون سير النوافل هذا الى ان يصلوا الى مقام المحبوبية لله سبحانه وميزة هذه المجموعة القليلة هي انهم اولاً: يأتون بالنوافل حبّاً لله لا «شوقاً الى الجنة» ولا «خوفاً من النار» لأجل محو السيئات او لأجل جبران نقص الفريضة كما قد ورد في جملة من الروايات ان اتيان النافلة وكذلك سجدة الشكر بعد الصلاة يجبر عدم حضور القلب في الفريضة. وثانياً: انهم يتابعون السير في وادي المحبة ذاك حتى يرتقوا من كونهم محبي الله الى كونهم محبوبي الله.

﴿ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾[2].

أجل فالكثير من السالكين محبين لله لكنهم ليسوا محبوبين له. الله سبحانه أمر رسوله في سورة آل عمران ان قل للناس إن كنتم تحبون الله فاتبعوا حبيب الله لكي تصلوا حيث تصيرون محبوبين لله:

اتباع حبيب الله يجعل العبد السالك حبيباً لله، والوصول لهذه المرتبة مقدمة مقام الولاية اذ ان كل محب يظهر آثاره بيد المحبوب.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٧٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

ولذا يقول في تتمة الحديث:

«فإذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها. ان دعاني اجبته وإن سألني اعطيته».

اذا صار محبوبي وكنت محباً له اتولى جميع مسالكه الإدراكية والعملية. وعليه فاذا فهم فهو إنما يفهم بنوري العلمي، ولذا ففي المسائل العلمية لا يعجز ولا يشتبه في الفهم، وإذا قام بعمل فإنما يقوم به بقدرتي، لذا لا طريق للعجز والمعصية في اعماله. وهنا يتشرف بخطاب **﴿وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى﴾**[1]. وطبعاً «رمى» لا خصوصية لها وإنما ذكرت كمصداق من المصاديق وإلا فإن الأصل الكلي للإرتقاء الى هذه المنزلة هو بهذا النحو «وما فعلت اذ فعلت ولكن الله فعل» «وما علمت اذ علمت ولكن الله علم» ومع الإلتفات الى ان هذه الأمور إنما هي في حدود صفة فعل الله سبحانه لا صفة الذات فضلاً عن ان يصل الى مقام الذات الذي ليس موضوعا لأية قضية حتى في العرفان النظري ـ لذا فإسناد هذه الأفعال لله سبحانه لا يستتبع اي محذور.

اجل فالعجز والهمة القاصرة للسالكين الذين القوا رحالهم في وادي الخوف من النار او في صحراء الشوق للجنة، أو أنهم عبروا هذين المنزلين لكنهم حسبوا ممر محبة الله ومحبة الحق منزلاً فهؤلاء لن يصلوا الى مراقي هذا المقام الرفيع بأن يصيروا محبوبين لله، وإنما يلزمهم همة عالية وسعي مستمر ومجاهدة مضنية لكي ينالوا تلك العطية الإلهية الغالية وان كان من الممكن من باب ان «العز هو ذلك الذي يكتسب دون بذل دم القلب» ان يصير العبد مجذوباً للحق دون بذل دم قلبه وان يصير السالك محبوباً له دون ذهاب مهجته.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ١٧.

كلام لأمير المؤمنين(ع):

في كتاب نهج البلاغة ايضاً يلاحظ هذا الإمتياز لأولياء الله بأن الله سبحانه هو الذي يدير قواهم الإدراكية والعملية. يقول(ع) حول المسائل العلمية والقوى الإدراكية:

«وانما سميت الشبهة شبهة لأنها تشبه الحق فأما اولياء الله فضياؤهم فيها اليقين ودليلهم سمت الهدى، وأما اعداء الله فدعاؤهم فيها الضلال ودليلهم العمى»[١] .

فأولياء الله يشخصون الحق مما يشبه الحق بشعاع نور يقينهم وهدايتهم ويعبرون هذا المنزلق بسلامة. اما اعداء الله فحيث انهم لا يتمتعون بأي نور تحيط بهم الضلالة والعمى من كل جانب وتلقيهم في الهلكة في حُفَرِ الضلال المظلمة الموحشة.

ودليل الرؤيا السليمة لأولياء الله هو انهم عرفوا الدنيا جيداً، ولذا فقد حفظوا انفسهم من آفاتها.

«إن اولياء الله هم الذين نظروا الى باطن الدنيا اذا نظر الناس الى ظاهرها»[٢] .

ظاهر الدنيا مملوء بالشهوات والأهواء النفسانية اما باطنها فنار محرقة. اذ بحسب تعبير النبي الأكرم(ص) «ان النار حفت بالشهوات»[٣] .

كما ان المجاهدة للنفس وسلوك الطريق الإلهي لها ظاهر شاق لكن باطن هذه المصائب والشدائد هو الجنة «ان الجنة حفت بالمكاره»[٤] .

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٣٨.
(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٤٢٤.
(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٧٥.
(٤) نهج البلاغة، الخطبة ١٧٥.

ثم يضيف امير المؤمنين(ع) «واشتغلوا بآجلها اذا اشتغل الناس بعاجلها فأماتوا منها ما خشوا ان يميتهم» إنهم يعلمون ان مظاهر الدنيا الخادعة تقضي على الإنسان فلذا قبل ان يبتلوا بأضرار حب الدنيا وعبادة الهوى اقتلعوا الدنيا ومظاهرها وطردوها.

«وتركوا منها ما علموا انه سيتركهم» وقبل ان يتركهم جاه الدنيا ومقاماتها تخلوا هم عنه. الملفت هو ان المتكلم بهذا الكلام هو ذلك الشخص الذي كانت الحكومة بيده والذي كان جالساً على مسند الخلافة، غايته انه كانت الخلافة في اختياره لا انه كان هو في اختيار الخلافة.

«ورأوا استكثار غيرهم منها استقلالاً ودركهم لها فوتاً» فأولياء الله يرون ما اشتغل به المستكثرون وما يرونه كثيراً ذا نتيجة انه في الواقع قليل ولا قيمة له إذ ان ﴿متاع الدنيا قليل﴾[1] والحصول على هذا المتاع القليل يترافق في نظر أصل المعنى مع فقدان الخير الكثير.

«اعداء ما سالم الناس وسلم ما عادى الناس، بهم عُلِمَ الكتاب وبه عَلِمُوا، وبهم قام الكتاب وبه قاموا. لا يرون مرجواً فوق ما يرجون ولا مَخوفاً فوق ما يخافون».

فلا يرون مخوفاً ولا مرجواً فوق الله عز وجل.

والحاصل ان جميع الشؤون الإدراكية والعلمية للإنسان الحائز على مقام الولاية الإلهية المنيع ستكون مظاهر ومجالي لأفعال الله سبحانه وتكون جميع نظراته صواباً وجميع رغباته صالحة بشكل تلقائي.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٧.

اختلاف الولاية عن التفويض والتوكيل:

النقطة الأخيرة التي من الضروري الإلتفات اليها وبذكرها نختم الفصل الثالث من البحث هي ان الولاية تتفاوت مع التفويض كما انها تختلف ايضاً عن التوكيل.

وتوضيح ذلك انه من الممكن ان يظن انه اذا صار الإنسان ولياً لله فالله سبحانه يعهد اليه بعمل او اعمال من عالم الخلق مما كان هو تعالى يتولاها بشكل يعمل فيه ولي الله من رأسه وبشكل مستقل (تفويض)، او انه اذا لم ينل الإنسان الولاية الإلهية وإنما ابتعد عن ساحة قدس الله بسبب ارتكاب المعاصي فالله تعالى سيتركه لحاله وفي الواقع سوف يكل اموره له او لشخص آخر (توكيل)، كثيراً ما يخطر هذا المفهوم في الذهن من ظاهر بعض الأدعية مثل «إلهي لا تكلني الى نفسي ...» او «ولا تكلنا الى غيرك ...»[1].

لكن سواء تفويض العمل لأولياء الله فهو عقلاً ونقلاً مستحيل او توكيل اعداء الله فكذلك سيكون مستحيلاً. ويمكن إقامة برهانين على هذا المطلب:

البرهان الأول: هو انه حيث ان ربوبية الله غير محدودة فلا إمكانية لتقطيعها بشكل تفوض فيه الأمور في احدى زوايا العالم لموجود آخر ـ سواء في الأمور التكوينية او التشريعية ـ ولا يكون للرب المطلق دور في اصل حدوثها او استمرار بقائها. فإذاً تفويض عمل الله في التكوين والتشريع للملائكة او الأنبياء او الأولياء مستحيل، كما ان توكيل الله للأعداء بمعنى ان يتركهم بحالهم ولا يتدخل في اعمالهم اصلاً مستحيل، والحد الوسط لهذا البرهان هو ان الربوبية اللامحدودة ليست قابلة للتقطيع.

البرهان الثاني: هو ان الفقر مقوم لذات الموجودات الإمكانية، والشيء الفقير ذاتاً لا يمكن تركه بحاله اذ انه في هذه الصورة يصير معدوماً

---

(١) مفاتيح الجنان، الأعمال المشتركة لشهر رجب، التوقيع الشريف.

صرفاً ولا يمكن ارجاع اعمال الآخرين إليه، اذ انه بحاجة الى قيِّم في اعماله فضلاً عن اعمال الآخرين. فإذاً الحد الأوسط للبرهان الثاني هو الفقر الذاتي للموجودات الإمكانية.

والنتيجة انه بناء على هذين البرهانين لا تفويض العمل للأنبياء والأولياء والملائكة معقول، ولا توكيل الأعداء بأنفسهم أو الشياطين ممكن.

اما معنى هذا الدعاء «اللهم لا تكلني الى نفسي» وأمثاله فهو انه: إلهي لا تسلب مني ذلك اللطف الخاص لئلا اصبح تحت تدبير الشيطان. وذلك لأن الله سبحانه له نوعان من الرحمة والربوبية: تدبير عام والذي هو نفس تلك الربوبية المطلقة، والتي اشير اليها في بعض الآيات مثل **﴿الحمد لله رب العالمين﴾** او **﴿فلله الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين﴾**[1]. وهذه الربوبية الوسيعة المطلقة واسعة الى درجة تشمل كل ما سوى الله من اولياء الله والملائكة والشياطين والجنة والنار وسائر ما هنالك ـ والربوبية الثانية رحمة وتدبير خاص يشمل قسماً من اولياء الله فقط. وهو الذي يقول عنه موسى الكليم سلام الله عليه:

﴿ان معي ربي سيهدين﴾[2].

او يقول رسول الله(ص):

﴿إن الله معنا﴾[3].

وكذلك من جملة الشواهد التي تثبت وجود هذين النوعين من التدبير والهداية والرحمة هو انه من الأصول المحكمة القرآنية بصيرة الله سبحانه بجميع الأشياء:

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٦٢.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

﴿انه بكل شيء بصير﴾[1] .

وفي نفس الوقت يقول حول البعض :

﴿لا ينظر إليهم﴾[2] .

من البديهي انه لا يعقل وجود شيء او شخص في اي مورد من الموارد لا يكون في معرض رؤية الله البصير. ومن هنا يعلم ان لله سبحانه نوعان من النظر والرؤية. احدهما النظر العام الذي هو بالنسبة لجميع الأشخاص بمستوى واحد، والآخر نظر التشريف واللطف الذي يتشرف به العباد الخاصون فقط.

والحاصل ان معنى ذلك الدعاء «إلهي لا تكلني الى نفسي طرفة عين ابداً» انه اجعلني مشمولاً للطفك الخاص باستمرار ولا تجعلني اتحسر على تلك الرحمة لحظة واحدة. والوجه في ذلك انه قد ورد الى جانب الجملة المذكورة ما يلي :

«. . . ولا تكلنا الى غيرك ولا تمنعنا من خيرك» .

والنتيجة ان التفويض والتوكيل عقلاً محال. وبناء على هذا اذا اثبتت الولاية لأولياء الله سواء ـ التكوينية والتشريعية ـ فهي ليست بنحو التفويض قطعاً. وإنما وكما قد أُشير اليه سابقاً ايضاً فالولاية من صفات فعل الله سبحانه، وحيث ان صفات الفعل تتطلب مظاهر امكانية فهؤلاء العباد الخاصين مظاهر لولاية ذلك الولي المطلق. وكذلك اذا ما نزلت الملائكة على البعض وبشرتهم وثبتت المؤمنين في ايمانهم كما في الآية الكريمة :

﴿ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزَّل عليهم الملائكة ألاَّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم

---

(١) سورة الملك، الآية: ١٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٧.

توعدون﴾[1].

فكأن الأمر كذلك. او اذا تكلموا بلسان البعض كما في كلام الإمام الرضا(ع) لدعبل بعد إنشاده قصيدة حماسية في الدفاع عن الولاية انه «نطق روح القدس على لسانك»[2] فهو شاهد على ذلك. وهذا كله لا شيء فيه على نحو التفويض وإنما الملائكة ايضاً من مظاهر ولاية ذلك الولي المطلق ومن جنود الله الخاصين الذين لا يعملون بدون امر الله كما انهم لا يتمردون عليه.

وكذلك بعض الآيات القرآنية وجملة من روايات اهل البيت(ع) تظهر هذه الحقيقة من ان اعداء الله هم تحت تدبير الشياطين.

يقول الله تعالى:

﴿إنا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازّاً﴾[3].

و﴿إنا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون﴾[4].

و﴿هل انبئكم على من تنزَّل الشياطين * تنزَّل على كل افَّاك أثيم﴾[5].

والملاحظة التي تستحق الإلتفات في مورد الآية الأخيرة هي ان الشياطين ليس عندهم اوج وحضيض لكي يكون التنزل بالنسبة لهم بنفس معنى تنزل الملائكة، لكن حيث ان الشخص المفسد قد صار تحت سيطرة وليه اي الشيطان، وكل ولي له علو بالنسبة لمولاه، فكأنه قد نزل عليه من الأعلى.

وعلى أية حال فالآيات المذكورة أعلاه تبين هذه الحقيقة بوضوح، من

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٠.
(٢) البحار، ج٤٩، ص٢٣٧.
(٣) سورة مريم، الآية: ٨٣.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.
(٥) الشعراء، الآيات: ٢٢١ـ ٢٢٢.

أن الله تعالى قد اختار من جنوده الذين لا يحصون شياطين وكالكلاب المعلمة يأمرهم باصطياد أعدائه. وهذه الحقيقة قد وردت في كلمات أمير المؤمنين(ع) أيضاً إذ يقول(ع):

«اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً واتخذهم له أشراكاً فباض وفرَّخ في صدورهم ودبَّ ودرج وفي حجورهم فنظر بأعينهم ونطق بألسنتهم»[1].

فالإنسان قد يصل لفرط الإنحطاط إلى حيث يعشش الشيطان في داخله ثم يبيض ويفرخ فيه وعندها يتكلم بلسانه وينظر بعينه.

لاحظوا التفاوت من أين إلى أين. فالبعض يرتقي إلى أن يصل إلى شامخ مقام المحبوبية لله عز وجل فيتكلم الله بلسانه وينظر بعينه، والبعض الآخر يسقط في مهاوي الكفر والفسوق والعصيان بشكل يسخر الشيطان لسانه وعينه وأذنه ويمسك بزمام قواه الإدراكية والعملية.

ومن هنا فقد حذَّر سيد الأولياء سالكي طريق الولاية وقال:

«وحذَّركم عدواً نفذ في الصدور خفياً ونفث في الآذان نجيا»[2].

فالله سبحانه قد حذَّركم من عدو يمتلك طريقاً للنفوذ ناعماً جداً. فهو ينفد في أنفسكم ويمسك بزمام أفكاركم ويناجيكم في أذانكم.

ثم وكتطبيق لقاعدة كلية على بعض المصاديق قال عليه السلام في خاتمة خطبة همام في جواب ذلك الشخص الذي اعترض عليه بأنه إذا كانت الموعظة قد أثرت في همام بهذا الشكل بان ذهبت طاقته ومات فلِمَ لَمْ تؤثر بك أنت. قال:

«ويحك إن لكل أجل وقتاً لا يعدوه وسبباً لا يتجاوزه، فمهلاً لا تَعّدْ

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة (٧).

(٢) نهج البلاعة، الخطبة (٨٢).

لمثلها فإنما نفث الشيطان على لسانك»[1] .

فكل موت له سبب خاص. هذا كناية عن أن هذا الكلام بمثابة السيل الذي وإن أمكن أن يقتلع البيوت العادية والمتعارفة في مكانها ويجرفها، لكنه لا يملك قوة للمقاومة أمام صلابة وثبات جبل كمثلي. ثم قال له: لا تجري على لسانك كلاماً وقحاً ومتسرعاً كهذا لأن الشيطان هو الذي قد تكلم بلسانك. فالشيطان نفث فيك وأنت تكلمت على إثر نفثه.

والبرهان أيضاً يؤيد هذا المطلب. وذلك لأن:

ألف: الخواطر التي تظهر في ذهن الإنسان هي أمر وجودي.

باء: الأمر الوجودي لا يحصل صدفة وإنما يحتاج لسبب.

جيم: الإنسان هو السبب القابلي لهذه الأفكار لا السبب الفاعلي إذ لم يكن يمتلك هذه الأفكار ابتداءً ثم ظهرت.

دال: حيث أنه لا يوجد أي فعل من دون فاعل فيقينا هناك عامل وضع هذه الأفكار في ذهنه.

على أساس هذه المقدمات إذا كانت هذه الأفكار خيراً فمنشأها الملائكة «تتنزل عليهم الملائكة» وإذا كانت أفكار شر ويرافقها دعوة للمعصية فيقيناً قد أتى بها الشيطان إذ «تنزَّل على كل أفاك أثيم».

ونتيجة البحث أن الطريق الوحيد لنيل الولاية هو امتثال الأوامر الإلهية لكي يصير الإنسان قريباً من الله في النتيجة. فإذا طوى مراحل القرب هذه وصار محبوباً لله يتولى الله أمر قواه الإدراكية والعملية. وقد شخص القرآن الكريم صفات أحباء الله فقال:

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة (١٨٤).

﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾[1].

و﴿إن الله يحب المقسطين﴾[2].

و﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾[3].

هؤلاء هم أحباء الله. لقد بيّن القرآن صغرى القياس وكبراه، بيَّنها ذلك الحديث القدسي من أن كل من صار محبوباً لله فالله يتولى مداخله الإدراكية والعملية ويقول لهؤلاء على نحو القاعدة الكلية:

«وما فعلت إذ فعلت ولكن الله فعل».

ولا اختصاص لذلك بالرماية أو الحصب وأمثال ذلك أبداً. وهذه الولاية الإلهية ليست بنحو التفويض، كما أن تلك العداوة الإلهية أيضاً لا تكون أساساً للتوكيل.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) سورة البقرة، الآية(٢٢٢).

(٢) سورة المائدة، الآية(٤٢).

(٣) سورة الصف، الآية: ٤.

الدرس الرابع عشر

تلخيص لما مر

لقد تكلمنا لحد الآن خلال ثلاثة فصول تحت عناوين « الولاية ما هي ؟ » « والولاية هل هي ؟ » « والولاية لم هي ؟ » عن ماهية الولاية ووجودها وطريق تحصيلها والآن في الفصل الرابع تحت عنوان « الولاية كم هي ؟ » نذكر تقسيمات الولاية وأقسامها .

وحيث أنه خلال هذا الفصل سينجز الكلام إلى تقسيم الولاية إلى التكوينية والتشريعية « والتشريع » قرين وملازم « للإعتبار » لذا وقبل الدخول في البحث نحتاج إلى طرح عدة مقدمات .

المقدمة الأولى : في بيان المعنى الحقيقي والإعتباري .

المقدمة الثانية : في شمول النظام العلي للأمور الحقيقية والإعتبارية .

المقدمة الثالثة : في إستناد الأمور الحقيقية والإعتبارية لله تعالى .

المقدمة الرابعة : في بيان معنى الولاية التكوينية والتشريعية .

ـ المقدمة الأولى :

« الإعتبار » في مقابل « الحقيقة » يستعمل في عدة إصطلاحات .

الإصطلاح الأول هو الإصطلاح الذي يستعمل في بحث حقيقية الوجود واعتباريته . وفي هذا الإصطلاح الإعتبارية بمعنى إمتلاك التحقق بالعرض . مثلاً عندما يقولون الماهية أمر إعتباري والوجود أمر حقيقي فبهذا المعنى أن التحقق أولاً وبالذات يتعلق بالوجود وثانياً وبالعرض يتعلق بالماهية .

الإصطلاح الثاني هو الإصطلاح الذي يتكلم عنه في بحث المقولات . فهناك يسمون وجود بعض المقولات مثل مقولة الإضافة التي توجد باعتبار الطرفين وجوداً إعتبارياً .

الإصطلاح الثالث الذي يستعمل في باب المعرفة حين تقسيم الإدراكات . ففي ذلك التقسيم الذي يكون بلحاظ المُدرَك إذا كان المُدرَك نظير الماهيات موجوداً في الخارج فيسمى إدراكه إدراكاً حقيقياً . أما إذا كان المُدرَك نظير المعقولات الثانية المنطقية من قبيل الكلية والجزئية أو النوع والجنس والفصل التي تتحقق في الذهن فقط فيسمُّون إدراكه إدراكاً إعتبارياً . بناءً على هذا فإدراك الشجر أو إدراك الإنسان إدراك حقيقي ، وإدراك الكلية والنوعية وأمثال ذلك إدراك إعتباري .

فكما يلاحظ أن هذه التقسيمات في الإصطلاحات متعددة ويوجد فروق بينها إذ الإعتباري في إصطلاح يكون حقيقياً في إصطلاح آخر . مثلاً ماهية الإنسان التي هي في الإصطلاح الأول أمر إعتباري إدراكها على أساس الإصطلاح الثالث إدراك حقيقي .

والإصطلاح الرابع الذي كان مغايراً للإصطلاحات المذكورة وفي مقابلها كلها هو الإصطلاح المستعمل في مورد بحثنا . في هذا الإصطلاح الحقيقي يشمل الموجودات التي لا يكون عمل الإنسان الإختياري دخيلاً في وجودها وعدمها . والإعتباري يشمل الأشياء والأمور التي تحصل في محيط

حياة الإنسان بشكل لو لم يكن الإنسان لما طرحت هذه الأمور أصلاً . نظير الملكية والرئاسة والزوجية والعضوية وأمثال جميع الأمور التي تطرح في المسائل الأخلاقية والفقهية . إذ أن الإنسان فقط هو الذي يعتبر هذا النوع من الأمور لأجل إقامة نظام حياته . ولذا لو لم يكن الإنسان فلا المالكية الإعتبارية لها معنى ، ولا العضوية أو الزوجية أو سائر المسائل الأخلاقية والحقوقية التي قد وقعت في لوح الإعتبار . وكما قد أشرنا فهذا المعنى الرابع من الإعتبارات هو محل بحثنا . طبعاً ينبغي الإلتفات إلى أن تقسيم الأمور إلى حقيقي وإعتباري بهذا المعنى الذي يطرح في الأصول وفي الفقه أحياناً أيضاً هو تقسيم فلسفي ، إذ أن الفلسفة هي التي تتكفل بالبحث عن أصل الوجود ونحو وجود الموجودات . وبعد أن يثبت أصل وجود شيء ما في الفلسفة يتم البحث عن عوارض ذلك الوجود المفيد في دائرة مسائل العلوم الجزئية . بناء على هذا فأصل أن « الموجود إما حقيقي وإما إعتباري » بحث فلسفي ، وبعد إثبات تحقق الأمور الإعتبارية تقوم العلوم الجزئية التي وقعت حول هذا النوع من الأمور بالفحص حول الإعتبارات المختلفة التي قد جعلت لأجل تحصيل أغراض متعددة .

ـ المقدمة الثانية :

حيث أنه ليس هناك أي شيء يحصل على نحو الصدفة ومن دون سبب فاعلي خارج نظام العلة والمعلول ، لذا فجميع الأمور الحقيقية والإعتبارية تستند إلى علة توجدها أو تعتبرها .

ـ المقدمة الثالثة :

في المباحث السابقة ثبت على أساس التوحيد الربوبي أن كل أمر يتحقق في العالم ويكون له سهم من الوجود أعم من أن يكون أمراً حقيقياً أو إعتبارياً فهو مستند إلى الله سبحانه .

ـ المقدمة الرابعة :

إن مرجع الولاية التكوينية والولاية التشريعية إلى الولاية على التكوين والولاية على التشريع ، أي ترجع إلى ولاية التكوين وولاية التشريع . إذ أنه وكما قد مر سابقاً فالعلة هي ذو الظل والمدبر بالنسبة للمعلول ، والمعلول مولىًّ عليه وتحت تربية العلة . لذا إذا قامت العلة بعمل حقيقي كأن تخلق شجرة أو إنساناً ففي هذه الصورة تكون العلة ولي ذلك الأمر التكويني أي تكون ولي التكوين . أما إذا قامت العلة بعمل إعتباري ففي هذه الصورة تكون ولي الإعتبار ، وبعبارة أخرى تصير ولي التشريع .

بناء على هذا فروح الولاية التشريعية التي هي قسم الولاية التكوينية يرجع إلى الولاية على التشريع . إذ أن الولاية التشريعية بنفسها ليست أمراً تشريعياً وإعتبارياً وإنما أمر حقيقي . إذ أنه لو صار شخص ما سبباً لجعل قانون ما فسيكون هو ولياً على القانون ، وهذا بمعنى أنه ولي على أمر إعتباري لا أن ولايته تكون أمراً إعتبارياً .

وبالطبع فيوجد أيضاً ولاية إعتبارية مثل الولاية التي يجعلها الشارع للأب بالنسبة للإبن ، لكن هذه ولاية إعتبارية في حدودها مجعولة للشارع ، ولكونها إعتبارية لا تكون مقابل الولاية التكوينية أبداً . الولاية الوحيدة التي تكون في مقابل الولاية التكوينية هي التي يكون وليُّها له حق التقنين بالذات والأصالة لا بالجعل والإعتبار ، وهي ولاية الله سبحانه التي هي غير مجعولة . أما الولاية الأخرى أي ولاية الأنبياء والأولياء عليهم السلام على التقنين فكلها ولايات مجعولة .

ويعلم مما قد سلف أن تقسيم الولاية إلى تشريعية وتكوينية هو في الواقع تابع لتقسيم المولى عليه . فإذا كان المولىّ عليه أمراً تكوينياً فولاية الولي ولاية على التكوين ، وإذا كان أمراً تشريعياً فولاية الولي ولاية على

التشريع .

ومن هنا أيضاً يتضح معنى تقسيم الإرادة إلى إرادة تكوينية وتشريعية . إذ أن الإرادة بسبب كونها وصفاً نفسانياً فهي دائماً أمر حقيقي . لكن هذا الأمر الحقيقي ينقسم إلى إرادة تكوينية وتشريعية تبعاً للمراد الذي يكون تارة تكوينياً وأخرى تشريعياً . وهذا في الواقع بمعنى تقسيم الإرادة إلى إرادة التكوين وإرادة التشريع .

ولكي يتضح الفرق بين الإرادة التكوينية والتشريعية جيداً ويعلم كذلك أن تمايز هذين الأمرين إنما هو بمرادها قالوا إذا كان متعلق الإرادة فعل نفس الإنسان كالجلوس والقيام ونحو ذلك فهي إرادة تكوينية ، وأما إذا كان متعلق الإرادة فعل الغير كأن يطلب شيء من الغير بواسطة الآمر فالإرادة تشريعية .

وتفاوت الإرادة التشريعية مع الإرادة التكوينية بالنسبة لله سبحانه هو بأن إرادة الله التكوينية لا تقبل التخلف . أي لا يمكن أن يريد الله تعالى أمراً ما بالإرادة التكوينية ولا يقع ذلك الأمر .

﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾[1] .

فجميع العالم أمام أمر الله التكويني بمثابة جيش وجنود مطيعين ومنقادين .

﴿ فقال لها وللأرض إئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ﴾[2] .

والقرآن الكريم يعبِّر عن هذه التبعية العامة بالإسلام والسجدة الجماعية ويقول :

---

(١) سورة يس ، الآية ٨٢ .
(٢)سورة فصلت ، الآية ١١ .

﴿ وله أسلم من في السموات والأرض ﴾[1] .

أو : ﴿ ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض ﴾[2] .

أما في إرادة الله التشريعية فالعصيان والتخلف ممكن . إذ أنه في إرادة الله التشريعية يوجد مسافة بين إرادة المولى والفعل الخارجي ، بين الإرادة وعمل الغير . الله تعالى في هذا النحو من الإرادة يطلب العمل من الإنسان المكلف ، وحيث أن الإنسان مختار فأحياناً يطيع وأخرى يتمرد .

ـ ولاية الله التكوينية والتشريعية :

بعد الإلتفات إلى المقدمات والأصول المذكورة يتضح أن الله سبحانه يمتلك ولاية تكوينية وتشريعية معاً . إذ أنه على أساس التوحيد الربوبي فالله تعالى يدير الكون بإعمال الولاية وهو الذي يُعْمِل ربوبيته باستمرار في الأنحاء المتعددة .

﴿كل يوم هو في شأن﴾[3] .

وكذلك على أساس قبول النبوة وبعد الفراغ عن إثبات الوحي فالله وحده هو الذي يمتلك حق جعل القانون ، وهو الذي يبلِّغ الأحكام المجعوله للناس عن طريق النبي . وعدا عن أن القرآن الكريم ينسب جعل الأحكام لله سبحانه . فهو وكمثال على أن النبي يجب أن يسمع الأحكام الإلهية المجعولة ويبلغها للناس يقول :

﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به☆ إن علينا جمعه وقرآنه﴾[4] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٨٣ .
(٢) سورة النحل ، الآية ٤٩ .
(٣) سورة الرحمن ، الآية ٢٩ .
(٤) سورة القيامة ، الآيات ١٦ و ١٧ .

والآيات الواردة حول ولاية الله التشريعية على نحوين . فبعضها جامع بين الولاية التشريعية والتكوينية وبعضها الآخر مختص بولاية الله التشريعية . من جملة الآيات الجامعة بين كلتا الولايتين الآية المعروفة بآية الكرسي :

﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾[١] .

وشمول هذه الآية للولاية التشريعية من جهة أن الله سبحانه يهدي الناس من الظلمات إلى النور من خلال جعل القوانين النورانية ، إذ أنه قد سمى القرآن نوراً . وقال أيضاً حول إنارته وإعطائه النور :

﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد﴾[٢] .

أي أن هذا القرآن قد نزل ليهدي الناس إلى النور .

فولاية الله إذن في تقرير المؤمنين بجعل الأحكام وإبلاغها . وهذه الأحكام إما من الأحكام التكليفية نظير الوجوب والحرمة والإستحباب والكراهة ، أو من الأحكام الوضعية كالصحة والبطلان أو الطهارة والنجاسة .

وشمول الآية بالنسبة للولاية التكوينية أيضاً من جهة أن الله سبحانه صاحب الولاية على التوفيقات وعلى الميول والتحولات الداخلية للإنسان . فإذا كان حكم الله بـ **﴿أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾**[٣] وأمره بـ **﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين﴾**[٤] قد شُرِّعا لشخصين على حد واحد ، وبعد ذلك حصل عند أحدهما ميل وانجذاب للإمتثال فزمام هذا

---

(١)سورة البقرة ، الآية ٢٥٧ .
(٢)سورة إبراهيم ، الآية ١ .
(٣)سورة البقرة ، الآية ٤٣ والآية ٨٣ والآية ١١٠ وغيرها .
(٤)سورة محمد ، الآية ١٩ .

الميل الداخلي والذي هو أمر تكويني بيد الله عزوجل الذي هو الولي على التكوين . فالآية الشريفة إذاً تشمل ولاية تشريع الله على القانون والفقه كما تشمل ولايته التكوينية على قلوب البشر .

ومن جملة الآيات التي تدل على ولاية الله التشريعية الآية ٣٦ من سورة الأحزاب التي تقول :

﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعصي الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾ .

أي أنه وإن كان الجميع مختارين تكويناً **﴿من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾**[1] لكن لا حقَّ لأحد إذا حكم الله ورسوله بأمر أن يقوم بمخالفته ويختار أمراً آخر ، وكل من يعصي فقد وقع في الضلال والتيه المبين .

ونسبة العصيان في تتمة الآية إلى الذين يخالفون أمر الله تعالى دليل على أن الكلام في هذه الآية هو عن ولاية الله وأمره التشريعيين ، وإلا فكما قد بُيِّن سابقاً فلا قدرة لأحد على العصيان والمخالفة أمام ولاية الله التكوينية .

من الآيات الأخرى التي جرى فيها الكلام عن الولاية التشريعية الآية ٥٩ من سورة النساء التي تقول :

﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ .

مع فرض الفراغ عن مباحث التوحيد والنبوة فالبحث عن الولاية التكوينية والتشريعية لله سبحانه أيضاً مفروغ عنه . وهذا المقدار الذي قد بيَّناه في هذا الباب أيضاً إنما هو في الواقع لأجل التنبيه والتذكير .

أما ما هو المهم فهو إثبات الولاية لأنبياء الله وأوليائه . فيجب في

---

(١) سورة الكهف ، الآية ٢٩ .

خلال عدة مباحث أن يتضح هذا المطلب أنه هل الولاية لرسول الله وأئمة الهدى أو حتى للمؤمنين من الأولياء أيضاً ثابتة أم لا ؟ وإذا كانت ثابتة فهل هي كأمر تشكيكي لها درجات ومراتب أم لا ؟

وطبعاً فعمدة هذه المباحث إنما هي في إثبات الولاية التكوينية لأولياء الله ، إذ أن جعل الولاية التشريعية من الله للشخص المأمور بالرسالة والنبوة أمر بيِّن وواضح .

والحمد لله رب العالمين

الدرس الخامس عشر

نفي الولايات العرضية والطولية

قبل الكلام حول ولاية أنبياء الله وأوليائه من الضروري طرح هذه المسألة وهي أنه إذا أثبتت الولاية ـ أعم من الولاية التكوينية والتشريعية ـ للأنبياء والأئمة عليهم السلام ولسائر الأولياء فهذه الولاية لا تكون في عرض ولاية الله ولا في طولها أيضاً .

الدليل على أنه لا يوجد أية ولاية في عرض ولاية الله هو أنه لا يوجد ولاية ولأي كان بالأصالة والإستقلال ، ولذا لا يمكن جعل ولاية أي أحد في عرض ولاية الله التي هي ولاية أصيلة ومستقلة .

وأما السبب في بطلان توهم أن ولاية الآخرين في طول ولاية الله عزوجل هو أنه وكما مر سابقاً فولاية الله الذي هو أحد وصمد خارجة عن الحد والحصر ، وبما أنها بلا حد فهي لا تتحدد في مقطع خاص أبداً لكي يصل الدور في ما سوى هذا المقطع لولاية ولي آخر . فهو صمد ، والصمد لا يبقي خلاً لآخر فضلاً عن أن يكون ذلك الآخر واقعاً في الرتبة الثانية .

﴿لله المشـــرق والمغـــرب فـــأينمـــا تـــولـــوا فثـــم وجـــه

الله﴾[1] .

﴿هو معكم أينما كنتم﴾[2] .

﴿هو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾[3] .

«مع كل شيءٍ لا بمقارنة»[4] .

ظهور وتجلي الولاية الإلهية :

بعد نفي كل نحو من الولاية تكون في عرض أو طول ولاية الله سبحانه لم يبق لأنحاء الولاية التي تسند إلى الآخرين إلا أن تعتبر مظهراً لولاية الله عزّوجلّ . أي أن الولاية التكوينية والتشريعية لكل ولي إنما هي في الحقيقة مظهر لولاية الحق بمعنى أن ذلك الشخص يكون مجلىً ، وولاية الله سبحانه متجلية فيه .

الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة يحمد الله ويثني عليه بتجلّيه فيقول :

«الحمد لله المتجليّ لخلقه بخلقه»[5] .

وأفضل مثال يصور ظهور وتجلي ولاية الله في مواضع التجلي ومظاهره مثال المرآة التي تعكس كل ما يوضع مقابلها . فالمرآة مجلى لتجلّي الأشياء الواقعة مقابلها .

إذا قيست الصورة المرآتية التي في المرآة بالنسبة لصاحب الصورة

---

(١) سورة البقرة الآية ١١٥ .
(٢) سورة الحديد الآية ٤ .
(٣) سورة الزخرف ، الآية ٨٤ .
(٤) نهج البلاغة ، الخطبة الأولى .
(٥) نهج البلاغة ، الخطبة ١٠٧ .

وسُئل عن أن عمل الصورة في المرآة هل هو في عرض عمل صاحب الصورة أم في طوله فيمكن أن يجلب إبتداءً بأن هنا العمل ليس في عرض عمل صاحب الصورة وإنما في طوله . لكن إذا دققنا يتضح أنه لا شيء في المرآة ليقوم بعمل مقابل صاحب الصورة . والموجود فيها إنما هو صرف آية وعلامة لصاحب الصورة وهي تدل عليه فقط .

العالم بناء على التوحيد الأفعالي مظهر وبتعبير القرآن الظريف آية للحق . والآية والعلامة ليس لها شيء من نفسها . إذ لو كان لها شيء من نفسها في خصوصية من الخصوصيات لما كانت آية وعلامة في هذه الخصوصية وإنما ستكون حجاباً ، والواقع أن العالم في جميع شؤونه آية إلهية ولا يوجد أي شيء في العالم يكون في جهة من الجهات حجاباً ولا يكون مرآة للحق .

وبالطبع وكما قد مر سابقاً أيضاً فليس المراد من المرآة ما يراه العرف مرآة . فما يراه العرف مرآة هو الزجاج والزئبق اللذان يكونان بكمية وكيفية معينة وقد صُنعا بشكل وقياس محدد ، مع أن هذا الجرم والجسم هو مرآة بالقوة . المرآةَ بالفعل التي هي المرآة الحقيقية هي تلك الصورة المرآتية التي تظهر صاحب الصورة . الصورة المرآتية كمثل السراب لا واقعية لها سوى الإراءة ، مع الفرق بأن السراب يظهر كاذباً والمرآة تعكس بصدق وسلامة .

مما قد بُيِّن حول تجلي وظهور الله سبحانه في مجالي الخلقة يتضح أن جميع المباحث التي قد تطرح في الكتب العقلية لأجل تبيين نظام العلية والمعلولية فإنما هي لأجل التعليم والتعلم ، وهي ناظرة إلى مقام الإثبات لا إلى مقام الثبوت . إذ أنه في هذه الكتب يشرع البحث ابتداءً عن العلل العادية وفي طولها ينتهي إلى العلل الغيبية ، ومنها إلى علة العلل الذي هو مسبب الأسباب . لكن حيث أنه في الإلهيات بالمعنى الأخص يبدأ البحث عن العلة الأولى وأوصافها ، فإحدى أبرز الأوصاف التي تُثْبَتُ له هو وصف

اللامحدودية ، والتي بإثباتها تُبَرأ وتُنزَّه ساحة كبرياء الحق سبحانه عن جميع النواقص التي تعرض من ناحية المحدودية .

يقول أمير المؤمنين عليه السلام :

«من حدَّه فقد عدَّه ، ومن عدَّه فقد أبطل أزله»(١) .

وفي مقام الثبوت يتضح أن العلة الأولى وبسبب عدم محدوديتها لها حضور في جميع سلسلة الوجود ، ولا يكون أي فرد من أفراد السلسلة في عرض العلة الأولى أو في طولها .

القيامة ظرف ظهور ولاية الحق :

ما يصل إليه الحكيم في الأواخر يشاهده ذلك الشخص الذي يطلب كمال الانقطاع من الله مع التزكية والتهذيب «إلهي هب لي كمال الإنقطاع إليك»(٢) ، أو ذلك الشخص الذي كما الغريق قد انقطع عن جميع العلل الظاهرية ودعا الله مخلصاً **﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾**(٣) .

أي أنه إذا لم يجد الإنسان ولاية الله المطلقة بالبرهان أو بالمشاهدة والعيان من الممكن أن يدرك بعد المشاكل الدنيوية أنه :

﴿هنالك الولاية لله الحق﴾(٤) .

يقول تعالى في سورة الكهف حول الشخص الذي وقع بستانه في الخطر :

﴿وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفَّيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على

---

(١) نهج البلاغة ، الخطبة الأولى .
(٢) مفاتيح الجنان ، المناجاة الشعبانية .
(٣) سورة يونس ، الآية ٤٤ .
(٤) سورة الكهف ، الآية ٤٤ .

عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحداً☆ ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً﴾[1] .

أي عندما سلبت الولاية عن غير الله ولم يستطع ذلك الشخص أن ينتقم بنفسه ولا هرع أحدٌ لنصرته عندها فهم أنه :

«هنالك الولاية لله الحق» .

وإذا لم يدرك الإنسان أيضاً ولاية الله في هذه المرحلة فسيدركها بعد الحوادث المهولة للبرزخ والقيامة وسيفهم بأن :

﴿أن الله هو الحق المبين﴾[2] .

غايته أنه إذا حصلت هذه المعرفة عن طريقة الحوادث الدنيوية المرة نظير ما ذُكر في سورة الكهف فسيكون هناك إمكانية لتحصيل الإيمان وجبران الكفر ، أما إذا حصلت مع الحوادث الأخروية فلا يبقى طريق للإيمان . بمعنى أن الكافر يشاهد ولاية الحق يوم القيامة لكنه لا يستطيع أن يؤمن بها ، ولذا فإن أحد أسماء القيامة **﴿يوم الحسرة﴾** .

عدم محدودية الولاية الالهية في لسان الآيات القرآنية :

كما أن القرآن الكريم له بيانان حول الألوهية ، ففي بيان يرى الألوهية منحصرة في الله ، وفي بيان آخر ينفيها عن غيره ، فكذلك يوجد لسانان حول الولاية . فبلسان يتكلم عن انحصار الولاية الإلهية مثل الآية ٩ من سورة الشورى حيث يقول :

﴿فالله هو الولي﴾ .

أو الآية ٢٨ من نفس السورة حيث يقول :

---

(١) سورة الكهف ، الآيات ٤٢ و ٤٣ .
(٢) سورة النور ، الآية ٢٥ .

﴿وهو الولي الحميد﴾ .

وبلسان آخر ينفي أي نوع من الولاية عن غير الله مثل الآية ٤ من سورة السجدة: **﴿الله الذي خلق السماوات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع﴾** .

لقد أشرنا في المباحث السابقة إلى الأدلة التي لها لسان إثبات الولاية لله سبحانه وهو وإن كان لازم حصر الولاية بالله سلبها عن غيره ، لكن قد ورد أيضاً عدة أدلة في سلب الولاية عن غير الله نشرع بذكرها .

البرهان الأول :

وهو البرهان الوارد في الآيات ٥٠ و ٥١ من سورة الكهف :

﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ☆ ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم﴾ .

الحد الأوسط لهذا البرهان هو العلم. إذ أن الولي هو الشخص الذي يكون مطّلعاً على أعمال المولىّ عليه. بناء عليه فالشخص الذي لا يكون مطلعاً عن الآخرين لا يستطيع أن يكون وليّاً لهم . يقول تعالى في الآيات أعلاه : إن أولئك الذين لم يكونوا حاضرين وشاهدين حين خُلق هذا النظام لا إطلاع لهم عنه ، ولذا لا يكونون أولياءه أبداً . وإذا كانوا يدعون الولاية أيضاً فإنهم من الأولياء الكذبة .

البرهان الثاني :

هو البرهان الذي تشير إليه تتمة الآية ٥١ من سورة الكهف حيث يقول تعالى هناك :

﴿وما كنت متخذ المضلين عضدا﴾ .

والحد الأوسط للبرهان الثاني هو القدرة . إذ أن الولي هو الشخص الذي يكون له قدرة على إدارة المولىً عليه ، والأولياء الكاذبين وبسبب كونهم لم يكونوا عضدا وعوناً لله في الخلق ، ولم يكن لهم دور في ذلك فليسوا أولياءً على الإطلاق .

هذان البرهانان تامان لجميع الأشخاص الخاضعين للأولياء الكاذبين . أي أنهما حجة بالغة للحق سواء للأشخاص الذين اتخذوا الشياطين أولياء أو بالنسبة للأشخاص الذين عبدوا النجوم أو الملائكة كأرباب متفرقة . ولذا يقول تعالى في الآيات السابقة واللاحقة للآية المذكورة من سورة الكهف : الإنسان إما يجب أن يفهم بالدليل أو يشاهد بالإنقطاع عما سوى الله أن الولاية مختصة بالحق تعالى « هنالك الولاية لله الحق » أو أنه ستتضح له هذه الحقيقة من خلال المشاكل الدنيوية والبرزخية .

الرهان الثالث والرابع :

تارة يضع الإنسان زمام إختياره بيد الأصنام ، وأخرى يرى نفسه مطلق العنان ويظن أنه يمتلك القدرة على إدارة نفسه ، وفي هذه الصورة أيضاً هو عابد للصنم يدار تحت ولاية الأهواء النفسانيه التي ملأ معبده منها . ولأجل الإحتجاج على جميع أولئك الذين أسلموا إدارتهم لغير الله ويحسبون أنهم يستطيعون بالإعتماد على غيره جلب منفعة لأنفسهم أو دفع مضرة عنها يقول القرآن الكريم إبتداءً في الآية ١٦ من سورة الرعد :

﴿ قل من رب السموات والأرض قل الله ﴾ .

أي سل هؤلاء من ذا الذي يدير السماوات والأرض ، وحيث أنهم لا يمتلكون جواباً مقنعاً فأجب أنت وقل : الله . وهذا الجواب هو الذي تقتضي الفطرة الإجابة به . أولئك بسبب إبتلائهم بالأرباب المتفرقة وإن كانوا يؤمنون بالله على أنه رب الأرباب وبصفته الخالق ينسبون الربوبية الجزئية لغير

الله .

يقول تعالى في سورة يونس حول إقرار مشركي مكة بخالقية الله :

﴿ ولئن سألتهم من خلق السمٰوٰت والأرض ليقولن الله ﴾ .

أما في آية سورة الرعد التي هي محل بحثنا فقد إستند إلى ربوبية الله سبحانه إذ أن الربوبية تستتبع المسؤولية .

وفي تتمة الآية المذكورة يستدل القرآن الكريم على سلب الولاية عن غير الله بهذا الشكل :

﴿ قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ﴾ .

أي أنكم إعتمدتم على أولياء غير الله لا يجلبون منفعة ولا يدفعون مضرة .

توضيح ذلك أن الذين يخضعون لعبادة الأولياء الكاذبين فإنهم يفعلون ذلك إما بسبب الخوف أو بدافع الشوق ، وإلاّ فالأحرار عبادتهم خالية من الخوف والشوق ولا يذلون لعبادة الأصنام الداخليه والخارجيه أبداً . وحيث أن عبادة أولئك قائمة على أساس الخوف والشوق فالقرآن الكريم يقول في الإحتجاج عليهم : أنتم تعبدون من تتوقعون منه جلب المنفعه أو دفع الضرر ، مع أن لا أحد يستطيع شيئاً من هذين الأمرين .

هذان البرهانان قد بُيِّنا بالشكل الثاني من الأشكال الأربعة للقياس المنطقي وذلك بهذه الصورة : إن الأصنام ليست نافعة ولا ضارة . والله يكون نافعاً وضاراً ، فإذاً الأصنام ليست إلهاً . وهذان الإستدلالان يجريان لنفي [ألوهية] الأصنام الداخلية أيضاً . إذ أن القرآن الكريم في موضع آخر يقول لأولئك الذين يحسبون أنهم يديرون أنفسهم بحسب ميولهم : أيها الرسول قل لهم :

﴿لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً﴾[1] .

أي ليس أنا فحسب وإنما ليس هناك إنسان يملك نفع نفسه وضرها . وفي الآية ١٦ من سورة الرعد بعد بيان الإستدلالين المذكورين يرجع إلى ما يقوم عليه أساس الإستدلال ويقول :

﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قلِ الله خالق كلِّ شيء وهو الواحد القهار﴾ .

أي أنه مثل المؤمن وغير المؤمن كمثل الأعمى والبصير ومثل الظلمات والنور . فهل يوجد خالق غير الله . أم هل يقدر غيره على شيء ليوجب ذلك الإشتباه ويظن أن لغيره قدرة الربوبية والإدارة للخلق ؟ أيها النبي قل لهؤلاء إن الله خالق كل شيء . هذا الأصل من أن الله خالق يقبله المشركون والوثنيون أيضاً . وما هو محل إنكار لهم ، وما هو إنكاره موجب لإشتباههم هي الجملة التالية حيث يقول **﴿وهو الواحد القهار﴾** .

أي أن الله له الوحدة القاهرة . إذا كانت وحدته وحدة قاهرة فلا أحد غيره في قباله لكي يقبل الإنسان إشتباهاً ولاية ذلك الغير ويتخذه كوليٍّ ورب لأجل دفع المضرة وجلب المنفعة .

والحمد لله رب العالمين

---

(١) سورة الاعراف ، الآية ١٨٨ .

الدرس السادس عشر

البرهان الخامس

حيث أن البحث حول الولاية بمعنى الإدارة والتدبير فلا إرتباط له بلفظ خاص ولذا فالآيات التي تتكلم حول حاكمية الله يمكنها أن تكون سنداً لبحث الولاية .

الحاكمية الإلهية في القرآن :

الآيات الواردة حول حاكمية الله على عدة طوائف . فبعضها ينفي الحاكمية بقول مطلق عن غير الله ويثبتها لله . مثل ما ورد في الآية ٤٠ من سورة يوسف بهذا البيان :

﴿ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله﴾ .

ففي هذه الآية قد نفي عن غير الله كل نحو من الحاكمية التشريعية والتكوينية وأسند الحكم والأمر لله عزوجل . وبعد ذلك قال حول حكم الله :

﴿أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ .

بعض الآيات تكون في مقام بيان هذه الحقيقة أن الله حاكم وحسب .

وبعض آخر منها تقوم بنفي الحاكمية عن غير الله . وقسم من الآيات تقوم بنفي المانع وتقول : كما أنه لا حاكم غير الله فلا يوجد أيضاً عائق أو مانع أمام حكمه .

وفي بعض آخر من الآيات مثل ما ورد في سورة الكهف الآية ٢٦ بعد سلب الولاية عن غير الحق تقوم بنفي الشريك في حكم الله وتقول :

﴿ما لهم من دونه من وليٍّ ولا يشرك في حكمه أحداً﴾ .

نفي الحاكمية عن غير الله تعالى :

السر في أنه لا أحد يشرك الله في حكمه قد حُدِّدَ في سورة سبأ حيث يقول تعالى هناك : لو شاء أحد غير الله أن يمتلك السلطة والنفوذ في التشريع أو التكوين فيجب في هذا النظام أن يكون واجداً لإحدى الصفات الثلاثة التالية مع أن كِلا الثلاثة باطل .

وتلك الصفات الثلاثة هي :

أن يكون مالكاً لذرة من ذرات العالم بشكل مستقل ليكون في النتيجة حاكمها ووليّها ، أو بالإشتراك فيكون شريك ملك الله ومُلكه ، أو أنه لا بالإشتراك ولا بالإستقلال وإنما بالمعاونة فيكون ظَهيراً للمِلك والمُلك .

الحصر العقلي الثلاثي الأضلاع المذكور أعلاه ـ وكما قد بُيِّنَ في الكتب العقليه يرجع إلى منفصلتين حقيقيتين . إذ أنه في الحصر العقلي يجب أن يكون الشيء دائراً بين الوجود والعدم ، أي يكون دائراً بين النقيضين . وحيث أن كل شيء ليس له أكثر من نقيض واحد لذا فالمنفصلة التي تُبيِّن

الحصر العقلي لا يمكن أن يكون لها أكثر من ضلعين .

علة الحصر في المنفصلة الحقيقة هو أن المقَّدم والتالي فيها نقيضان لبعضهما ، وحيث أن إرتفاع النقيضين وإجتماعهما محال فصدق المقدم والتالي أو كذبهما معاً محال .

وتحليل ما ورد في سورة سبأ على نحو المنفصلة الحقيقية هو كما يلي :

إذا كان غير الله مالكاً فمالكيته إما بالإستقلال أو لا . وإذا لم تكن بالإستقلال فإما بالإشتراك أو لا .

الصورة الأخيرة وهي أن الملكية لا بالإستقلال ولا بالإشتراك في الحقيقة ليست مالكية وإنما نوع من السلطة والنفوذ في الملك مما يُعبَّر عنه بالمساعدة والمعاونة .

هذه الأقسام الثلاثة بُيِّنت في الآية ٢٢ من سورة سبأ بهذه الصورة :

﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله﴾ .

أدعوا أولئك الذين تزعمون من دون الله وتعتمدون عليهم . حيث سترون أنهم :

﴿لا يملكون مثقال ذرة في السمٰوات ولا في الأرض﴾ .

﴿وما لهم فيهما من شرك﴾ .

فليسوا لا يملكون ذرة بالإستقلال فحسب وإنما ليسوا مالكين أيضاً بنحو الإشتراك .

﴿وما له منهم من ظهير﴾ .

إذا كان الإنسان غير مالك لا بالإشتراك ولا بالإستقلال فيستطيع فقط أن

يكون له نفوذ في الملك بصفة ظهير ومعاون ، والحال أن الله تعالى لم يتخذ هؤلاء أيضاً ظهيراً ولا مسانداً .

مع نفي هذه الأبعاد الثلاثة يتضح أنه لا يُقْدَرُ على أي عمل من قبل أحد غير الله في أي ذرة من ذرات العالم . والسلب لمطلق الحاكمية عن غير الحق يمكن إستفادته أيضاً من آية سورة التوحيد :

﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ .

إذ أنه إذا كان الله تعالى فاقداً للكفو بقول مطلق فهو من دون كفو سواء في أصل المالكيه أو في الإشتراك فيها أو في المظاهرة . كما أنه في ذاته وفي وصفه وفي فعله أيضاً بلا مثيل . ومما قد مر يستدل على معنى آية سورة الكهف حيث يقول :

﴿ما لهم من دونه من وليٍّ ولا يشرك في حكمه أحداً﴾ .

وكذلك معنى آية سورة يوسف حيث يقول :

﴿إن الحكم إلا لله﴾ .

وبسبب نفي أي شريك تشريعي أو تكويني بالنسبة لحاكمية الله سبحانه يقول في سورة الكهف الآية ١٧ :

﴿من يهدِ الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا﴾ .

كلام الله تعالى في هذه الآية الشريفة نكرة في سياق النفي وتفيد العموم بهذا المعنى أنه إذا لم يستفد الإنسان من هداية الله فهو ضال وضائع ، سواء في المسائل التشريعية والتقنينية أو في المسائل التكوينية وتحصيل التوفيق .

وبسبب نفي مطلق الحاكمية عن غير الحق ورد أيضاً في الآية ٤١ من سورة الرعد :

﴿والله يحكم لا معقِّب لحكمه﴾ .

وورد في سورة الأنعام والآية ٥٧ حول هذا المطلب أيضاً :

﴿إن الحكم إلا لله يقُصُّ الحق﴾ .

الحكم الإلهي والحكم الجاهلي :

بعد بيان الأضلع الثلاثة في المنفصلتين والعلم بأنه لا نفوذ لأي موجود في أي ذرَّة من شؤون الإنسان لا بالإستقلال ولا بالإشتراك ولا بالمظاهرة يتضح أنه لا قدرة لأحد غير الحق على الربوبية ، ولا يستطيع أحد غيره أن يدوِّن قانوناً مستنداً إلى التكوين إذ كل شخص يستند إلى غير الحق ـ سواء إلى فكره أو إلى فكر علماء البشر ـ ففي كلتا الصورتين هو جاهل بالنسبة لما يحكمه .

المراد من الجاهل في هذه العبارة الجاهل في مقابل العاقل لا الجاهل في مقابل العالم . فإذاً لو كان الإنسان متعلماً ومطّلعاً على العلوم التجريبية وأمثالها لكنه لم يكن تابعاً للقانون الإلهي فهو جاهل . إذ أن مقتضى العقل هو أن يكون الحكم بيد من له تأثير في المِلك والمُلك .

ولهذا السبب يقسِّم القرآن الكريم الحكم إلى قسمين « إلهي » وجاهلي ويقول :

﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾[1] .

إذا أوكل شخص ما أمر إدارة الإنسان لغير الله سبحانه فقد اتَّبعَ قانون الجاهلية . إذ لا أحد غير الله يملك شأناً من شؤون الإنسان بأي نحو من الأنحاء المذكورة حتى يكون له حق التقنين.

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٥٠ .

فالعقل هو ما يعبد به الرحمن ويكتسب به جنة الرضوان ففي الحديث :

«العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان»[1] .

بناء على هذا لو قام الإنسان بعبادة الرحمن وتمسك دوماً بأحسن الأحكام المعلومة لأهل اليقين فهو عاقل ، وإذا سار في طريقٍ غير هذا فقد ابتلي بالضلالة والجهالة إذ أنه :

﴿ماذا بعد الحق إلا الضلال﴾[2] .

ولا فرق في هذه الجهالة بين الجهالة الأولية والثانوية .

والقرآن الكريم عدا عن وصفه لأولئك الذين لا يخضعون لما نزل من عند الحق بالضلالة والجهالة فهو يعتبرهم كفرة وفسقة وظلمة أيضاً . يقول في الآية ٤٤ من سورة المائدة بعد ذكر قصة التوراة والأحكام الإلهية للكتب السماوية :

﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ .

ويقول في الآية ٤٥ :

﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ .

ويقول كذلك في الآية ٤٧ :

﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ .

الملفت أنه لم يقل في أيٍّ من الآيات المذكورة : من حكم بغير ما أنزل من عند الله فهو كافر أو ظالم أو فاسق ، وإنما قال : من لم يحكم بما أنزل

---

(١) أصول الكافي ، كتاب العقل والجهل ، الحديث ٣ .
(٢) سورة يونس ، الآية ٣٢ .

الله فهو بهذه الصفات . عدم الحكم بما أنزل الله عدم الملكة ، بمعنى أنه إذا تحققت في المجتمع أرضية الحكم بما أنزل الله وقصَّر الإنسان في القيام بذلك فهذا يكفي ليصدق عليه عناوين الكفر والفسق والظلم . وفي الآية ٦٥ من سورة النساء ورد أيضاً حول شرط الإيمان ما يلي :

﴿فلا وربِّك لا يؤمنون حتى يحكِّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلِّموا تسليما﴾ .

المشاجرة بمعنى تضارب الآراء ، إذ حين تختلط الأفكار ببعضها نظير اختلاط فروع الشجر ببعضها تسمى هذه الحالة مشاجرة . وإذا صارت الأفكار مثل فروع الأشجار فيحتاج حينئذ إلى قاض وحارس للغابة ليقوم بتعديلها وتنظيمها من خلال قطع إحداها وحفظ الأخرى . وحيث أن حارس (بستاني) هذا النظام هو الله تعالى **﴿والله أنبتكم من الأرض نباتا﴾**(١) فهو القادر على إنهاء المشاجرات ، والمؤمنون هم أولئك الذين يرتضون حاكمية الله في هذه الموارد . وقبول حاكمية الله وخلافا لقبول سائر الحاكميات ليست تتم بمجرد السكوت أمام حكم الحاكم ، وإنما يجب أن تترافق مع القبول والتولي . لذا يقول في تتمة الآية حول المؤمنين إنهم أولئك الذين لا يجدون في داخلهم ضيقا بعد إصدار الحكم وإنما يخرجون من المحكمة منشرحي الصدور .

الحاكمية النبوية وإراءة الأحكام الإلهية :

في سورة النساء بعد أن يذكر التسليم أمام حكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كشرط للإيمان يقوم في الآية ١٠٥ بتبيين نحو حاكميته صلى الله عليه وآله فيقول :

---

(١) سورة نوح ، الآية ١٧ .

﴿إنما أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً﴾ .

صدر هذه الآية حول الأصول الكلية للأحكام الإلهية وذيلها في باب الأحكام الجزئية . « الباء » في كلمة « بالحق » إما باء المصاحبة أو باء الملابسة . إذا كانت باء المصاحبة فمعنى صدر الآية أن الأحكام الكلية الإلهية من حين التنزل من عند الحق إلى لحظة الوصول إلى قلب النبي مصاحبة للحق باستمرار . أي أنه لا الحق قد انفصل عنها ولا تلك الأحكام قد انفصلت عن الحق . فإذاً لا طريق للشيطان إليها في أي مرحلة من المراحل ليزيد عليها أو ينقص منها شيئاً .

وإذا كانت باء الملابسة فمعناها أن الوحي من بداية النزول إلى نهايته هو في لباس الحق . وفي هذه الصورة أيضا الوحي الإلهي قد ضُمن أمام أي نحو من الإنحراف والإعوجاج . وحيث أنه لا يمكن إدارة المجتمع بالأصول العامة للوحي يقول القرآن الكريم حول شرح وتبيين تلك الأصول الكلية وحول الخطوط الجزئية التي هي محل حاجة حين العمل :

﴿لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾ .

أي أن الشرح والتبيين الذي بينه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في مقام إجراء الأحكام الكلية الإلهية ، أو تلك السنة التي عمل بها(ص) ليست أموراً قد توصَّل إليها برأيه أو برأي المجتمع ، وإنما بإرائة من الله . أي أنه كما قد أرى الله إبراهيم عليه السلام مناسك الحج بناء لطلبه ﴿أرنا مناسكنا﴾[1] فكذلك قد أرى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله جزئيات القوانين الإلهية وقال ﴿لتَحكم بين الناس بما أراك الله﴾ وهي نفس الحقيقة التي تشير إليهاَ الآية الكريمة ﴿وما ينطق عن

(١) سورة البقرة ، الآية ١٢٨ .

الهوى﴾[1] إذ أن النطق هنا ليس في مقابل الكتابة أو العمل ، وإنما هو كناية عن السيرة النبوية الشاملة لقيام النبي (ص) وقعوده وكلامه وسكوته أيضاً .

« النطق » في هذه الآية نظير « اللفظ » في الآية الكريمة **﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾**[2] إذ أن ما قاله تعالى من أنه لا يصدر لفظ من إنسان إلا ويوجد ملك مراقب له ومستعد لضبطه ليس بمعنى أن ذلك الملك أو الملك الآخر الذي على يمينه أو شماله والمستعدين لمراقبته إنما يكتفون بمجرد تسجيل الألفاظ ويغفلون عن مطلق التصرفات ، وإنما بمعنى أن أي تصرف يصدر عنه يسجل ويضبط بواسطة أحد ذينك الملكين الرقيبين الجاهزين الجالسين عن اليمين وعن الشمال . إذ أن الآية السابقة تبين حول عدد الملائكة مايلي :

﴿إذ يتلقى المتلقيّان عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾[3] .

ويوجد توسعة نظير هذه التوسعة في المعنى في الآية الشريفة **﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾**[4] .

إذ أنه ليس معنى هذه الآية أيضا أن أكل مال الناس فقط هو أكل للمال بالباطل ، وإنما أن كل تصرف في مال الغير ولو من قبيل إرتداء اللباس المغصوب وأمثال ذلك كله من مصاديق أكل مال الناس بالباطل .

يتضح جيداً مما قد سلف أن حاكمية النبي (ص) لم تكن في عرض أو في طول حاكمية الله تعالى ، وإنما هي في الحقيقة إراءة لحاكمية الله . وهذا التوحيد في الحاكمية يمكن استفادته أيضا من الآية ٥٩ من سورة النساء :

---

(١) سورة النجم ، الآية ٣ .
(٢) سورة ق ، الآية ١٨ .
(٣) سورة ق ، الآية ١٧ .
(٤) سورة البقرة ، الآية ١٨٨ .

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ .

في بداية الآية ذكر ثلاثة مراجع : الله ورسوله وأولي الأمر . ثم يقول بعد ذلك إذا اختلفتم فارجعوا إلى الله ورسوله فكان الكلام عن مرجعين ، إذ أنه لو حصل اختلاف في أولي الأمر فليس مرجع حلِّ الإختلاف نفس أولي الأمر وإنما الله ورسوله . وفي خاتمة الآية يقول : امتثلوا هذه الأمور إذا كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . فالكلام عن التوحيد إذاً يُعلم منه أن الله محور الاعتقاد والطاعة . فلو ضم النبي والأئمة عليهم السلام أيضاً فليست إطاعتهم في عرض أو طول إطاعة الله سبحانه ، وإنما هي مظهر لإطاعة الله كما أن حكمهم أيضاً مظهر لحكم الله .

والحمد لله رب العالمين

الدرس السابع عشر

البرهان السادس

لقد مر سابقاً أنه حيث أن بحث الولاية بمعنى الإدارة والتدبير بحث معنوي لا لفظي لذا يمكن للآيات الدالة على حاكمية الحق وتدبيره أن تكون مستنداً له . وبما أن الولي سواء في التشريع أو التكوين هو مربي المولىّ عليه فالوارد حول ربوبية الحق وتدبيره يمكن أن يستفاد منه في بحث الولاية أيضاً .

نبين الآن ثلاثة براهين على ربوبية الله سبحانه بالإستناد إلى آيات القرآن الكريم . وهذه البراهين الثلاثة وإن كانت متحدة في النتيجة لكنها تفترق في الحد الأوسط لكل منها .

فالحد الأوسط للبرهان الأول الذي هو محل بحثنا هو خالقية الله سبحانه . إذ أن التربية (الربوبية) ترجع إلى الخالقية بدليلين :

الدليل الأول : هو أن الربوبية عين الخالقية إذ أن التنشئة (التربية) هي بمعنى إيجاد العلة بين المستعدّ والمستعدّ له وإقامة رابطة بين القابل والمقبول . وبعبارة أخرى إعطاء الكمال للمستكمل . وعلى هذا الأساس

فحقيقة التربية والربوبية ليست شيئاً آخر سوى الإيجاد والخلقة .

الدليل الثاني : هو أن التربية ملازمة للخلقة ، إذ أن الشخص يستطيع تربية الشيء الذي يكون قد خلقه . وتوضيح هذا المطلب أن الخالق مطّلع على الخصوصيات الداخلية وعلى الأهداف الخارجية ، وكذلك على خصائص الطريق الذي يوصل المخلوق إلى الهدف .

وعلى أساس هذين الإستدلالين يقول القرآن الكريم في مواجهته مع المشركين :

﴿ألا له الخلق والأمر﴾[1] .

فأولئك الذين قبلوا بخالقية الله يجب أن يقبلوا ربوبيته أيضاً ، إذ أن تقديم « له » في هذه الآية الكريمة فيه إفادة للحصر . و« الأمر » في هذه الآية إما بمعنى التسلط والتدبير أو بما يشبه ما في خاتمة سورة يٰس من قوله :

﴿انما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ .

فيكون ناظراً إلى الجنبة الملكوتية للأشياء . وعلى أية حال يكون مفاد الآية تخصيص الخلقة بالله وكذلك حصر الأمر به عزوجل .

وفي الآية ١٠٢ من سورة الأنعام ذكرت ربوبية الله وخالقيته إلى جانب بعضهما أيضاً ، وعدا عن ذلك فقد استنتج لزوم عبودية الله وإطاعته من خلال تشكيل قياس بعض مقدماته مطوية . يقول تعالى :

﴿ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه﴾ .

في القسم الأول من الآية حيث يقول الله خالقكم وربكم فهذه صغرى القياس ، وكبراه المطوية هي أن الرب يجب أن يعبد ، والنتيجة المتفرعة

---

(١) سورة الاعراف ، الآية ٥٤ .

على هذا القياس هي لزوم عبادة الله حيث يقول : « فاعبدوه » .

هذا القياس الذي بعض مقدماته مطوية قد بُيِّن في بعض الآيات الأخرى بشكل آخر . من جملة ذلك ما ورد في الآية ٥١ من سورة آل عمران من قوله تعالى :

﴿إن الله ربي وربكم فاعبدوه﴾ .

صغرى القياس هي أن الله ربي وربكم ، وكبراه المطوية هي لزوم عبادة الرَّب ، والنتيجة المتفرعة على ذلك هي وجوب عبودية الحق .

البرهان السابع :

وهذا البرهان أيضاً مثل البرهان السابق على ربوبية الله تبارك وتعالى . لقد كان الحد الأوسط للبرهان السابق خالقية الله سبحانه ، أما الحد الأوسط لهذا البرهان فهو أن المقنِّن والمشرِّع يجب أن يكون مطَّلعا عن غيب وجود الإنسان ، إذ أن وظيفة المقنِّن هي أن يكون مطَّلعاً عن منطقة امتثال أو عصيان القانون الذي يبرزه . وعمدة القوانين التي تتكفل تربية الإنسان ناظرة إلى غيب وجوده ، إذ أن الإنسان من جهة مركب من جسم مادي وروح مجرد ، ومن جهة أخرى فالقسم الأعظم من أعماله مرتبط بالعقائد والأخلاق والفضائل النفسانية والأمور الروحانية .

يقول القرآن الكريم في الآية ٢٨٤ من سورة البقرة حول هذا البرهان :

﴿لله ما في السماوات وما في الأرض وإن تبدوا ما في انفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذِّب من يشاء والله على كل شيء قدير﴾ ما قاله في الآية أولا من أن ما في السموات والأرض هو من الله ثم قال ما تخفوه في أنفسكم أو تبدوه معلوم له ومورد لمحاسبته عزَّ وجل ناظر بحسب الظاهر إلى تشبيه الروح والبدن بالسماء والأرض ، إذ أنه كما أن السماء تفيض النور

والحرارة على الأرض فكذلك ينزل الخير والبركة من روح المؤمن إلى بدنه .

إذا كان الله وحده هو المطَّلع على سر الإنسان وعَلَنه فهو وحده القادر على محاسبته ومطالبته . وإذا كان هو الوحيد القادر علَى محاسبة الإنسان فهو الوحيد الذي سيكون قادراً على وضع القوانين لتربيته . بناء على هذا فلن تكون الولاية التشريعية لأحد غير الله ، إذ أنه في بُعْدِ التكوين أيضاً هو وحده المثيب والمعاقب .

﴿فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير﴾ .

وفي الآية ٢٣٥ من سورة البقرة جرت الإشارة إلى برهان حده الأوسط اطلاع الحق تعالى على الأسرار الداخلية للإنسان . إذ قال تعالى :

﴿واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه﴾ .

البرهان الثامن :

واختلاف هذا البرهان مع البرهانين السابقين هو في حده الأوسط . فالحد الأوسط لهذا البرهان معاد الإنسان . وتوضيح ذلك أنه حيث أن حياة الإنسان الخالدة تبدأ بالموت فالإنسان ليس بلا هدف ، وحيث أن لديه هدف فمن المتيقن به أنه يوجد طريق لنيل ذلك الهدف . والطريق الذي يوصل الإنسان للهدف هو نفس الدين الذي يعبر عنه بالصراط المستقيم . إذ أن الدين عبارة عن مجموعة قوانين منسجمة مع ذلك الهدف . والوحيد الذي يستطيع أن يكون جاعلا لهذا الدين هو الذي يكون مطَّلعا على ذلك الهدف الذي هو نفس معاد الإنسان ، والله وحده المطَّلع عن المعاد .

ويوجد براهين عقلية ونقلية كثيرة حول أن الله هو وحده المطَّلع على نهاية الإنسان بل ذلك واضح وبيِّن إلى درجة لا حاجة لذكره .

وجهل الآخرين بالنسبة لمعاد الإنسان ومرجعه قد أوجب أن يقول الله حول رسوله الذي هو رسول لجميع البشر ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾[1] أوجب أن يقول تعالى في حقه في الآية ١٥١ من سورة البقرة :

﴿كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكّيكم ويعلّمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ .

أي لقد أرسلنا رسولاً ليعلمكم أيها الناس الأمور التي لم يكن بمقدوركم تعلمها أبدا . إذ أن العلوم البشرية مهما ترقت فهي في حدود عالم الطبيعة ، أما العلم بالمعاد والعلم بحقائق الأشياء كما ستظهر في البرزخ والقيامة فهو علم لا يقدر أي علم من العلوم الإنسانية والمعارف التجريبية أن يحصّله . والطريق الوحيد لمعرفة هذه العلوم هو شهود الغيب الذي يحصل بالوحي والإلهام الإلهي .

وكمثال على ذلك كيف يستطيع الإنسان مع تقدم العلم البشري أن يتمثل حرمة الغيبة كما يبينهاالقرآن الكريم بصورة أكل للميتة حيث يقول :

﴿لا يغتب بعضكم بعضاً أيحبُّ أحدُكم أن يأكلَ لحم أخيه ميتاً﴾[2] .

إدراك آثار أكل الميتة في الإنسان المرتكب للغيبة لا علاقة له بالعلوم البشرية على الإطلاق لكي يحصّل مع تقدم العلوم .

وإنما يحصل العلم بهذا المطلب بشهود مسائل البرزخ ومواقف القيامة وحسب . من هنا لا يستطيع الإنسان أن يدرك الأمور من عنده بشكل يعطي فيه نظراً في حليتها وحرمتها . ولذا يقول الله تعالى :

---

(١)سورة سبأ ، الآية ٢٨ .
(٢)سورة الحجرات ، الآية ١٢ .

﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا﴾[1] .

أي أنه لو اتُخِذَ رسولٌ من بين أفراد المجتمع فجميع النوابغ والحكماء أميّون وجهلاء بالنسبة لما يكون النبي مأموراً بإبلاغه ، بل اطلاق هذا الكلام لا ينحصر بالمجتمعات الإنسانية فحتى الملائكة أيضاً مع غض النظر عن تعليم الإنسان الكامل المطَّلع على العلوم الإلهية جهلة وغير مطلعين إذ أن الله تعالى يقول :

﴿يا آدم أنبئهم بأسمائهم﴾[2] .

وقال أيضاً :

﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾[3] .

بناء على هذا لا أحد يقدر على تربية وتدبير إنسان سوى الله وذلك الشخص المطَّلع على العلوم الالهية ، إذ لا أحد غيره مطَّلع على أسرار الإنسان ونهايته . وحيث أنه هو وحده مدبِّر الإنسان فهو وحده أيضاً المعبود القابل للعبادة إذ أن عيسى سلام الله عليه قال :

﴿إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾[4] .

والبرهان الأخير وسائر البراهين التي تدل على ربوبية الله ولياقته لبيان البرنامج لتدبير وتربية الإنسان واضحة وبيِّنة لذوي العقول بشكل لا تُبقى موضعا للتردد في أنَّ الله وحده هو الهادي إلى الصراط المستقيم :

﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى

---

(١) سورة الجمعة ، الآية ٢ .
(٢) سورة البقرة ، الآية ٣٣ .
(٣) سورة البقرة ، الآية ٣١ .
(٤) سورة آل عمران الآية ٥١ .

صراط العزيز الحميد﴾[1] .

ذوي العقول (أولو العلم) يعلمون أن الذي أنزل على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حق قد نزل عليه ، بشكل أن ما سواه ليس إلا ضلالة وضياع .

ويوجد تعبيرات أخرى أيضاً تفيد هذا المعنى بشكل جيد . منها :

﴿قل إن الهدى هدى الله﴾[2] .

أو هذه الآية الشريفة :

﴿إن هدى الله هو الهدى﴾[3] .

وحيث أن الهداية منحصرة بالهداية الإلهية فلا شيء بعد هدايته إلا الضلال .

﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾[4] .

لذا فلو عدَّ الإنسان شيئاً ما حلالا أو حراماً من دون استناد الى الوحي يعبر عنه القرآن الكريم بأنّه مفترٍ ، ويقول :

﴿قل ءآلله أذن لكم أم على الله تفترون﴾[5] .

ويقول أيضاً :

﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا

---

(١) سورة سبأ ، الآية ٦ .
(٢) سورة آل عمران ، الآية ٧٣ .
(٣) سورة البقرة ، الآية ١٢٠ .
(٤) سورة يونس ، الآية ٣٢ .
(٥) سورة يونس ، الآية ٥٩ .

على الله الكذب﴾[1] .

هذا الافتراء الذي نسبه المشركون لله عزَّ وجل لم يكن لأنهم قد كانوا متنبئين ومدعين للنبوة ، وإنما بسبب أنهم قد رأوا استناد العمل المختص بالله إلى غيره .

ونسبة الإفتراء للوثنيين تشابه نسبة الشرك لهم إذ أنهم لم يكونوا يقولون بوجود شريك لله في العبودية ، ولم يكونوا يأتون بمقدار من عباداتهم لغير الله . فهؤلاء في عباداتهم لم يكونوا مثل أولئك الذين يقومون ببعض عباداتهم لله وببعض آخر منها لغير الله . ولا مثل أولئك الذين يقومون بأعمالهم غير خالصة أو رياء . وإنما هؤلاء كانوا يقومون بجميع أعمالهم خالصة للأصنام ، والسرُّ في أنَّ الله دعاهم مشركين هو أنهم نسبوا العبادة التي هي لله بالذات والأصالة نسبوها إلى شيء آخر حسبوه مستحقاً بالأصالة ، وذلك الشي هو الوثن وفرضوه في عرض واحد مع الله .

وفي مسألة الإفتراء الأمر أيضا بهذا النحو ، فهؤلاء لم ينسبوا إلى الله أيَّ حكم كذباً على أساس أنهم متنبئين أبداً ، وإنما بالرغم من اعتقادهم بخالقية الله والاعتقاد بولايته وإدارته التكوينية وأنَّ جعل القوانين متعلق به فقط فقد نسبوا ذلك إلى غيره بعذر أنه لا طريق للوصول إليه .

أما في منطق القرآن فوضع القانون إنما هو بيد الله فقط . لذا لو أراد أحد أن يقوم بتلبية الإحتياجات الإنسانية بواسطة علمه البشري فقد افترى على الله ، أي أنه قد سلب عنه العمل المختص به ونسبه إلى غيره .

يقول القرآن الكريم في الآية ٩ من سورة فصلت :

﴿قل ءإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا

---

(١) سورة النحل ، الآية ١١٦ .

ذلك رب العالمين﴾ .

جعل الوثنيون الأصنام أنداداً لله لم يكن لأنهم تارة كانوا يطيعون الأصنام وتارة كانوا يطيعون الله ، إذ أنهم لم يكونوا يعبدون شيئا آخر غير الصنم ، ولم يكونوا يتّبعون أي قانون غير القوانين المتعلقة بآلهتهم وأرباب الأنواع الجزئية المنتسبة لهم ، وإنما اتخاذهم الأنداد والأمثال لله كان بسبب أنهم نسبوا العمل المختص بالله إلى غيره . وهذا في الواقع بمعنى جعل المثيل لله الذي « ليس كمثله شيء » ولذا فالمشركين يوم القيامة يقولون حين الاعتراف :

﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين☆ إذ نسوِّيكم برب العالمين﴾[1] .

اي كنا في ضلال مبين إذ سوَّيناكم برب العالمين وانتظرنا منكم ما هو مختص به .

طبعا ينبغي الإلتفات إلى أن عبدة الأصنام في البدء كانوا يعظِّمون ويكرمون هذه الأجساد التي لا روح لها كتكريم للآلهة وأرباب الأنواع الجزئية ، لكن فيما بعد جعلها الوثنيون الجاهلون محل احترام بشكل مستقل .

هنا ينتهي بيان بعض الأدلة التي تنفي الولاية بمعنى الإدارة في التكوين أو في التشريع عن غير الله وتحصرها فيه تعالى ، وذلك إما بشكل مباشر أو عن طريق الآيات المتعلقة بالحكومة أو الربوبية أو الهداية .

والحمد لله رب العالمين

---

(١) سورة الشعراء ، الآيات ٩٧ و ٩٨ .

الدرس الثامن عشر

الولاية العامة والولاية الخاصة

بعد بيان أنَّ أي نحو من الولاية سواء التشريعية أو التكوينية منحصر بالله تعالى فكما قد مر سَابقاً يجب أن يُعلم أنَّ هناك فرقاً ما بين الولاية التشريعية والولاية التكوينية .

الولاية التشريعية لله بالنسبة للمؤمن والكافر على حدٍّ واحد ، أي ليس هناك فرد عاقل وبالغ يكون خارجاً من تحت الولاية التشريعية لله . إذ أن الكفار والمنافقين مكلفون بالإعتقاد بالنسبة للأصول وبالإنقياد بالنسبة للفروع كمثل أهل الإيمان .

وأما ولاية الله التكوينية فهي نوعان : ولاية عامة وولاية خاصة .

الولاية العامة مثل الولاية التشريعية فهي ولاية لها شمول بالنسبة للمؤمنين والكافرين على حد واحد .

وأما الولاية الخاصة فمختصة بالمؤمنين إذ أنها عبارة عن التوفيق لسلوك الطريق الذي بُيِّن بواسطة الولاية التشريعية .

والميل والحب لإتيان التكاليف الشرعية أمر وجودي ينشأ من سببه الخاص . بناء على هذا فالأشخاص الذين يكونون محرومين من الإرتباط بذلك السبب لن يحصلوا على التوفيق لذلك أبداً . وقد جرى الحديث في بعض الآيات عن هذه المحرومية . إذ يقول تعالى في القرآن الكريم :

﴿أولئك الذين لم يُرِدِ الله أن يطهر قلوبهم﴾[1] .

من المسلم به أنه ليس المراد من ذلك الإرادة التشريعية إذ أن الجميع مكلّفون شرعاً بالطهارة فالمراد إذن هي الإرادة التكوينية . إذ أن الله تعالى يقول :

﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾[2] .

أي حين تجعل الآيات التدوينية والتكوينية مراراً في معرض رؤيتهم وهم يمرون بها بلا إهتمام ومع الغفله والتكبر ويكفرون بها .

﴿وكأين من آية في السمٰوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾[3] .

سنسلبهم توفيق التدبر في الآيات بشكل لا يدركون فيه بعد لذة المطالعة وحلاوة التأمل في أسرار العالم . وهذا مع أنهم مشمولين للولاية التشريعية وفي النتيجة مكلفين بالتكاليف الإلهية أيضاً .

هذه الآية الكريمة **﴿فالله هو الولي﴾**[4] تتكلم عن ولاية إلهية عامة ومطلقة . أما حين يتكلم عن الولاية الإلهية على المؤمنين والمتقين في مقابل

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٤١ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ١٤٦ .

(٣) سورة يوسف ، الآية ١٠٥ .

(٤) سورة الشورى ، الآية ٩ .

ولاية الطاغوت أو ولاية الشيطان ونحوها على الكفار فيكون النظر إلى الولاية الخاصة مثلما ورد في آية الكرسي :

﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾(1) .

أو مثل ما ورد في الآية ١٩ من سورة الجاثية :

﴿إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ .

ومن الآيات الأخرى التي فيها إشارة إلى الولاية الخاصة الآية ٦٣ من سورة النحل :

﴿تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزيَّن لهم الشيطان أعمالهم فهو وليُّهم اليوم ولهم عذاب أليم﴾ .

أي أنه بعد أن أرسل الأنبياء للأمم ودعوهم إلى الله بالولاية التشريعية قام الشيطان بتزيين الدنيا لهم من طريق التصرف في أفكارهم ، وهم قد أخذوا الدنيا على أنها زينة وبذلك فالشيطان وليُّهم ولهم عذاب أليم .

ودلالة هذه الآية الخاصة الإلهية من ناحية أن ولاية الشيطان في مقابل الولاية الخاصة تتعلق بالأشخاص الذين يخرجون من سلك أهل الإيمان الذين هم تحت ولاية الله الخاصة . ويقول تعالى في هذا المجال في الآية ٢٧ من سورة الأعراف :

﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٥٧ .

طبعاً وكما قد مر فإن جعل الشيطان وليّاً بالنسبة لغير المؤمنين إنما يكون بعد أن يتمَّ الله تعالى الحجة عليهم بالعقل والوحي .

في الآيات ١٤ و ١٥ من سورة الحديد عندما يتكلم عن ولاية النار على الكفار يقول : إنهم قوم بالرغم من كونهم أصحاب (جلساء) المؤمنين فقد رموا أنفسهم في الفتنة والهلاك وتورطو بالأماني والأوهام الدنيوية .

﴿ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور☆ فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير﴾ .

ظاهر هذه الآية يدل على أن نار القيامة ليست كنار الدنيا جسماً غير مدرِك ، وإنما هي نار لها ولاية على الكفار على أساس الإدراك .

وبعض آخر من الآيات له ظهور في هذه الحقيقة . من جملتها الآية ١٢ من سورة الفرقان :

﴿إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيرا﴾ .

كان لظواهر آيات القرآن دلالة على أن نار جهنم ليست كمثل نار الدنيا التي هي متساوية بالنسبة للصالح والطالح ، وإنما هي نار ترى وتشخص وعندها تقوم بجذب الكفار مع الإرادة وتجعلهم تحت ولايتها ، فلا دليل لرفع اليد عن هذه الظواهر وحملها على المجاز .

الولاية الخاصة الإلهية تارة تنسب إلى الله تعالى من دون واسطة كمثل ما في آيات من هذا القبيل :

﴿الله ولي الذين آمنوا﴾ .

﴿والله ولي المتقين﴾ .

وتارة مع الواسطة كمثل ما في الآية التاليه :

﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم إستقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا﴾[1] .

إذ أن المؤمنين الثابتين والمستقيمين ينالون فيضاً خاصاً من الله بواسطة الملائكة .

نفي التفويض في الولاية :

مما قد مر في باب نفي الولاية عن غير الله يعلم أنه في الموارد التي تنسب فيه الولاية التشريعية أو العامة أو الخاصة إلى الوسائط كمثل ما يقوله تعالى :

﴿إنما وليُكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[2] .

أو كمثل نسبة الولاية إلى النار أو الشيطان أو الطاغوت ففي جميع هذه الموارد والمراد هو بيان مظاهر الولاية الإلهية . غايته أن بعض هذه المظاهر هي مظهر للأسماء الجمالية للحق كما حين تكون الولاية مظهراً للعطف والهداية ، وبعضها الآخر مظهر للأسماء الجلالية لله عزّوجلّ كما حين تكون الولاية مظهراً لقهر الله وغضبه.

وبهذا النحو يعلم أنه لا تثبت الولاية لغير الله على نحو التفويض في أي مورد من موارد التشريع أو التكوين .

ولقد بيّنا سابقاً برهانين عقليين على إستحالة التفويض : البرهان الأول كان البرهان الذي حدُّه الأوسط الفقر الذاتي للمكنات ، إذ أنه لو قام موجود

---

(١)سورة فصلت ، الآية ٣٠ .

(٢)سورة المائدة، الآية ٥٥ .

ما إنسان أو غيره ـ بعمل بشكل مستقل يلزم منه أن يكون ذلك الموجود حين إتيان ذلك العمل قائماً بالذات ، مع أن الممكنات تكون بحاجة للغير باستمرار سواء في الحدوث أو البقاء .

والبرهان الثاني كان البرهان الذي حدُّه الأوسط لامحدودية الله عزوجل لأنه إذا كان الله غير محدود لا تكون ربوبيته وفي النتيجة ولايته أيضاً قابلة للتحديد والتقطيع مع أن التفويض مرادف لتقطيع وتحديد ولاية المفوِّض .

وهـذان البـرهـانـان العقليـان وبسبـب كـونهمـا عقليين غيـر قـابليـن للتخصيص . بناء على هذا ما نقل من التفويض في بعض روايات كتاب الكافي ليس تفويضاً بالمعنى المصطلح ، وإنما هو في الواقع نفس المظهرية أو أنه نوع من التوكيل .

الفرق بين الوكالة والولاية هو أنه في عنوان الولاية الأصل هو الولي والمولىَّ عليه يدار في شؤون ولاية الولي ، أما في عنوان الوكالة الوكيل ليس أصلاً وإنما موكَّلاً . والأعمال التي لا يريد الموكِّل القيام بها بشكل مباشر يقوم بها بواسطة الوكيل .

طبعاً في بعض مقامات الكمال التي هي بإسم التوكل قد نسب التوكل إلى غير الله بشكل يجعل فيه الله وكيلاً وغيره يصير موكَّلاً ، لكن وكما قد بُيِّن في محله ففي هذه الموارد يرجع الوكيل إلى الولاية أيضاً إذ أن العبد بالنسبة إلى الله له تولّ أي قابلية الولاية ، لا أنه عنده توكيل .

والله تعالى في بعض التعابير القرآنية يعبِّر عن أوليائه بالوكلاء أيضاً .

يقول تعالى في سورة الأنعام الآية ٨٩ :

﴿فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكَّلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين﴾ .

أيْ إن كَفَرَ المفسدون بآيات الله فالله تعالى سيرسل أنبياء وأولياء ممن

هم وكلاء في الدين . بناء على هذا فالتوكيل في الدين وإن كان ممكناً إلا أن التفويض بمعناه الإصطلاحي ممتنع .

أما الولاية التي قد نُسبت للأنبياء في التشريع فهي تكون في بعض الموارد في تبيين الآيات الإلهية ، وفي بعضها الآخر في توليٍّ الأحكام أمام التحريفات أو المخالفات التي تتم من قبل المحرفين أو المخالفين . فتولي الأنبياء يرجع إلى المعنى الذي يؤدي إلى إجراء الأحكام أو الدفاع عن الأحكام في مقابل المتجاوزين للحدود الإلهية .

وما يكون في عهدة النبي في تبيين الأمور الإلهية قسمان : إما البيان المباشر للآيات الإلهية التي نزلت عليه بشكل كتاب إلهي . أو توضيح وتفسير الكلمات النازلة في القرآن .

وقد ورد في الآية ٤٤ من سورة النحل في هذا المورد :

﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾ .

حق التفسير والتبين هذا الذي قد أعطى للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ليس بمعنى التفويض أيضاً على الإطلاق ، إذ أن ما يقوله (ص) في هذا المجال إنما هو بالهام إلهي يظهر بشكل حديث قدسي .

وكمثال على ذلك عندما يقوم النبي صلى الله عليه وآله ببيان حدِّ القطع أو موارد تعلق الزكاة وذلك في تبيين آية :

﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾[1] .

أو في تفسير آية :

﴿آتوا الزكاة﴾ .

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٣٨ .

فليس صحيحاً أبداً أنه يكون أصل القطع أو أصل الزكاة مبيَّناً من الله أما مقدار قطع اليد أو عدد متعلقات الزكاة فيبيِّنها النبي ـ معاذ الله ـ بحسب نظره . فما يبينه النبي (ص) في مقام تبيين الآية يكون مشمولاً لهذه الآية الشريفة أنه :

﴿وما ينطق عن الهوى ☆ إن هو إلا وحي يوحى﴾[1] .

بناء على هذا فما تلقَّاه النبي (ص) في المعراج بعنوان « فرض الله » أو « فرض النبي » لم يكن بمعنى أنه قد زاد من نفسه شيئاً على الصلاة أبداً ، وإنما بمعنى أنه قد بيَّن هاتين الركعتين الأخيرتين أيضاً بالإستمداد من الإلهام الإلهي ، ولهذا السبب فتبيين النبي مستند إلى الله . يقول تعالى في الآية ٧ من سورة الحشر :

﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ .

بيان الآية ناظر لمسائل التشريع لا لمسائل النظرة العالميه للقرآن مثلاً ، إذ أن معنى الآية وكذلك ظاهر القسم الأول منها أي حيث يقول **﴿ما آتاكم الرسول فخذوه﴾** هو أن امتثلوا أوامر النبي ونواهيه . هذه الآية وعدا عن كونها تثبت حق التبيين والتفسير للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله فكذلك تثبت له حق بيان وتعليم الأحكام والحدود وكذلك حق الإدارة وإجراء الأحكام والذي آية **﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾**[2] ناظرة إليه . إذ أنه يُعْلَمُ من قول الله تعالى : أطيعوا أوامر ونواهي النبي أن النبي عدا عن كونه مفسراً ومبيِّناً للأحكام والحدود فهو كذلك يكون مسؤولاً ووالياً لإجرائها أيضاً ، وإلا فلو كان النبي مجرد معلِّم ومفسِّر للقرآن لما أمر ونهى

---

(١) سورة النجم ، الآيات ٣ و ٤ .

(٢) سورة النساء الآية ٥٩ .

أبدا وإنما علَّم الأوامر والنواهي فقط . وعدا عن البراهين العقلية والنقلية الموجودة في نفي التفويض المصطلح فإنه يوجد شواهد في نفس الروايات التي يجري الحديث فيها عن تفويض الولاية للأنبياء تدل على أن المراد من التفويض في هذه الروايات غير التفويض المصطلح الذي يكون مصاحباً للإستقلال . إذ أنه قد ورد في نوع هذه الروايات التي وردت في أصول الكافي، كتاب الحجة باب التفويض إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى الأئمة عليهم السلام في أمر الدين عن الإمام الصادق وعن باقي الأئمة عليهم السلام عبارات من هذا القبيل :

« إن الله عزوجل أدب نبيه فأحسن أدبه فلما أكمل له الأدب قال :

﴿إنك لعلى خلق عظيم﴾ ثم فوض إليه أمر الدين والأمة ليسوس عباده فقال عزوجل : **﴿ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾** وإن رسول الله كان مسدَّداً موفَّقاً مؤيداً بروح القدس لا يزلُّ ولا يخطىء في شيء مما يسوس به الخلق فتأدَّب بآداب الله » .

وكما يلاحظ فقد أُكِّد في عبارات هذه الروايات بأنَّ الله تعالى قد تولَّى في البداية تأديب النبي إلى أن تأدَّب ذلك العظيم (ص) بالآداب الإلهية وتخلَّق بالخُلُق العظيم ، عندها فوض إليه أمر الدين ليؤدب العباد بالسياسة الإلهية . ثم قال للعباد أيضاً : **﴿ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾** .

فالتفويض إذن في هذه الروايات على أساس التأديب ، وهذا غير التفويض المصطلح إذ أن التفويض المصطلح إيكال العمل بالإستقلال في تفسير القانون أو في إجرائه أو الإستقلال في تعيين وإجراء القرارات المتفرعة على القوانين والتي تكون غير ثابته . إذ أنه في الإصطلاح يسمون الأصول

العامة بالقوانين والفروع الجزئية المتفرعة على القوانين والتي هي قابلة للتحول والتغير بالقرارات .

والحمد لله رب العالمين .

الدرس التاسع عشر

إثبات الولاية التكوينية لغير الأنبياء من أولياء الله

بعد البحث عن أنواع الولاية وبيان إنحصار الولاية الإلهية وتجليها في المظاهر والمرايا ، وبعد تبين كيفية ولاية الأنبياء عليهم السلام ونفي تفويض الولاية لهم الآن نتوجه لطرح هذا السؤال أنه هل الولاية ثابتة لغير الأنبياء أيضاً أم لا ؟

ظاهر القرآن أن الولاية التشريعية بمعنى رسالة القانون وإبلاغه مختصة بالأنبياء لكن دائرة الولاية التكوينية كانت أوسع من الولاية التشريعية وشاملة لجميع الأشخاص الذين يمتلكون قدرة على التأثير في النظام الخارجي .

أصل الولاية التكوينية كما قد اتضح في خلال الأبحاث السابقة ثابتة للجميع إذ أن كل إنسان إنما يعيش بالولاية التكوينية .

فتحريك الإنسان بدنه أي وقت شاء وتمديده في الفراش حينما يرغب ، ومن ثم تخفيف علاقته به إلى درجة حياة الأعشاب أو إلى درجة أضعف من حياة الحيوان ، ومن ثم سفره إلى عالم الرؤيا وإتيانه بحكايات

من ذلك العالم أيضاً بحسب درجة الصلاح التي هو فيها ، فتارة بصورة رؤيا حسنة وأخرى بشكل أضغاث أحلام أو سائر التصرفات اليومية التي يقوم بها كلُّ فرد في بدنه هذه كلها نتيجة للولاية التكوينية للروح . إذ أنه وإن كانت تصرفاتنا العادية في الأمور الخارجية بواسطة الأجزاء والأعضاء البدنية ، لكن هذه التصرفات في أعضاء البدن تكون بواسطة الفكر والإرادة اللذين هما من شؤون العقل العملي والفطري .

أنسنا بهذا الحد من الولاية التكوينية كمثل أنس السمك بالماء ، لذا فكما أن الماء غافل عن الماء فنحن كذلك نكون غافلين عن الولاية التكوينية للروح بالنسبة للبدن .

وأرقى من هذا الحد من الولاية التصرفات التي تقوم بها الروح في خارج البدن .

القرآن الكريم قد طرح نماذج من هذه الولاية للأنبياء وغير الأنبياء وبين سرَّها أيضاً .

النموذج الأول : السيدة مريم سلام الله عليها :

أحد النماذج التي يبينها القرآن السيدة مريم سلام الله عليها :

﴿إذ قالت إمرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم☆ فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها وذريَّتها من الشيطان الرجيم ☆ فتقبلها ربُّها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفَّلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنَّى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾[1] .

---

(١) سورة آل عمران الآيات ٣٥ إلى ٣٧ .

بعد أن صار زكريا كفيلاً لمريم عليهما السلام من قبل الله وبعد أن بلغت (ع) الرشد تحت كفالته كلما دخل عليها زكريا شاهد عندها طعاماً من غير الموسم مما استوجب أن يسألها أنىّ لك هذا ؟ . فقالت مريم سلام الله عليها مجيبة : هو من عند الله.

وهذا الجواب كان لزكريا (ع) بشكل يجعله يصدقه دون توقف ودون أن يكون في حاجة للتحقيق حوله .

وفي آخر الآية تقول : ﴿**إن الله يرزق من يشاء بغير حساب**﴾.

وهـذه الجملـة ليسـت بمعنـى أن عطـاء الله لا حسـاب لـه ، وذلـك لأن « الحسيب » من أسماء الله ، كما أنه يقول تعالى في القرآن :

﴿**وكل شيء عنده بمقدار**﴾[1] .

ويقول أيضاً :

﴿**إنا كل شيء خلقناه بقدر**﴾[2] .

وإنمـا المـراد مـن هـذه الجملـة أن كيفيـة أو كميـة عطـاء الله كثيـر لا يحسب . أي أن الله تعالى يرزق بشكل لا يُعَدُّ ولا يُحسَبْ ، أو أن كيفية رزق الله بشكل لا يمكن لآخر أن يفهمه بواسطة الحساب . وعلى أية حال فهذا بنفسه نحو من الولاية ، بأن يصل إنسان ليس بنبي إلى أن يعطيه الله سبحانه رزقاً كريماً بشكل لا يستطيع الآخرون فهمه .

هذا المقام الشامخ من الولاية الذي قد ظهر في مريم سلام الله عليها صار سبباً لدعاء زكريا لنيل ولد صالح كيحيى عليه السلام . إذ أن زكريا بعد أن شاهد فضيلة مريم أحب أن يعطيه الله إبناً بهذا الشكل .

---

(١) سورة الرعد الآية ٨ .

(٢) سورة القمر ، الآية ٤٩ .

﴿هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء﴾[1] .

ولذا أعطى الله سبحانه يحيى لزكريا عليهما السلام ليتمتع هو أيضاً من الرزق الكريم بغير حساب . طبعاً يحيى عليه السلام وصل إلى مقام النبوة وصار صاحب ولاية تشريعية . أما مريم سلام الله عليها فقد كانت تتمتع بالولاية التكوينية فحسب .

الشاهد الآخر على الولاية التكوينية لمريم سلام الله عليها عدا عن تصرفها العملي في نظام التكوين هو التصرف العلمي الذي تمتلكه بصفة تنبأ عن المعجزة الآتية . وذلك حيث يقول تعالى :

﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشّرك بكلمة منه إسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين☆ ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين﴾[2] .

هذا التنبأ هو في الواقع ظهور لمعجزة عيسى سلام الله عليه قد تحقق في والدته إذ يقول تعالى في الآية ١١٠ من سورة المائدة عندما يبين قصة عيسى سلام الله عليه :

﴿إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلّم الناس في المهد وكهلاً﴾ .

بعض المفسرين إستنتج من هذا الكلام أن في هذه الآية إعلام غيبي بأن عيسى سلام الله عليه لن يصل إلى الشخوخة ، إذ أنه قد تكلم فيها عن تكلمه في الطفولة والكهولة ، والكهولة هي سني ما بين الشباب والشيخوخة أي

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٣٨ .
(٢) سورة آل عمران ، الآيات ٤٥ و ٤٦ .

فترة ما بعد سن الأربعين مثلا .

وبالنسبة للتنبؤ بالمعجزة المستقبلية الذي هو في الواقع ظهور لمعجزة عيسى عليه السلام في أمّه بل بالنسبة لإرتباط مريم وعيسى عليهما السلام فقد ورد كلام في عدة موارد من القرآن الكريم .

في بيان القرآن الكريم أن عيسى ومريم عليهما السلام في الحقيقة واقعية واحدة ظهرت بصورة أمٍّ وابن إذ أنه عدا عن أنه قد عبر عن هذين الإثنين بعنوان آية واحدة فتارة إسم مريم مُقدَّم على إسم عيسى مثل قوله تعالى :

﴿وجعلناها وإبنها آية للعالمين﴾(1) .

وتارة بالعكس كمثل :

﴿وجعلنا ابن مريم وأمّه آية ﴾(2) .

والشاهد الثالث هو تمثل روح الله لمريم سلام الله عليها أثناء صيرورتها أمّاً . يقول القرآن الكريم في هذا المجال :

﴿فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويّاً☆ قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا ☆ قال إنما أنا رسول ربِّك لأهب لك غلاما زكيا ☆ قالت أنّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا☆ قال كذلك قال ربك هو علي هيِّن ولنجعله آيةً للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضيا﴾(3) .

عندما أراد الله عزوجل أن تصبح مريم أمّاً أرسل لها روح الله وتمثل ذلك الملاك لمريم سلام الله عليها بصورة إنسان مستوي الخلقة ، عندما

---

(1)سورة الأنبياء ، الآية ٩١ .

(2)سورة المؤمنون ، الآية ٥٠ .

(3)سورة مريم الآيات ١٧ إلى ٢١ .

لاقت مريم ذلك الملاك في نشأة المثال لأول مرة قالت : أعوذ بالله منك . عندها بشرها الملاك المتمثل بالولد ومريم ولكونها إمرأة من دون زوج تعجبت من صيرورتها أماً فقال ذلك الملاك : إن إرادة الله قد تعلقت في أن تصير أمًّا دونما إتصال بزوج .

النموذج الثاني : آصف بن برخيا :

النموذج الآخر هو القصة التي تشير إليها آيات من سورة النمل :

﴿قال يا أيها الملأ أيُكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ☆ قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مكانك وإني عليه لقوي أمين ☆ قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتدَّ إليك طرفك☆ فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم﴾(١) .

سليمان سلام الله عليه ولكي يري ملكة سبأ معجزة. كما سلمت وإنقادت من ناحية الحكومة والقدرة تسلم وتنقاد من ناحية العقيدة والإيمان كذلك كما آمن سليمان لرب العالمين وتقول : **﴿أسلمت مع سليمان لرب العالمين﴾**(٢) قال (ع): أيُكم يأتيني بعرشها قبل مجيئها ؟ **﴿فقال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مكانك﴾**. أي قبل أن ينتهي هذا المجلس الذي يستمر إلى نصف اليوم أو قبل أن تنهي جلستك هذه .

وكأن هذا الوقت كان وقتاً كبيراً ولذا لم يجز له سليمان ذلك . عندها قال رجل عنده علم من الكتاب : **﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾**. أي في أقل من طرفة عين . وهذا بلحاظ أقل زمان ممكن .

ويتضح من تتمة الآية أن النبي سليمان (ع) قد رضي وتم إعمال القدرة

---

(١)سورة النحل ، الآيات ٣٨ إلى ٤٠ .

(٢)سورة النمل ، الآية ٤٤ .

من قبل هذا الشخص بإجازة من سليمان . مع هذا قال هنا بعض المفسرين أن الآتي بالعرش كان نفس سليمان (ع) فأرادوا أن يعدوا إتيانه من معجزاته (ع) ، لكن ظاهر الآية أن الذي قام بهذا العمل كان غير سليمان .

وبهذا تدل الآية المذكورة على أنه يصدر من غير النبي كرامة أقوى من طيِّ الأرض ، وذلك أن طيِّ الأرض هو طيُّ الشخص مسافة وحده في زمان قليل لكن هنا في هذا العمل كان هناك محلٌ لشيء آخر زيادة على ذلك .

هنا يمكن أن يشكل أنه كيف يمكن من الناحية العقلية إحضار عرش موجود على مسافة بعيدة في فرصة أقل من إرتداد الطرف ؟

والجواب هو أن هذا العمل فيه إمتناع عادي لا إمتناع عقلي ، إذ أن العادة جارية على أن إنتقال كهذا إنما يتم في فرصة طويلة نسبياً ، لكن عقلاً لا يوجد أي مانع أن يتم هذا الإنتقال في مسافة زمنية أقلّ . وبحسب الأصل فإن الإعجاز والكرامة إنما يكون إعجازاً وكرامة من جهة كونه مترافقاً مع الإمتناع العادي وإن كان مصونا من الإمتناع الذاتي أو الإمتناع الوقوعي .

البعض أراد الإجابة عن مسألة إنتقال العرش بهذا الشكل : أن كل موجود يحصل في كل لحظة على فيض جديد من الحق تعالى ، لذا فلا مانع أبدا من أن ينال عرش بلقيس فيض الوجود في لحظة قبل في سبأ وفي لحظة بعدها في محضر النبي سليمان (ع) .

لكن هذا الجواب لا أنه يوجد طريقٌ لإثباته ولا هو يوافق الأدلة العقلية . إذ لازمه تعدد وجود الشيء الكائن ويكون وجود كل لحظة حادثاً ومنفصلاً عن وجود اللحظة السابقة . إلا أن يكون المراد من هذا الجواب أن الإنتقال قد تم بسرعة السير بإذن الحق تعالى حيث يكون في هذه الصورة متحداً مع الجواب السابق .

وهنا يوجد عدة نكات ينبغي الإلتفات إليها :

النكتة الأولى : لم يرد في القرآن إسم ذلك الشخص الذي قد نسب إليه الإنتقال لكن في مقابلته مع ﴿ **عفريت من الجن** ﴾ يعلم أنه قد كان من الإنس .

النكتة الثانية : كما أنه في جملة « أكرم العالم » الوصف مشعر بالعلية فكذلك في جملة ﴿ **قال الذي عنده علم الكتاب** ﴾ الوصف أيضاً مشعر بأن منشأ ولاية ذلك الشخص قد كان نفس معرفته بالكتاب .

النكتة الثالثة : ذلك الكتاب الذي هو منشأ للتصرف في التكوين لا يكون كتاباً بشرياً ، إذ أن الكتاب البشري متشكل من جملة من الألفاظ والخطوط الإعتبارية الموجودة بوجود كتبي مع أنه ليس الوجود الكتبي فحسب بل الوجود الذهني للأشياء أيضاً لا يكون منشأ للأثر في الخارج .

من هنا يعلم أن ذلك العلم والمعرفة الذي هو منشأ للولاية هو غير العلم البحتي والدرسي وغير العلم المفهومي ، وإنما هو علم معجون ومترافق مع متن الواقعية ، وهو عبارة عن العلم الشهودي والحضوري .

النكتة الرابعة : المعرفة التي هي منشأ الولاية هي المعرفة المعجونة والمترافقة مع الأمانه . من هنا يقول : ﴿ **وإني عليه لقوي أمين** ﴾ . وحتى لو لم تكن هذه الآية موجودة فالمسألة كانت قابلة للإثبات إذ أن روح الخائن محرومة حتى من الرؤيا السليمة فضلاً عن الحصول على قدرة إكتساب المعرفة التي هي منشأ للولاية .

روح الخائن من الممكن أن تظهر نفسها في حال الإستيقاظ على أنها أمينة لكن ما إن يسافر إلى عالم الغيب حتى تظهر خيانته . إذ أنه عندما ينال الإنسان الكاذب حقيقة نورانية في عالم الرؤيا فسيزاد عليها أشياء كثيرة من نتاج أعماله السابقة وتصير كحزمات العشب الغير المفيد التي تنبت حول نبتة الورد .

هذا التشتت في عالم المنام الذي هو علامة على إضطراب الإنسان النهاري يوجب تسمية كل ما يراه في المنام ب « أضغاث أحلام » . إذ أن « الضغث » مجموعة العلف والأضغاث مجموعات مجموعات منه . وكلما وقع في لوح نفس الإنسان الكاذب غصن نبات طيب من سماء المعاني إزداد فوقه عدد من العلف الذي لا فائدة فيه بشكل يختفي فيه ذلك الغصن الأصيل وينمحي شيئاً فشيئاً بشكل لا يبقى منه أثر بناء على هذا الشخص المتشتت في عمله المضطرب الحال والإنسان الكاذب والخائن لا يسير نحو المعرفة الصحيحة أبداً . وما دامت المعرفة الحقيقية غير حاصلة للإنسان فمن المسلَّم به أنه لا ينال الولاية التي هي متفرعة عليها .

النكتة الخامسة : قال بعض المفسرين في ذيل هذه الآية الكريمة أن ذلك الشخص كان يعرف « الإسم العظيم » أو « الإسم الأعظم » ، وعندما ذكر ذلك الإسم وصل التخت في أقل من طرفة عين من سبأ إلى محضر سليمان سلام الله عليه . واختلفوا في ذلك الإسم أنه هل هو « يا حي يا قيوم » أم أنه لفظ عبراني مثل « آها شراها » وأمثال ذلك .

لكن النكتة الأصلية التي يجب الإلتفات إليها هي أنه لا يمكن في حال من الأحوال التأثير في نظام الخارج بواسطة لفظ أو كتابة أو مفهوم ، إذ أن نظام الوجود نظام عليّ وفي النظام العلي لا يمكن إحداث أثر خارجي بواسطة الوجود أو الكتبي أو الذهني الذي هو في نهاية الضعف .

وتوضيح ذلك هو أن الوجود اللفظي الكتبي كلاهما موجودان جعليان وإعتباريان ، ولذا تختلف الألفاظ والكتابة عند الأقوام المختلفة وبحسب الإعتبارات المتفاوتة ، والأمور الإعتبارية والجعلية تكون موجودة في محيط الإعتبار والجعل ولا أثر لها في عالم التكوين .

والمفاهيم أيضاً وإن كانت ليست مثل الأمور الإعتبارية تابعة للجعل

لكنها موجودة بالوجود الذهني ، والوجود الذهني يمتلك واقعية ضعيفة لا تكون منشأ للأثر في الخارج . إذ أن الشيء الذي يؤثر في الخارج يجب أن يمتلك أولاً وجوداً حقيقياً وأن يكون أقوى من أثره ثانياً ، والموجود الذهني وإن كان يمتلك وجوداً حقيقياً لكن وجوده ظلّي وطفيلي . فإذاً ذلك الإسم الأعظم الذي هو منشأ للأثر في الخارج يجب أن يكون ممتلكاً لواقعيةٍ وراء اللفظ والمفهوم .

ومن هنا يُعلم أيضاً معنى ما ورد في بعض الأدعية مثل دعاء السمات .

في مقاطع من هذه الأدعية نُقسم على الله بأسمائه مثل القسم بذلك « الإسم الذي بسطت به الأرض ورفعت به الجبال » . المراد من الأسماء في هذه الفقرات هي تلك الفيوضات الإلهية ، إذ أنه بواسطة تلك الفيوضات قد بُنيت السماء وبُسطت الأرض . وأما الأسماء اللفظيه فأمور إعتبارية قد وُضعت لتلك الأسماء الحقيقية ، ولذا سميت هذه الأسماء بأسماء الأسماء أيضاً .

ومن الفرق بين الإسم وإسم الإسم يُعلم أيضاً محل النزاع في البحث عن وحدة أو مغايرة الإسم والمسمى ، إذ أن المراد هناك من وحدة أو مغايرة الإسم مع المسمى أنه هل أن تلك الحقائق التكوينية التي هي « سمة » وعلامة المسمى وصاحب العلامة هي عين المسمى وصاحب العلامة أم غير ذلك . وكذلك فإن الإسم عبارة عن الذات المطلقة مع التعيُّن الخاص خلافاً للذات التي هي ذلك الوجود غير المتعين ، وكذلك خلافاً للصفة التي هي نفس التعيُّن . وقد قيل في تلك المسألة أن الإسم من جهةٍ عين المسمى ومن جهةٍ أخرى غيره .

حاصل هذه النكتة هو أن العلم بالإسم الأعظم ليس علماً للفظ أو مفهوم ، وإنما علم يحصل من أنسِ الروح بأعظم الأسماء ، وتحققَ هذا

المطلب بظهور ذلك الإسم في روح الإنسان . ويمكن القول في حق ذلك الشخص الذي ظهر فيه الإسم الأعظم والذي قد أقام إرتباطاً شهودياً مع ذلك الإسم أنه : ﴿ عنده علم من الكتاب ﴾ وحيث أن ذلك الإسم الذي هو منشأ خلق الأرض والزمان ومبدأ وجود البحار والسماوات قد ظهر في شخص كهذا لذا فهو يستطيع أن يتصرف فيما هو متعلق بالأرض والزمان في أقل من طرفة العين .

النكتة السادسة : الآية الأخيرة في سورة الرعد التي تنطبق على أمير المؤمنين عليه السلام تدلُّ على شيء أعلى مما تحكيه آيات سورة النمل :

﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلاً قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾[1] .

في هذه الآية قد أُقيم شاهدان في الرد على مشركي مكة المنكرين (لرسالة النبي الأكرم) صلى الله عليه وآله . الشاهد الأول الذي هو أعلى الشاهدين الله تعالى ، حيث أنه بإعطائه الكتاب للنبي (ص) يعطيه دليلاً . والشاهد الثاني هو الذي عنده علم الكتاب .

التعبير بالواجد لعلم الكتاب أقوى من التعبير عن الشخص الذي عنده علم من الكتاب . إذا التعبير الأول المنطبق على أمير المؤمنين عليه السلام فيه دلالة على إستيعابه وإحاطته عليه السلام لجميع الكتاب ، أما التعبير الثاني الذي هو تعبير سورة النمل فلا يدل على هذا المعنى .

النكتة السابعة : من باب العود على البدء نرجع إلى ذلك المطلب الأول ، وهو أن ولاية ولي الله لا هي في عرض ولاية الله ولا في طولها وإنما هي مظهر للولاية الإلهية . وهذه نكتة تحكي الآيات محل البحث عنها أيضاً ، إذ أنه عندما شاهد سليمان قدرة التصرف في التخت من قبل بعض

---

(١) سورة الرعد الآية ٤٣ .

الأشخاص الذين هم في خدمته ونتيجة تربيته لم يقل ﴿إنما أوتيته على علم عندي﴾[1] أي لم يرَ تلك القدرة من عنده أو من عند شخص آخر ، إذ أن رؤية النفس (الغرور) أو رؤية الغير كلاهما حجاب ، والذي لا يخرق الحجاب لا يصل إلى الولاية .

وإنما رأى سليمان سلام الله عليه تلك القدرة من الله فقط . ولذا قال :

﴿هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم﴾[2] .

والحمد لله رب العالمين

---

(١) سورة القصص ، الآية ٧٨ .

(٢) سورة النمل ، الآية ٤٠ .

الدرس العشرون

النموذج الثالث : أمُّ النبي موسى عليه السلام

النموذج الثالث من الأشخاص الذين لم يكونوا انبياء وهم أصحاب ولاية علمية أو عملية في نظام التكوين أمُّ موسى سلام الله عليهما . يقول تعالى في هذا المورد في الآية ٧ من سورة القصص :

﴿وأوحينا إلى أمِّ موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم﴾ .

وفي الآيات ٤٠ ـ ٤١ من سورة طه يقول تعالى أثناء الكلام عن أمره لأم موسى عليه السلام بإلقائه في البحر أنه قد أمر البحر أيضاً بإلقائه في الساحل .

﴿إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى☆ أن أقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل﴾ .

ويقول في تتمة آية سورة القصص :

﴿ولا تخافي ولا تحزني﴾ .

أي قد أوحينا اليها ألا تخافي ولا تحزني .

أمر الله وكلامه لأم موسى (ع) والذي كان يظهر بصورة الوحي لم يكن مجرد نصيحة ووصية لفظية لتكون كسائر النصائح العادية في مثل هذه الموارد المخيفة بلا أثر أو قليلة الأثر ، وإنما هو إلقاء أوجب رفع الحزن والخوف مع أنه كان موجودا ودفعه حين احتمال ظهوره .

في هذه الآية المتعلقة بأم موسى عليه السلام ينسب الله تعالى النهي عن الخوف والقلق إلى نفسه ، لكنه بالنسبة لسائر المؤمنين ذوي الإستقامة ينسب إرسال هذه الرسالة إلى الملائكة . وقد ورد في هذا المورد في الآية ٣١ من سورة فصلت :

﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ .

طبعاً لا منافاة بين هذين الإسنادين إذ أن الملائكة قد كانوا مأمورين من الله ومدبرات أمره ويقومون بالأعمال بإذن الله ، بل في الحقيقة هذا عمل الله الذي يظهر في مظاهر الملائكة ، ولذا يمكن لهذا العمل أن يظهر بالمَظْهَر الذين هم الملائكة كما يمكن أن يظهر بالظاهر الذي هو الله سبحانه .

في تتمة آيات سورة القصص قد بيَّن رمز ذهاب الحزن والخوف عن أمِّ موسى وذلك حيث يقول :

﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين﴾[1] .

أي لولا أن ربطنا على قلبها لكان ممكنا أن تتأثر من شدة الحزن والخوف . وهذه الآية تدل على أن الإرتباط بالله الذي هو جميل محض وقدير صرف يكون موجباً لذهاب كل نحو من الحزن والخوف .

---

(١) سورة القصص الآية ١٠ .

وتوضيح المطلب أن الغم يكون على إثر الإرتباط بالماضي ، والخوف يكون بسبب الإرتباط بالمستقبل . فالإنسان الذي يفقد شيئاً في الماضي محزون ، والشخص الذي يحتمل فقدان شيء في المستقبل يكون خائفاً ومغموماً . لذا فلو أعطى الإنسان قلبه لمبدأ الوجود الذي زمام الماضي والمستقبل بيده فلن يصاب بحزن ولن يبتلى بخوف . فاذن سبب نفي خوف وحزن أم موسى عليه السلام الذي تم بإلقاء كلمة **﴿لا تخافي ولا تحزني﴾** هو ارتباط واتصال قلبها بالله عزَّ وجل . والإرتباط التكويني للقلب بالله يعني التوحيد التام وهو نفس الولاية .

وفي آخر الآية ٧ من سورة القصص ورد حول الإلهام الغيبي لأم موسى سلام الله عليهما ما يلي :

﴿إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾ .

أي أنه قد أعطيت هذه البشارة أيضاً لأم موسى بأننا سنعيده إليك ثانية ونجعله من المرسلين . فإذن تلك المرأة سواء من ناحية الإطلاع على الغيب أو من ناحية طمأنينة القلب وصيانته من آفات الحزن وأضرار الخوف في أكثر الحوادث السيئة هولا تُعَدُّ نموذجاً كاملاً عن أولياء الله .

النموذج الرابع : زوجة إبراهيم عليه السلام :

النموذج الرابع هو زوجة إبراهيم سلام الله عليه التي قد سمعت كلام الملائكة كما تكلمت معهم أيضاً . وقد وردت الآيات ٦٩ إلى ٧٣ من سورة هود في هذا المورد :

﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجلٍ حنيذ☆ فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرَهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تَخف إنَا أُرسلنا إلى قوم لوط☆ وامرأته قَائمة فضحكت فبشرناها

باسحق ومن وراء اسحق يعقوب☆ قالت يا ويلتي أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب☆ قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾ .

في قسم من هذه الآيات كان الحديث عن كلام إبراهيم عليه السلام ، والبحث عنه يتعلق بالبحث في معجزات الأنبياء عليهم السلام والمرتبط بولايتهم التكوينية . لكن في القسم الآخر من الآيات كان الحديث عن تكلم زوجة إبراهيم عليه السلام مع الملائكة . إذ سمعت بشارة ولادة اسحق ويعقوب من الملائكة ومن ثم تعجبت وأظهرت دهشتها ، ثم سمعت جوابهم أنه أتعجبين من أمر الله ورحمته وبركاته .

قصة زوجة إبراهيم وأم موسى ومريم سلام الله عليهم هي قصص نساء قد تكلمن مع الملائكة أو سمعن كلامهم ، وهذه علامة على أنهن في نفس الوقت الذي كن فيه فاقدات للرسالة والنبوة فإنهن كن يتمتعن بالولاية . إذ أن النبوة والرسالة عمل إجرائي يكون مختصاً بالرجال .

﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم﴾(١) .

أما الولاية التي هي باطن النبوة وعلامة ارتباط الإنسان الكامل بالله والتي هي ترتبط بكمال الإنسان فلم تكن مختصة بالرجال ، ولا فرق فيها بين المرأة والرجل وإن كانت أعلى درجة فيها مختصة بالرجال لكن طريق الكمال مفتوح لكلا الصنفين .

النموذج الخامس : أصحاب الكهف :

ورد في القرآن الكريم حول أصحاب الكهف ما يلي :

﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى☆

---

(١) سورة يوسف ، الآية ١٠٩ .

وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعوا من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططا☆ هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بيّن فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾[1] .

إنهم فتية مؤمنون وحيث أنهم قد استقاموا فقد ربط الله قلوبهم ووصلها به . وهذه الصلة والربط الإلهي مصداق لتلك الكبرى الكلية التي وردت في سورة فصلت في قوله تعالى :

﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ .

وأصحاب الكهف أيضاً كانوا من جملة أولئك الذين عملوا بمفاد الآيات التي مر ذكرها .

﴿قاموا فقالوا ربُّنا ربُّ السموات والارض﴾ .

لذا ربط الله قلوبهم به . وربط القلوب هذا والذي ذلك المقطع من دعاء كميل « وقلبي بحبك متيما » ناظر اليه أيضاً كما انه قد ذكر في قصة أم موسى عليه السلام هو رمز لتنزل الملائكة وذهاب الخوف والحزن . إذ أن ذلك القلب الذي قد عُجن بمحبة الله ولا طريق لمحبة غير الحق اليه سوف يرتبط بالحق ، والقلبَ الذي يكون مرتبطا بالله طريق نفوذ الشيطان اليه مسدود وطريق نزول الملائكة عليه مفتوح ، وعندما ينزل الملائكة يخرج الحزن والخوف من القلب ، وذلك الإنسان الفاقد للحزن والخوف شاكر في استقامته لا صابر ، إذ أن الصبر يكون من ذلك الشخص الذي يجاهد في ميدان الجهاد الأكبر مع حزن وخوف .

والشاهد على هذا المدعى عدا عما مر في قصة أم موسى عليهما السلام

---

(١) سورة الكهف الآيات ١٣ إلى ١٥ .

في ذيل الآية الكريمة ﴿ . . . ربطنا على قلبها ﴾ هو كلام سيد الشهداء عليه السلام بالنسبة لإبنته الغالية سكينة سلام الله عليها والتي وصفها للحسن المثنى بقوله :

« وأما سكينة فغالب عليها الإستغراق مع الله »[1] .

أي أن ابنتي سكينة قد وصلت في مجال تهذيب النفس حيث قد صارت مستغرقة مع الله ، ووصلت إلى مقام الفناء بشكل لا جمال يجذبها إليه سوى جمال الله ، ولا تقلق لأية حادثة جلل ، ولا طريق للخوف اليها إلا من جلال الله وقهره .

أجل فقد كان ببركة الوصول إلى مقام الولاية المنيع هذا والارتباط الداخلي العميق بالقدير الصرف والعليم المحض ان لم تلفتها كل تلك المصائب الصعبة والتي تفت العضد وتؤلم القلب في واقعة الطف الأليمة ، ولم تقلل من شهودها الجمال الإلهي .

ومن الآثار الأخرى المتفرعة على هذا الإرتباط التي ذكرت بالنسبة لأصحاب الكهف هو نوم ثلاثة قرون (ثلاثمائة وتسعة سنين قمري وثلاثمائة سنة شمسي) من دون استمداد من جهاز التغذية .

﴿واذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقا☆ وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا☆ وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعباً﴾[2] .

---

(١)« السيدة سكينة » للسيد عبد الرزاق المقرم ، ص ٣٣ .
(٢)سورة الكهف الآيات ١٦ إلى ١٨ .

هؤلاء قد ظلوا نائمين ثلاثمائة سنة وكان الله تعالى يقلبهم كل فترة من جانب إلى آخر . وهذه الحياة والنوم ثلاثمائة سنة دون استفادة من جهاز التغذية خرق للعادة وفي نفس الوقت نتيجة طبيعية وعادية للولاية .

أولئك الذين وضعوا قلوبهم في مكان آخر يستطيعون أيضاً أن يعيشوا أكثر من هذا من دون ماء وغذاء . ولذا فإن الله تعالى ذكر في البداية هذه الحكاية كنموذج لسُنَّته الدئمة وكان يشير إلى هذه الحقيقة وهي إن قصة أصحاب الكهف لَم تكَن عجيبة أبداً وإنما من آياتنا العادية .

﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً﴾(١) .

وحيث أن الولاية التي هي آية معجزة الهية تكون متحدة مع شخص الولي . لذا عبر عن أصحاب الكهف باسم آيات الله .

النموذج السادس : الخضر عليه السلام :

في آيات سورة الكهف هناك حديث عن عبد صالح يتمتع برحمة الله وعلمه اللدني . وهو الشخص الذي ذهب موسى بأمر من الله تعالى للبحث عنه لأجل تعلم العلم منه . يقول القرآن الكريم في هذا المورد :

﴿فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنَّا علما☆ قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا﴾(٢) .

وهذا العبد الصالح الذي أُمر موسى عليه السلام باتباعه يبعد كونه من الأنبياء ، وإذا كان أيضا من الأنبياء فما يتمتع به من رحمة لدنيَّة وكذلك ما يعلمه من علم لدنيٍّ مرتبط بولايته .

العلم اللدني هو الإطلاع على أسرار وغيب العالم ، وذلك العبد

---

(١) سورة الكهف الآية ٩ .
(٢) سورة الكهف الآيات ٦٥ و ٦٦ .

الصالح ويسبب اطلاعه على هذه الأسرار قتل شخصا لئلا يقوم بفتنة ، وخرق سفينة لئلا يغصبها الطواغيت ، وأقام حائطا لكي يبقى مال اليتيم محفوظا .

الإطلاع على أسرار العالم هو من علم الكتاب . طبعا العلم بالكتاب له مراتب . بعض مراتبه التي هي منشأ للولاية شاملة للمعارف الغيبية ، أما مراتبه الأخرى فهي مراتب مفهومية ولفظية .

الإنسان وكما يقول الله سبحانه : **﴿ويعلّمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾**[1] لا يستطيع أن يعلم بنفسه أيّاً من مراتب الكتاب . لكن مراتبه اللفظية والمفهومية جعلت بواسطة النبي في متناول الجميع ، ولذا صارت قابلة في مرحلة التقنين وأمثال ذلك للسرقة من قبل الآخرين عن طريق الإقتباس .

مثلا الإنسان الكافر يستطيع اصطياد بعض قوانين الإسلام التي تؤمّن الجنبة الطبيعية للإنسان ويعمل بها . لكن المعارف الغيبية للكتاب التي تحصل عن طريق تهذيب النفس وبالإدراك المشهودى فقط ليست قابلة للجعل والإبدال . لذا فالمراحل الغيبية للكتاب التي هي العلم بأسرار العالم أفضل مصداق لقول الله تعالى هذا حيث يقول : **﴿ويعلّمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾** فهذه المراتب غير قابلة للتناول إلا طريق الولاية .

يقول المرحوم المجلسي الأول رضوان الله عليه في كتاب روضة المتقين ـ الذي هو شرح من لا يحضره الفقيه ـ حول قلة الأفراد الذين يحصلون القدرة على الوصول للمعارف الغيبية أنه خلال أربعين سنة كان مشغولا فيها بتربية الأشخاص عن طريق المرجعية والزعامة والتدريس والتصنيف والتأليف وإمامة الجماعة وأمثال ذلك قام بهداية أكثر من مئة شخص لكنه لم يجد شخصا واحداً يخطو في ذلك الطريق الذي كان يريده

---

(١) سورة البقرة الآية ١٥١ .

هو[1] .

أجل ففي كل قرن أفراد قليلون أولئك الذين ينالون توفيق عدم بيع أنفسهم للطبيعة والتسلط على أسرارها .

النموذج السابع : شهادة أهل الإيمان:

النموذج السابع من النماذج القرآنية التي نذكرها نموذج عام (كلي) حيث قد ورد في الآية ١٠٥ من سورة التوبة :

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ .

لا شك في أن المصداق الكامل للمؤمنين في هذه الآية الشريفة هم الأئمة عليهم السلام ، كما أنه في بعض الروايات ، لم يفسر وإنما طبق هذا العنوان على أولئك العظماء (ع) بعبارات « المؤمنون هم الأئمة » أو « ايّانا عَنَى »[2] . إذ أنه بناء على التفسير يلزم أن يكون لفظ المؤمنون قد استعمل في الأئمة الأطهار عليهم السلام ، مع أنه في هذا النوع من الروايات تكون جنبتها التطبيقية أكثر من الجنبة التفسيرية .

وعنوان المؤمنين في هذه الآية ليس نظير المؤمنين في الآية التالية :

﴿إنما وليُّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[3] .

إذ أنه في هذه الآية يوجد قرينة داخلية تنفي شموله لجميع المؤمنين ، وتلك القرينة هي إعطاء الزكاة حال الركوع الذي هو ليس حكما واجبا ولا مستحبا ، وإنما هو شاهد على أن الآية ناظرة لقضية قد حصلت في واقعة

---

(١) روضة المتقين ج ١٣ ص ١٢٨ .
(٢) تفسير الصافي ذيل هذه الآية الكريمة .
(٣) سورة المائدة ، الآية ٥٥ .

خاصة .

ولكن في الآية محل البحث لا يوجد أي قرينة لتقييد المؤمنين . لذا تصير شاملة لغير أهل البيت عليهم السلام أيضا .

إذا كان يُظَنُّ أن مقامات الأئمة منحصرة في معرفتهم واطلاعهم على الأسرار الداخلية لأفراد الإنسان فهذا ظنٌ واه ، إذ أن هذا النوع من الإطلاع في العلوم المتداولة لتلك الذوات النورانيةً بشكل أن كل مؤمن وفي ظل الإرتباط القلبي بالعليم المحض وباولئك الذين هم معادن العلم الإلهي يستطيع الإطلاع على أعمال الآخرين .

ورد في سورة المطففين الآيات ١٨ الى ٢١ عن هذه الاطلاعات وكأصل كلي ما يلي :

﴿إن كتاب الأبرار لفي عليين☆ وما ادراك ما عليُّون☆ كتاب مرقوم☆ يشهده المقربون﴾ .

أي أن ما يعلمه الأبرار أو يقومون به كله في كتاب مسطور ، وذلك الكتاب في علّيين ، وعليّون نفسه كتاب أرقى يحيط بذلك الكتاب ، وهذا الكتاب المحيط في مشهد مشاهدة المقربين . فإن ما يقوم به الابرار يشاهده المقربون .

وهذه نفس الحقيقة التي يمكن استفادتها أيضا من الأصل المذكور في سورة فصلت حيث يقول تعالى هناك :

﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا﴾ .

ذكر الحزن والخوف في هذه الآية هو من باب التمثيل إذ ما يتنزل به الملك ليس مجرد نفي الحزن والخوف ، وإنما كل ما هو من الرزق المادي

والمعنوي كله ينزل بواسطة الملك . كما أنه في آية سورة الجن يعتبر نزول المطر متفرعا على الإستقامة ويقول :

﴿وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا﴾[1] .

أي أنهم لو استقاموا ولم ينحرفوا عن المسار الصحيح لقسمنا لهم ماء كثيرا .

الماء الذي في هذه الآية قد فرع اعطاؤه على الإستقامة على الطريق ليس منحصرا بالماء المادي لكي تطرح مسألة صلاة الإستسقاء ونظائرها فقط كصغرى للكبرى المذكورة في الآية ، وإنما تصير شاملة أيضاً لماء المعرفة الذي هو الطعام المعنوي لروح الإنسان .

والدليل على هذا المطلب الرواية التي نقلت عن الإمام الصادق عليه السلام في ذيل الآية الكريمة ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه﴾[2] وهي أنه عليه قال في تفسير الآية :

« فلينظر الإنسان إلى علمه الذي يأخذه عمن يأخذه »[3] .

إذا كان المراد من الطعام في هذه الآية العلم الذي هو رزق معنوي للإنسان فالمراد من الماء أو الأرض الواردين في الآيات التالية ايضاً ذلك الأصل وتلك الأرض الموجبة لأن يثمر العلم والتي هي أرضية رشد معرفة الإنسان .

في هذه الرواية المنقولة عن الإمام الصادق عليه السلام لم يُفسَّر الطعام بمعنى العلم فحسب وإنما قد شُخِّص نوع العلم أيضاً ، إذ أن ذلك العلم الذي كلف الإنسان بمعرفة معلمه وألا يأخذه عن أي كان إذ أنه لا يؤخذ هو

---

(١) سورة الجن ، الآية ١٦ .
(٢) سورة عبس ، الآية ٢٤ .
(٣) أصول الكافي ، كتاب فضل العلم ، باب النوادر ، الحديث٨ .

علم مرتبط بتهذيب وتربية روح الإنسان ، وإلا فالمناسب لأجل تحصيل العلوم التي من قبيل العلوم الطبيعية والرياضية هو هذا الأصل أنه « لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال »[1] . وبهذا يتضح أنه لا منافاة بين هذين الحديثين إذ أن مورد كل منهما غير مورد الآخر .

يُعلم مما قد سلف أن المتفرع على الإستقامة ليس مجرد نزول الملائكة لرفع الخوف والحزن أو مجرد نزول المطر ، وإنما تعليم العلوم الإلهية ومن جملتها الإطلاع على الأسرار الداخلية للبشر أيضاً من نتائج الإستقامة على الطريق الإلهية . بناء عليه وكما تدل عليه الآية ١٠٥ من سورة التوبة فهناك الكثير من المؤمنين الذين كانوا بيننا وهم مطّلعين على أعمالنا وعلى رأسهم الأئمة المعصومون عليهم السلام .

النماذج السبعة التي ذكرت لحد الآن كلها تبين أنه عدا عن الأنبياء والذين معجزاتهم وكراماتهم بيّنة وولايتهم التكوينية والتشريعية مسلمة فهناك أناس آخرون يكونون واجدين للولاية التكوينية نتيجة للإستقامة في الطريقة الإلهية والإرتباط القلبي مع الله عزّ وجل .

والحمد لله رب العالمين

---

(١) المئة كلمة للجاحظ .

الدرس الحادي والعشرون

قرب النوافل وظهور عمل الله في المداخل الإدراكية والعملية للإنسان

لقد بيَّنا نماذج قرآنية عن التصرفات العلمية والعملية لأناس لم يكونوا أنبياء في نظام التكوين وصار معلوماً أن هذه التصرفات علامة ارتباطهم الغيبي مع الله سبحانه .

يوجد حديث مشهور في الجوامع الروائية للفريقين يدل على أن الإنسان يصل من خلال تهذيب النفس إلى مقام تصير فيه مجاريه الإدراكية مظهر إدراك الحق ومجاريه العملية مظهر قدرة وتحريك الحق . وهذا الحديث الذي ذكره الكليني في جامعه المعتبر هو أن الإنسان يصل في ظل قرب النوافل إلى حيث يقول الله تعالى عنه :

« . . . وما تقرب إلي عبد بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وانه ليتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به ، ويده التي يبطش بها ، إن

دعاني أجبته وإن سألني أعطيته »[1] .

أي أن الإنسان السالك العابد يصل إلى المحلّ الذي وان كان الإدراك والتحرك منه لكن ذلك البصر الذي يبصر به بصر إلهي ، وذلك السمع الذي يسمع به سمع إلهي ، وتلك اليد التي يعمل بها قدرته يد الله . يصل إلى المقام الذي يتكفل فيه الله بأعماله العلمية والعملية ويصير مستجاب الدعوة ، وهذا بمعنى أن عمل الله يظهر في مظاهره الإدراكية والعملية . وطبعا فهذه النكته مسلّمة من أن كل عمل خير يقوم به الإنسان فأصله ومبدأه هو الله عزوجل .

البرهان العقلي الذي يدل على هذه النكتة هو أن الإنسان ممكن والممكن ينتهي في جميع شؤونه إلى الواجب . والشاهد القرآني على هذه النكتة الآيات الشريفة التالية :

﴿الله خالق كل شيء﴾[2] .

﴿والله خلقكم وما تعملون﴾[3] .

﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾[4] .

معرفة النفس وطريق اكتشاف الولاية :

بعد معرفة هذا المطلب من أنه يوجد أشخاص يصلون إلى مقام الولاية يطرح هذا السؤال أنه كيف يطلع « وليُّ الله » على ولايته ؟

روى صاحب كتاب المحاسن أن رجلاً سأل الإمام الصادق عليه السلام

---

(١) أصول الكافي ، كتاب الإيمان والكفر ، باب من آذى المسلمين .
(٢) سورة الرعد ، الآية ١٦ .
(٣) سورة الصافات الآية ٩٦ .
(٤) سورة النحل ، الآية ٥٣ .

أنه « كيف علمت الرسل أنها رسل ؟ » أي كيف يعرفون أن ما يشاهدونه هو نبوة وليس خواطر نفسانية أو تمثلات شيطانية ؟ فأجاب الإمام الصادق(ع) : « كشف عنها الغطاء » . أي رفع الغطاء عن أبصارهم واطلعوا على نبوتهم وحقانية ما اكتشفوه بالكشف والشهود الذي لا طريق لأي إبهام وإجمال إليه ، وخلافا للآخرين الذين يثبتون نبوة النبي بالبرهان أو المعجزة . وقام الراوي الذكي والعاقل بسؤال مولاه ثانيةً أنه « بأي شيء علم المؤمن انه مؤمن ؟ » فقال الإمام عليه السلام : « بالتسليم لله والرضا بما ورد عليه من سرور وسخط »[1] .

وروى المرحوم الكليني أيضاً أن رجلاً سأل الإمام الصادق عليه السلام عن النبي « قلت له أصلحك الله كيف يَعلَمُ (النبي) أن الذي رأى في النوم حق وأنه من الملك ؟ » فأجاب الإمام عليه السلام : « يُوَفَّق لذلك حتى يعرفه »[2] .

وقد نقل ذيل الحديث أيضاً في المحاسن في « كتاب الإيمان والكفر » في « باب الرضا بالقضاء » .

وهذا الكلام الصادقي السامي قدح زلال من رأس نبع القرآن الكريم المعطي للحياة الذي يعلن بشكل قاطع :

﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلمّوا تسليما﴾[3] .

أي أن المؤمن الواقعي هو الذي يكون في داخل روحه سلماً محضاً بالنسبة للأوامر الإلهية ، ومعنى السلم شيء أكثر من السكوت ويصاحبه

---

(١) محاسن البرقي ج ٢ ص ٣٢٨ حديث ٨٥ .
(٢) أصول الكافي ، كتاب الحجة ، باب الفرق بين الرسول والنبي والمحدث .
(٣) سورة النساء ، الآية ٦٥ .

السكون والطمأنينة . إذا رجع الإنسان في مشاجراته العلمية والعملية إلى النبي وسكت في مقابل حكمه ظاهراً لكنه أحس بضيق وحرج باطناً فهذه علامة على أنه ليس من أهل الإيمان .

فإذا طريق معرفة الإيمان هو معرفة الباطن وتحليل ومراقبة كيفية التسليم أمام الأمر الإلهي . فكما أن النبي والمؤمن يطلع على نبوته وإيمانه بواسطة الشهود الكامل لنفسه ولتعامله مع الأحكام الإلهية فكذلك أهل الولاية أيضاً يطّلعون على ولايتهم بواسطة معرفة النفس . فإذاً شرط معرفة الولاية هو أن يعرف الإنسان نفسه . ولذا فالإنسان الغافل عن نفسه لا يطّلع على ولايته أو عداوته بالنسبة لله تبارك وتعالى . والله تعالى ينبّه في باب نسيان النفس وعلته بما يلي :

﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾[1] .

أي أن المبتلون بنسيان أنفسهم هم أولئك الذين نسوا اصل ومبدأ وجودهم . ويقول القرآن في موضع آخر حول هؤلاء الأشخاص المشغولين بالطبيعة :

﴿أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظنَّ الجاهلية﴾[2] .

وطبعا لا منافاة بين ما يقوله في الآية الأولى من أنهم نسوا أنفسهم وما يقوله في الآية الثانية من أنهم قد اشتغلوا بالتفكير بأنفسهم فحسب ، إذ أن تلك النفس التي قد نُسِيَت هي الأصل والحقيقة الإنسانية ، وتلك النفس التي شُغِلوا فيها هي نفس نباتية وحيوانية في مستوى التغذية أو ارضاء الغرائز .

---

(١)سورة الحشر ، الآية ١٩ .
(٢)سورة آل عمران ، الآية ١٥٤ .

لقد قسموا خرق العادة إلى أربعة أقسام . فما يظهر بواسطة الأنبياء لإثبات دعوى النبوة يسمى معجزة وما يقوم به الأولياء يدعى كرامة .

المعجزة والكرامة واللتان هما قسمان من أقسام خرق العادة الأربعة من جهة كونهما كلاهما يتمَّان على أساس الولاية التكوينية للنبي أو الإمام متشابهتان ، ولكن الفرق بينهما أن المعجزة تكون مع التحدي ودعوى النبوة ، أي أن النبي يدعي النبوة وبإتيان المعجزة يطلب مبارزاً ، ولكن الكرامة لا تكون مع ادعاء وتحدٍّ . بناء على هذا فالبحث عن المعجزة أيضاً له محل في ذيل البحث عن الولاية ، لكن من باب تناسبه مع بحث النبوة يرجع طرحه إلى مسألة النبوة . وفي بحث النبوة يعلم أن النبي عنده إدعاء ودعوة . ادعاؤه هو النبوة التي ترافقها المعجزة ودعوته تكون إلى التوحيد والمعارف والإلهية .

القسم الثالث لخرق العادة هو الذي يتم بدعاء المؤمنين وطلبهم ويسمى معونة واعانة . والنوع الرابع من خرق العادة اسمه اهانة وهو خرق العادة الذي يصدر من يد غير المؤمن ويصاحبه التحقير والتوهين مثل ما نقل من ان مسيلمة الكذاب مسح يده على عين سالمة فعميت أو أنه ألقى ريقه في بئر فجف ماؤه بدلا من أن يزداد .

المناقشة في ظهور كرامة الأولياء ودفعها :

قد نوقش في ظهور الكرامة من الأولياء من عدة جهات . وأهم تلك المناقشات أنه لو صدر شيء مثل المعجزة من غير النبي لفقدت المعجزة خصوصيتها ولما بقي فرق بين النبي وغير النبي ، وفي النتيجة لن يكون تشخيص النبي ميسوراً . لكن جواب هذا الإشكال هو أن الفرق بينهما هو بذلك التحدي ودعوى النبوة ، وهذا الفرق ثابت . إذ أن ذلك لشخص الذي لم يصل للولاية فاقد الكرامة ، والولي أيضاً لا يستطيع الوصول للولاية إلاَّ

عن طريق العمل بأوامر النبي . فإذا ذلك الشخص الذي هو صاحب كرامة قد كان مطيعاً للنبي ومقرّاً به ، وليس عنده دعوى وتحدّ على الإطلاق ، وفي النتيجة فظهور الكرامة من غير النبي ممكن . وأفضل دليل على إمكانه وقوعه ، إذ أن مجريات التاريخ كما يستفاد من الروايات والأحاديث شاهد حيّ على ظهور كرامات كثيرة قد تمت بواسطة أولياء إلهيين ممن لم يكونوا أنبياء .

بيان شؤون الأولياء الإلبين :

قد قيل في بيان شؤون أولياء الله :

« شغله بالله وفراره الى الله وهمه الله ».

أي أن ولي الله هو الشخص الذي يكون متوجهاً إلى الله في بداية عمله ونهايته ، وفي ما بين بداية ونهاية أعماله . بناء على هذا فجميع شؤون أولياء الله تؤمّن التوجه إلى الله . إذ أن الإنسان في كل عمل لا يخرج عن إحدى هذه الحالات الثلاثة . فهو إما في بداية عمل أو في أثنائه أو في حال الإستفادة وأخذ النتيجة من عمله . أولياء الله وبسبب كونهم في جميع شؤونهم يصرفون توجههم وهمهم إلى حضرة الحق يستطيعون أن يكونوا مترنمين بهذه الآية الكريمة :

﴿إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾(١) .

تأييد أولياء الله بروح القدس :

في بعض الآيات والروايات أسندت الأعمال العلمية والعملية التي يقوم بها أولياء الله إلى روح القدس كما ورد في الآية ١١٠ من سورة المائدة :

﴿إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك

---

(١)سورة الأنعام ، الآية ١٦٢ .

بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً﴾ .

أو نظير ما ورد في سورة المجادلة الآية ٢٢ حول المؤمنين :

﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادُّون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه﴾ .

وهذا الروح الذي جرى الحديث عنه في الآية المذكورة إشارة إلى نفس روح القدس ، وهو غير ذلك الروح الذي في آيتين أخريين بصورة :

﴿نفخت فيه من روحي﴾[1] .

أو **﴿نفخ فيه من روحه﴾**[2] .

حيث قد ورد بضمير المتكلم أو الغائب . إذ أن هاتين الآيتين فيهما إشارة إلى الروح الموجودة عند جميع الناس أما الآية محل البحث ففيها إشارة إلى روح القدس التي تؤيد الإنسان الكامل .

وفي كتاب الكافي أيضاً في باب « الأرواح التي في الأئمة عليهم السلام » يوجد عدة روايات ناظرة إلى هذا المعنى أنه في الأشخاص والمؤمنين العاديين يوجد أربعة أرواح وفي الأئمة عليهم السلام خمسة أرواح . وفي هذه الروايات قد أُحصِيَتْ خواص كل روح من هذه الأرواح ، وعُبِّر عن الروح التأييدية التي هي مَحل بحثنا بأنها تلك الروح الخامسة التي في الأئمة عليهم السلام . وما نحن بصدد بيانه الآن هو أن « روح القدس » ليست حقيقة خارجية تكون منفصلة عن روح الإنسان ، وإنما هي درجة عالية من النفس الإنسانية التي تحصل بعد طيِّ الدرجات التي دونها ، إذ أن روح

(١) سورة الحجر ، الآية ٢٩ .

(٢) سورة السجدة ، الآية ٩ .

الإنسان تارة تكون في حد الأمّارة بالسوء ، وتارة ثانية في حد اللوّامة ، وثالثة في حد الملهمة ، ورابعة في حد المطمئنه والراضية والمرضية ، وخامسة في حد روح القدس . هذه الأرواح كأنها حدود ومراتب النفس التي تُطْوَى واحدة بعد الأخرى .

ويستفاد جيّداً مما ورد في روايات كتاب أصول الكافي أيضاً أنه ليس صحيحاً أن هذه الأرواح الخمسة تثبت مستقلة عن بعضها ، وإنما كل منها شأن من شؤون نفس الإنسان . وحين تصل نفس الإنسان وروحه إلى المرتبة الخامسة التي هي مرتبة القداسة تصير منزهة عن العيب والنقص ، وفي هذا الوقت تستطيع القيام بالأعمال العلمية والعملية الخاصة التي ليست بمقدور الآخرين .

فإذاً ليس الأمر بنحو أن عمل أولياء الله يكون مستنداً إلى ملاك منفصل عن أرواحهم إسمه روح القدس لكي يستنتج أن روح الأولياء أجنبية بالنسبة لتلك الكمالات العينية . طبعاً يوجد ملائكة يكونون مؤيدين ومدبِّرين للأمور ويمتلكون مقام قداسة ، لكن الروح الإنسانية بعد طيّ الدرجات تصل إلى مقام القدس هذا . ودليل هذا المدعى الكلام الذي ذكره الإمام الصادق (ع) في جواب أبي بصير[1] . إذ يسأل أبو بصير ما هي الروح المرادة من الروح في الآية الكريمة **﴿وأرسلنا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾**[2] فقال الإمام عليه السلام في الجواب : تلك الروح التي أرسلها الله على رسوله روح أعظم من جبرائيل وإسرافيل سلام الله عليهما . وإرسال هذه الروح التي هي أعظم من ملائكة الروح ليس بواسطة الملاك وإنما بالنفخة الإلهية التي حصلت في روح الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله .

---

(١) أصول الكافي ، باب الروح التي يسدد الله بها الأئمة عليهم السلام ، حديث ١ .
(٢) سورة الشورى ، الآية ٥٢ .

يُعلم مما قد مرّ أن ذلك التأييد بروح القدس الذي قد حصل لعيسى عليه السلام في الطفولة قد تم بطيٍّ سريعٍ لدرجات الروح إذ أن السرعة في الطي ممكنة سواء في الزمان أو المكان أو الدرجات ، وما هو غير ممكن هو حصول الدرجات العالية من دون طيٍّ الدرجات السابقة إذ الطفرة محال في جميع أقسامها .

مظاهر ومجالي الولاية الإلهية :

الله تعالى يظهر عمله تارة من طريق الغيب بيد غير الإنسان وأخرى بيد الإنسان . قصة حفظ الكعبة من هجوم أبرهة نموذج عن ظهور الولاية والعمل الغيبي الإلهي الذي ظهر بواسطة غير الإنسان . يقول القرآن الكريم في هذا المورد في سورة الفيل :

﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل☆ ألم يجعل كيدهم في تضليل☆ وأرسل عليهم طيراً أبابيل☆ ترميهم بحجارة من سجيل☆ فجعلهم كعصف مأكول﴾ .

هذه القصة التي هي ظهور لقدرة الله لأجل الحفاظ على الدين يمكن لها أن تظهر في أي مكان آخر وبأية صورة أخرى . مثلاً لو صار ولي من أولياء الله الذي يكون مظهراً كاملاً للدين ويكون حفظ الدين الحق متوقف على صيانته في معرض الخطر ، فهنا يظهر الله أيضاً قدرته لأجل حمايته بإحدى الطرق الممكنة . وذلك الأصل الكلي الذي يكون جامعاً لكل هذه الخوارق هو تلك السنَّة والعادة الإلهية القاضية بأن يكون الله حافظاً لنوره :

﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمُّ نوره ولو كره الكافرون﴾[1] .

---

(١) سورة الصف ، الآية ٨ .

في جميع الموارد التي يكون فيها للإنسان دور في ظهور الولاية والقدرة الغيبية الإلهية فكما قد عُلم لا تكون وساطته بنحو القضية الإتفاقية ، وإنما يكون هو واقعاً رابطاً بين اَلله وعالم الطبيعة ، ولذا يمكن إسناد ذلك العمل الخارق للعادة الذي يظهر منه إليه حقيقة ولكن لا يمكن إسناده للآخرين .

وكمثال على ذلك في قصة عيسى عليه السلام الذي قد قام بإحياء إبتدائي إذ كان مجرد نفخه ـ الذي كان بإذن الله ـ موجباً للحياة . يقول القرآن الكريم في هذا المورد :

﴿إذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني﴾[١] .

أو في قصة إبراهيم عليه السلام الذي قد قام بالإحياء من جديد . كان مجرد قراءته يحيي الحيوانات الميته ثانية . ويقول الله تعالى في هذا المجال أيضاً :

﴿ثم ادعهن يأتينك سعياً﴾[٢] .

وما ينبغي الإلتفات إليه في جميع هذه الموارد هو أنه وكما قد برهن في طيِّ الأبحاث السابقة فولاية الله في هذه الموارد ليست في عرض أو طول ولاية الله على الإطلاق ، فليست على نحو التباين ولا على نحو التشكيك ، وإنما هي بصفة مظهر وآية وعلامة لولاية الله سبحانه فحسب . وفي ظهور شيء في شيء آخر إذا شوهد المظهر فالفعل يسند إليه ، وإذا شوهد الظاهر فالفعل يسند إلى ذلك الظاهر .

---

(١)سورة المائدة ، الآية ١١٠ .

(٢)سورة البقرة ، الآية ٢٦٠ .

فذلك الإحياء الذي يقوم به عيسى عليه السلام إنما هو من جهة انه مظهر لإسم « المحيي » وتلك الإعادة (للحياة) التي قام بها إبراهيم عليه السلام فإنما هي لكونه مظهراً لإسم « المعيد » . وهذان الإسمان من الأسماء الحسنى للحق تعالى .

بناء على هذا فالوساطه الواقعية للأولياء ترجع إلى معنى أنهم يصلون إلى هذه المرتبة السامية حيث يصيرون مظهراً لإسم من أسماء الحق الحسنى ، والمظهر حيث أنه آية وعلامة الظاهر فهو إنما يظهر ولاية الله سبحانه فحسب من دون أن يزيد على ذلك ذرة أو ينقص منه قليلاً .

والحمد لله رب العالمين

قد تم كتاب ولاية الإنسان في القرآن . بحمد الله وعونه

الفهرس